بيار روفايل
دموع الأرز
الجزء الأول
دار الجيل
بيروت

دموع الأرز

إنها قصة الأرز الباكي، الأرز الخالد الصامد في وجه العواصف
العاتية الهوجاء التي تهب عليه من كل حدب وصوب.
"دموع الأرز" قصة وطن مرّ بالمحن والنوائب والصعاب
فتخطاها ظافراً صامداً عالي الجبين.
انها قصة العاطفة والشعور، قصة الروح الهائمة
في فضاء الهوى والهيام، قصة القلوب المعذبة
والوطن المناضل في دروب الحياة.
"دموع الأرز" ... انها احدى روائع
القاص المعروف بيار روفايل
يروي فيها مراحل الانتداب
في لبنان بأسلوبه
المشوّق الجذّاب.

دموع الأرز

بيار روفايل

دموع الأرز

الجزء الأول

دار الجيل
بيروت

جَمِيعُ الحُقُوق مَحْفُوظَة لِدَار الجِيل

الطبعة الثانية
١٩٩٢

مقدّمة

الارز الخالد ،

الجاثم على القمة الشماء ،

الدائم الاخضرار ،

المجنح الاغصان ، كأنها اجنحة النسور تحلق في الفضاء الواسع الرحيب .

ارز الرب ، الحافر اسمه العاطر الفواح في صفحات الكتب السماوية المقدسة العصماء .

انه رمز لبنان .

والاثنان خالدان : لبنان وأرزه .

تمر السنون وتنقضي الدهور ، وتتوالى الاجيال، ولبنان ، لبنان .. باق ، صامد ، ثابت الاركان ، يهزأ بالرياح ويسخر من الاحداث ويلهو بالتاريخ .

والارز في صموده يحاكي لبنان ، وفي ثباته وشموخه يضاهيه ، فهما خالدان ابدا : الارز ولبنان .

والارز في اخضراره الدائم ما عرف الذبول ، فهو ابدا باسم الاغصان على افترار واخضرار ، وهو ابدا على ارتياح .

جذوره في التراب واغصانه في السماء تصفق للرياح، وتعطر الاجواء بالشذا الندي العبير .

الا ان التجهم والعبوس والدموع عرفت طريقها الى لبنان،الى أرزه،عبر الدهور والاجيال ، فتوالـت ارزاء ، وتعددت ويلات ، كان خلالها لبنان مثخنا بالجراح ، وكان الارز مغمورا بالدموع .

فقد ذرف الارز دموعه السخية مرارا عديدة من خلال النكبات النازلة بلبنان .

بكى الارز الحرية مرارا ، وبكى السعادة فترات من الزمن ، وبكى ابطاله الشهداء الحاملين لـواء الاستشهاد الملطخ بالدماء على ارواحهم الهائمة في الفضاء .

كلما بكى لبنان ، بكى ارزه .

وكلما تألم الجبل ، تألم ارزه .

وكلما سال الدم اللبناني السفيح ، تأوهت مهجة الارز، وسالت دماؤها الزكية السمحاء .

وما «دموع الارز» سوى حفنة من اشواق وحنين تعطر ارجاء الجبل الاشم العالي الذرى ، الفواح العبير ، الابيض الرأس ، الدائم الاخضرار

بيار روفايل

الفَصْـل الآوّل

اللبنانيون على نشوة وفرحة وانطلاق ، فقد حطـت الحرب الكونية الاولى رحالها ، وأعلنت الهدنة ، وتوارى شبح الحرب ، وانقطع سيل الدماء .

واستفاق اللبنانيون على النبأ المفرح .

وهللوا ، وفتحوا عيونهم ، وارهفوا آذانهم يلتقطون الانباء ، وكأنهم لا يصدقون : أتراهم على حقيقة أم انهم في خيال ؟

أيكونون في يقظة ، ام هم في حلم بعيد المنال ؟

هل انتهت الحرب ؟

وجاءت الانباء مفرحة سارة بهيجة : الحرب انتهت، والعثمانيون، وقد كانوا السادة الحاكمين المستبدين الجائرين في لبنان ، انتهوا الى الهزيمة .

وتنفس لبنان الصعداء .

وتوارى الكابوس المزعج الرهيب الذي جثم علـى صدور اللبنانيين طيلة سنوات الحرب الاربع .

والعام ذاك ، عام ١٩١٨ •

والحرب العالمية حطت اوزارهـا ، بعد ان اذاقـت اللبنانيين مرارة البؤس والفاقة والفقر والجوع •

فقد لاقى ابناء لبنان ، خلال سنوات الحرب الاربـع ـ من عام ١٩١٤ حتى عام ١٩١٨ ـ الاهوال • فالجوع يجثم بعبئه الثقيـل على صدور اللبنانيين ويفتك بهـم ، فيحصدهم ويلقي بهم في الفلاء •

وضاقت القبور بالجثث الفاتك بها الجوع •

والعثمانيون الحاكمون يجورون في حكمهم، ويعتقلون الاحرار ليسيروا بهم الى السجون •

ومن السجون الى المجلس العرفي ، المنتصب فـي عاليه على جور وظلم واستبداد •

ومن المجلس العرفي توا الى أعواد المشانق •

وغاص لبنان في بحر من النجيع •

وغمرت الدموع اغصان الارز الباسقة ، الحالمـة ، الدائمة الاخضرار •

وخيل للبنانيين ان تلك الحرب الساحقة الماحقة ، لن تنقضي الا وقد قضت على ابناء لبنان •

خيل اليهم ان تلك الحرب المشتعلة النيران في ارجاء العالم ستفني اللبنانيين جوعا واضطهادا •

خيل اليهم ان الغيمة الدكناء لن تنجلي وانهم لـــن

يشاهدوا يوما رحاب الحرية والسعادة والهناء.

الا انهم كانوا على خطأ وضلال •

فالغيمة انقشعت بعد طول عبوس ، والمحنة انقضت، وانتهت الحرب •

وولى الجيش العثماني الادبار هربا ، امام الجيوش الفرنسية والبريطانية المطلة على الجبل الاخضر ، حاملة معها لأبناء لبنان الامل الباسم ، والانعتاق الظافر ، والحرية السمحاء •

وهلل اللبنانيون للجيوش الغربية المظفرة ، القادمة اليهم من الجنوب ، حاملة معها ألوية النصر وفرحة الاعياد•

ووصل الجنود الفرنسيون والبريطانيون الى لبنان في تشرين الثاني من ذلك العام ، عام ١٩١٨ ، فزحف اللبنانيون على اختلاف ميولهم ، وطوائفهم ، ومبادئهم ، واهوائهم ، يلاقون الجيوش القادمة اليهم بالتهاليل والاهازيج والترحيب•

ولم يكن الجنود الفرنسيون والبريطانيون قادمين الى لبنان صفر الايدي •

لا ، بل كانوا يحملون الى ابناء لبنان حفنات من الذهب ، واكداسا من الخيرات •

وتدفقت النعم على لبنان •

ونسي اللبنانيون ايام البؤس والجوع والحرمان •

وعادوا الى الحرية ينشقون اريجها ملء الصدور

والاتقاس .

وحط الفرنسيون والبريطانيون الرجال في لبنان .

ومنذ اليوم الاول لوصولهم ، بالسلامة ، بدأ التنازع بينهم على النفوذ في لبنان .

فكان الفرنسيون يعملون على استمالة الشعب اللبناني اليهم .

والبريطانيون يسعون الى اكتساب ود ابناء الجبل الاشم الاخضر .

والفريقان يتباريان في نثر الذهب واغداق النعم على اللبنانيين ، وهم لا يجهلون ان الذهب هو الطريق المعبد الى القلوب .

وكان البريطانيون يطمعون في مد سلطانهم على لبنان، وهم يعلمون يقينا اي مركز ستراتيجي مرموق هو مركز لبنان .

في حين ان الفرنسيين كانوا يأملون ان يكونوا هم اصحاب الحل والربط في هذه البلاد .

والعالم يومذاك ، العالم الخارج من حرب ضروس رهيبة ، يتخبط في فوضى واضطراب ، فالطاسة ، كما يقال ضائعة . الظافرون يتنافسون على المغانم ، والمندحرون يطلبون «الستر» من الله والرحمة من الظافرين .

والفوضى التي كان يعيش فيها العالم اهابت باصحاب

النفوذ من الظافرين الى التسابق على مد السلطان، والاندفاع الى الحصول على القسم الاوفر الاكبر من قطعة الحلوى.

والشرق كان قبلة الانظار .

ولبنان كان الواحة الخضراء الرائعة الفاتنة التي تروق في عيون الطامعين .

وكان البريطانيون يحلمون في التربع على عرش لبنان.

ولماذا لا يكون لبنان لهم ، وهم الذين بدأوا يتمركزون في مصر .

وهناك في مصر لهم مآثر ، ومحافل ، وشركات ، ومصالح ، أهمها القناة ؟

ولماذا لا يكون لهم لبنان ، وهم الذين بسطوا سلطانهم على فلسطين ، وفلسطين جارة لبنان .

وعندما يتربعون في لبنان ، تصبح سوريا في الجيب .

ومطامع البريطانيين في لبنان ، هي مطامع الفرنسيين.

فالفرنسيون على يقين من ان لبنان في جانبهم .

فهم يحبونه حب الدب لمن يحب ، والدب يأكل ابدا من يحب.

وكان الفرنسيون على يقين من ان قلوب اللبنانيين معهم .

ويخيل اليهم انهم اصحاب حق في لبنان ، وانهم من

ابناء البيت في حين ان البريطانيين دخلاء وليس للدخيل مقام بين اهل العشيرة واصحاب الحق ، وابناء البيت •

واشتد النزاع بين البريطانيين والفرنسيين ، وهو نزاع صامت هادىء •

واللبنانيون غافلون ينعمون بنتائج هـذا النزاع ، والذهب يتدفق عليهم ، حينا ذهبا بريطانيا ، وأحيانا ذهبا فرنسيا •

ومصير لبنان مثل مصير جميع البلدان الصغيرة الوادعة الهاجعة ، مجهول على كف عفريت •

الفصل الثاني

كاد البريطانيون يتغلبون على الفرنسيين ، لا سيما وهم يغدقون على الزعماء من اللبنانيين ، وعلى الوجهاء، و «القبضايات» ، المال بدون حساب .

الا ان الفرنسيين نشطوا الى اكتساب صداقة ابناء الجبل ، فأخذوا ينثرون بين ايديهم الذهب ، ويغمرونهم بالعطف ، والحب ، والوعود ، والعهود .

ولم ينسوا ان يلوحوا لهم بالاستقلال .

واللبناني تواق ابدا الى الاستقلال .

فالاستقلال كان المطلب المرجو للبناني .

وفي سبيله ضحى شباب هذا الجيل بدمه .

ومن اجله تأرجحت اعناق الشهداء على الأعواد .

وبدأت كفة الفرنسيين تميل عند اللبنانيين .

فشعر البريطانيون بالخطر الداهم ، ورأوا ان يحاربوا الفرنسيين بسلاحهم ، وعود وعهود وآمال ينثرونها امام

الزعماء ورؤساء الطوائف والوجهاء •

ولم يكتف البريطانيون بالوعود ، ولا هم وقفوا عند حد العهود ، بل رأوا ان يثبوا الى ميدان العمل للحؤول دون تربع الفرنسيين في الارض اللبنانية •

فاعلنوا رغبتهم في اعلان الامبراطورية العربية، ونصب العرش للحسين بن علي ونجله فيصل •

فاذا لم تمكنهم الاقدار من مد السلطان على لبنان وسوريا • فليكن هذا السلطان للحسين ، ولابنه فيصل•

وبذلك يقصون الفرنسيين عن البلدين ، عن لبنان وسوريا ، ثم يكون لكل حدث حديث •

ومهد البريطانيون السبيل امام فيصل بن الحسين لدخول الشام •

وحل الملك العربي في دمشق على الرحب والسعة •

وخيل اليه انالامر قد استتب له، لا سيما والبريطانيون يساندونه ، ويعملون على تنصيبه ملكا على الامبراطورية العربية ، فراح يعمل على تدعيم العرش الموهوم الذي صوره البريطانيون له •

وفي حين كان الملك فيصل يحاول انشاء امبراطوريته العربية من دمشق ، كان البريطانيون يمهدون له السبيل الى لبنان ، فيتصلون بالزعماء اللبنانيين ، لا سيما ابناء بيروت ، ليطلعوهم على السر العميق : «امبراطورية عربية ـ

عاصمتها دمشق ، ورئيسها فيصل ـ وعلينا وعلى اعدائنا الفرنسيين يا رب» •

وراقت الفكرة لفئة من اللبنانيين •

فشخص البعض منهم يبايعون الملك فيصل ، ويعرضون عليه خدماتهم ونشاطهم •

فرحب الملك العتيد بهم شديد الترحيب ، وابدى استعداده للاستعانة بارائهم الصائبة •

وعادوا من دمشق مزودين بمراسيم تسند اليهم المناصب في البلاد • هذا واليا في بيروت ، وذاك متصرفا بأمور الجبل ، وذلك محافظا على الامن ••

وعندما حاول اصحاب هذه المناصب مزاولة اعمالهم، والقيام بالمهام الملقاة على اكتافهم ، وجدوا ان الفرنسيين قد سبقوهم الى احتلال دار الحكم ، ولم ينعموا بلذة السيادة يوما واحدا •

وظلت تلك المراسيم التي حملوها من دمشق حبرا على ورق •

وكان السيد «لو فولندر» الفرنسي قد بدأ ينظم الادارات ، ويسن القوانين ، دون ان يجد من يقف حائلا بينه وبين السيادة •

وكانت فئة كبيرة من ابناء الجبل تسانده وتدعم حكمه ، مما أثار نقمة البريطانيين وسخطهم وغضبهم،

فنقلوا ساحة المعركة من بيروت الى باريس •

وفي هذه الاثناء ، كان مجلس يضم ممثلين عن الدول الاربع ، ينعقد في باريس ، برئاسة الرئيس ولسن ، لتنظيم دول العالم واقتسام الغنائم •

فحمل البريطانيون قضيتهم مع الفرنسيين في لبنان الى ذلك المجلس ، طالبين الفصل في مصير لبنان •

وأدرجت القضية اللبنانية في جدول اعمال ذلك المجلس العالمي •

وعندما طرحت القضية على بساط البحث ، قرر المجلس ان يكون للشعب اللبناني الحق في اختيار الدولة التي تنظم شؤونه وترعاه ••

ومعنى ذلك ان الكلمة الفصل ستكون للشعب اللبناني وحده •

واتخذ مجلس الدول الاربع قرارا بايفاد بعثة دولية الى لبنان لاستفتاء الشعب •

وبدأ عندئذ العمل الجدي •

بدأ التنازع الشديد بين الفرنسيين والبريطانيين •

لقد بدأ الفريقان يتسابقان لاكتساب ود الشعب اللبناني ، لا سيما وقد اصبحت الكلمة الاخيرة لهذا الشعب•

ولجأ البريطانيون الى اصدقائهم من اللبنانيين ، وجاؤوا بصديقهم الحميم اسكندر بك عمون ، وكان في لندن ، على

ظهر طراد الى بيروت ، ليساعدهم في اقناع اللبنانيين باختيار الدولة البريطانية .

في حين جاء الفرنسيون بصديقهم اميل اده ، وكـان في باريس ، على ظهر مدرعة فرنسية ليساعدهم ايضا .

وعاد الذهب إلى الظهور مجدداً، وراح الفريقان، الفرنسيون والبريطانيـون ، ينثرون ذهبهم فـي الربوع اللبنانية ، بكرم ما بعده من كرم ، وبسخاء لا يعلوه سخاء.

واستطاع البريطانيون ـ بكرمهم وسخائهـم ـ ان يجمعوا حولهم الاصدقاء والانصار .

كما استطاع الفرنسيون ان يظفروا بتأييد فئة كبيرة من الزعماء ، والرؤساء والمتنفذين .

وخلال شهر حزيران عام ١٩١٩ ، وصلت الى بيروت بعثة مجلس الدول الاربع برئاسة «كراين» .

وأجرت استفتاء شعبيا أسفر عن انتصار الفرنسيين على البريطانيين .

فقد اختارت الاكثرية الساحقة من اللبنانيين الحمايـة الفرنسية ، وانتصر اميل اده على اسكندر عمون .

وعادت لجنة كراين بنتيجة الاستفتاء الى باريس .

وكانت اميركا قد انسحبت من لجنة الدول الاربع. بعد ان تم الاتفاق على المصالح الاميركية في الغرب ، تاركة امر المصالح البريطانية والمصالـح الفرنسية فـي الشرق

للدولتين الفرنسية والبريطانية •

ومضى الفرنسيون والبريطانيون في تنظيم سياستهم. وفي اقتسام قطعة الحلوى •

فكانت معاهدة سايكس ـ بيكو التي أطلقت يد البريطانيين في فلسطين ، وفي بعض البلدان العربية ، وتركت الزعامة والحماية للفرنسيين على لبنان وسوريا •

واستتب الامر للفرنسيين في لبنان •

واصبحوا اصحاب الحل والربط •

وجاء اول مفوض سام فرنسي الى لبنان ، جورج بيكو ، يرافقه بعض المستشارين والخبراء •

وانصرفوا الى تنظيم شؤون الانتداب في لبنان وسوريا •

وبدأت الهجرة الفرنسية الى لبنان •

وبدأ الفرنسيون يمدون سلطانهم على البلاد وينظمون شؤونها •

وكانوا يحتلون المناصب الكبرى ، ويسنون القوانين، ويسندون المناصب الصغرى الى ابناء البلاد •

وفتحت أبواب القصور اللبنانية امام الحاكمين الفرنسيين •

وكانت المآدب والحفلات تقام في تلك القصور •

ونشأت صداقات متينة الاركان بين الفرنسيين واللبنانيين •

الا ان هذه الصداقات لم تستطع ان تنتزع من نفوس اللبنانيين صورة الاستقلال ، ولا ان تقتلع من رؤوسهم فكرة السيادة والحرية •

***

وفي الحي السرسقي ، في بيروت ، حي الارستقراطية والمال والنفوذ ، لقي الحكام الفرنسيون الترحيب الشديد•

فكانت تقام المآدب والحفلات على شرف الحكام الفرنسيين في تلك القصور •

وكان اولئك الحكام ينزلون في قصور السراسقة على الرحب والسعة •

واستطاع السراسقة يومذاك ان ينالوا حظوة لدى الفرنسيين ، وان يتوسطوا لعدد كبير من الشبان اللبنانيين، ويعينوهم في مراكز مرموقة في دار الحكم •

والفرنسيون بحاجة يومذاك الى ارشاد وتوجيه•

فهم غرباء عن البلاد ، يجهلون ما يدور فيها من سياسة وزعامات وتقاليد •

فاستعانوا بشبان لبنان المثقفين ، ومعظمهم من خريجي المعاهد الفرنسية «اليسوعية ، والفرير ، وعينطورة» ، ونصبوهم أمناء سر «سكرتيرية» للحكام ، وللمدراء وللمستشارين الفرنسيين •

وأطلق على تلك الدولة يومذاك اسم « دولة السكرتيرية » .

وبدأ امناء السر اعمالهم .

واستطاعوا ان يثبتوا أنهم اهل للمهمة التي القيت على عواتقهم .

واصبحوا في مدة وجيزة اصحاب الحل والربط .

فلم يكن المستشار ، او المدير الفرنسي ، ليبت في أمر الا بعد استشارة «سكرتيره» .

وللسكرتير ان يقول : لا .. وله أيضا ان يقول : أجل .

وعلم اللبنانيون أي قدر هو قدر هؤلاء «السكرتيرية»

فاندفع اصحاب المصالح الى اكتساب ودهم ، والى الحصول على «بركتهم» ..

وكان زعماء البلاد ووجهاؤها يعملون على مصادقتهم، وعلى التقرب اليهم .

والحقيقة هي انه كان بين اولئك الشبان مخلصون، استطاعوا ان يخدموا وطنهم ، وان يقدموا لأبناء وطنهم خدمات كبيرة .

وقد اصبح عدد كبير منهم نوابا ووزراء في عهد الاستقلال .

ولكن كان ايضا بينهم من خدم نفسه ، ومن سعى الى الكسب والمنفعة الشخصية .

فاستطاع ان يجمع في مدة وجيزة أموالا طائلة ٠
وأصبح هذا البعض من اغنياء البلاد ٠
وبدأت الرشوة تعرف طريقها الى الموظفين منذ ذلك العهد ٠
فالموظفون الفرنسيون ، الذين حشرتهم المفوضية في دوائر الدولة ، بحاجة الى المال ٠
والموظفون اللبنانيون الشبان يغرهم الذهب ويبهج انظارهم ٠
وتتدفق الاموال فيتقاسمها الموظفون ، اللبنانيون والفرنسيون ٠
وقيل يومذاك في باريس : «ان الفرنسي المحظوظ ، هو من توفده وزارة الخارجية الفرنسية الى لبنان» ٠
وشعر الفرنسيون ، في لبنان ، بأنهم في بيتهم ٠
وانشأوا صداقات صحيحة متينة مع اللبنانيين ٠
فأصبح عدد من اللبنانيين «صهرا» لفرنسا ٠
وقد تزوج هذا العدد من الفرنسيات ٠
كما اصبح عدد من الفرنسيين ايضا صهرا للبنان ، وقد تزوج من لبنانيات ٠
وبدأت الحرية الفرنسية تغزو لبنان ٠
وبدأ الانطلاق الفرنسي يمد سلطانه على الجبل الاخضر ٠

وسادت الاناقة الفرنسية اسواق بيروت •

واندفعت سيدات لبنان وصباياه وراء « الموضة » الفرنسية •

واللبنانيات يهمن ابدا بالاناقة ، ويشغفن بكل ما هو جديد حديث •

الا ان الصداقة الفرنسية اللبنانية أسفرت عن قصص وأحداث لا تخلو من المآسي •

•••

ومن تلك القصص قصة زوجة المستشار الفرنسي ، وسكرتيره اللبناني الوسيم الانيق •

والمستشار الفرنسي ذاك ، رجل في العقد السادس من العمر ، أوفدته وزارة الخارجية الفرنسية الى لبنان •

فجاء مع زوجته الحسناء ، التي لم تتجاوز ثلاثين ربيعا •

وتربع المستشار الفرنسي في دار الحكم •

وبدأ عمله بهمة واخلاص •

وكان يثق بسكرتيره اللبناني الشاب ثقة عمياء •

فأصبح سكرتيره «نهاد العاطي» الحاكم بأمره •

ما عليه الا ان يبدي رأيا ، كي يتمسك المستشار بذلك الرأي ، ويصر عليه •

وبلغت ثقة المستشار بسكرتيره حدا بعيدا •

فكان يعهد اليه بتصريف الاعمال ، وبتوقيع المعاملات.

وتخطت ثقة المستشار بسكرتيره حدود العمل . فوكل اليه الاهتمام بأمر الزوجة الحسناء .

والسكرتير الشاب ، كان أهلا للمهمة .

طلبها من السماء فوجدها على الارض .

فأبدى غيرة واندفاعا في القيام بالعبء الذي القاه المستشار على منكبيه .

وكلما عهد المستشار اليه بخدمة ، يؤديها «للست». هرع نهاد العاطي الى تأدية الخدمة المطلوبة .

ــ نهاد ! هل تستطيع ان تبتاع «للست» زجاجة عطر، وتحملها اليها .. انها بانتظارك في الدار .

ويسرع نهاد الى شراء العطر ، ويحمله الى السيدة «كلوديت» .

ــ نهاد ! هل تستطيع ان ترافق «الست» الى السينما. انني متعب مرهق ، لا استطيع مرافقتها .

ويرافق السكرتير السيدة كلوديت الى السينما .

وذات يوم دعا المستشار «سكرتيره» الامين اليه ليقول : لقد دعانا آل سرسق الى مأدبة عشاء ، تقام في قصرهم على شرف المندوب السامي . انا لن استطيع تلبية الدعوة ، لانني متعب مرهق مريض . سترافق «الست» الى هذه المأدبة ، وتقدم للداعين اعتذاري .

وتمتم نهاد : انني طوع الامر يا سيدي •

قال المستشار : موعد العشاء الساعة التاسعة • ستكون عندنا في الدار الساعة الثامنة والنصف ، وتشخص برفقة كلوديت الى القصر السرسقي •

واستأنف نهاد التمتمة : ليكن ما يريد سيدي المستشار.

وفي الموعد المضروب •• في الساعة الثامنة والنصف كان نهاد العاطي ، في دار المستشار الكريم •

وكانت السيدة كلوديت بانتظار قدومه الميمون •

اما المستشار فكان قد آوى الى سريره ليرتاح من عناء العمل المتعب الشاق الشديد •

الفصل الثالث

تلألأت الأنوار ساطعة رائعة منيرة في القصر السرسقي ، الرابض وسط حديقة غناء ، تظللها أغصان الاشجار الوارفة الظلال •

وغص القصر بالمدعوين وبالمدعوات ، وكلهم مـــن الاسياد والوجهاء والحكام ، وبينهم اميل اده ، وجورج تابت ، وعبدالله بيهم ، وعمر بيهم ، وابراهيـم تلحوق ، وبعض أمناء السر من اللبنانيين ، والمـدراء والمستشارون وبعض الضباط من الفرنسيين •

وتألقت السيدات الفرنسيات واللبنانيات في القصر المنيف ، يسبغن على الجو رونقا وعطرا وسناء •

وأحاط المدعوون بالمفوض السامي جـورج بيكـو يتوددون اليه ويسامرونه ويسايرونه وهم لا يجهلون اي مقام مرموق مقامه الرفيع في البلاد •

وكانت المأدبة عامرة سخية، تجلى فيها السخاء السرسقي

باجلى مظاهره •
وأعاد الى الاذهان بــذخ واسراف وترف القياصرة والملوك •
وبعد العشاء ، تفرق المدعوون في فناء القصر يرقصون على انغام «التانكو» والعهد ذاك عهد التانكو •
فلا تشا تشا ، ولا هيلا هوبي ، ولا قفز ، ولا نط ، ولا فز ••
بل جو من الرومنطيقية ، والاحلام ، والخيال ••
ورقصت السيدة كلوديت زوجة المستشار وفارسها السكوتير الوسيم نهاد العاطي •
فلفتت اليها الجميع ، انها رائعة الحسن فاتنة الجمال••
وابدى المفوض السامي اهتمامه بها • وسأل : مــن تكون الغادة الحسناء ؟
فقيل له : السيدة كلوديت ، زوجة المستشار رودان •
فابتسم وهمس : ايملك ذاك الكهل هذه المهاة ؟ انه لمحظوظ •
وشخصت صاحبة الدعوة السيدة سرسق الى زوجــة المستشار ، تهمس في أذنها : المفوض السامي يبدي اهتماما بك • هلا تفضلت بالجلوس قربه ؟
فقلبت الفرنسية الحسناء شفتيها ، وهزت كتفيهــا وهمست ، وهي لا تنقطع عن الرقص : سأشخص اليه بعد

ان انتهي من الرقص •

ومضت في تطويق فارسها بذراعيها ، وفي الرقص واياه ، فكأنها لا تهتم لما تقول السيدة سرسق ، بالرغم من ان ما قالته مهم خطير •

وعندما انتهت جولة الرقص، شخصت السيدة كلوديت الى المفوض السامي ، والابتسامة تشع على شفتيها •

وكان المفوض السامي جورج بيكو يتحدث الى اميل اده ، وقد جلست قربهما صاحبة الدعوة السيدة سرسق ، فأفسحت للحسناء الفرنسية مكانا قرب صاحب السمو •

واستوت كلوديت بين المفوض السامي والسيدة سرسق •

فرمقها جورج بيكو بنظرة ثاقبة ، وهمس : لقد أجدت الرقص ايتها السيدة رودان • انت راقصة بارعة ملك تهاني •

واتسعت الابتسامة الفاتنة على شفتي كلوديت ، وتمتمت : شكرا يا سيدي •

قال : اين السيد رودان ؟ انني لا أراه بيننا •

قالت : لقد ابدى اعتذاره للسيدة سرسق ، فهو متعب • انكم ترهقونه يا سيدي بالاعمال •

قال : كلنا مرهقون • اننا نعمل من أجل فرنسا ، ومن اجل هذه البلاد العزيزة ، التي انتدبنا لحمايتها ولتنظيم

شؤونها .

وكان اميل اده يسمع هذا الحديث ، فتمتم مازحا : حبذا لو تركتم لنا بعض هذا الارهاق يا سيدي .

وكان اميل اده ، رحمه الله يجيد النكتة ، ويحسن التصرف .

فأدرك المفوض السامي ما يرمي اليه اميل اده .

انه ليشير الى رغبة اللبنانيين في مشاركة الفرنسيين الحكـم .

والتفت جورج بيكو الى اميل اده ليقول : يلوح لي انكم ستحملون معنا الاعباء ايها السيد اده .

وتمتم اميل : بعد عمر طويل .. ان شاء الله .

قال المفوض السامي : في العجلة الندامة ايها السيد اده ، انه مثل عربي ، أليس كذلك ؟

ورد اميل اده بقوله : وهناك مثل آخر عربي يقول : خير البر عاجله .

وكان اميل اده يومذاك صاحب مركز مرموق ، وكلمة مسموعة لدى الفرنسيين .

الا أنه كان يطمح الى اكثر من ذلك ، الى اكثر وأبعد من المنصب والكلمة .

كان يطمع في أن يكون الحاكم المطلق السلطان .

فهو ما ساعد الفرنسيين في الوصول الى لبنان ليظل

مغمورا ، يتلقى الاوامر منهم لينفذها .

لا ، كل ما كان يطمع به ، هو ان يكون السيد المطلق السلطان .

وكـانت المـوسيقى قـد بـدأت تتعـالى مجـدداً، داعيـة الراقصين والراقصات الى حلبة الرقص .

وكان الراقصون قد بدأوا باختيار الراقصات .

فوقف المفوض السامي أمام كلوديت رودان .

وانتصبت كلوديت أمامه .

وبدأ الرقص .

وشخصت الانظار اليهما ، المفوض السامي يراقص السيدة الفرنسية الحسناء .

وتمنت كل سيدة ان تكون مكانها .

المرأة التي يراقصها المفوض السامي محظوظة ، تستطيع ان تجذب اليها الانظار ، وان تكون ذات شأن ووزن فـي الدولة السعيدة .

وما ان انتهت الجولة ، حتى عاد المفوض السامي الى مجلسه ، بين رجال السياسة .

وعادت كلوديت رودان الى السكرتير الامين نهـاد العاطي .

وتمنى الشبان ــ هذه المرة ــ ان يكونوا في مقـام نهاد بين ذراعي الغادة الفرنسية ، صديقة المفوض السامي .

وامتدت الحفلة الراقصة الى مطلع الفجر البعيد •

وعندما وقف المفوض السامي يودع صاحبة الدعوة والمدعوين ، امتدت يده الى يد كلوديت رودان تشدها برفق •

فارتعشت يد الفرنسية الحسناء بين اصابع المفوض السامي •

وتمتم جورج بيكو : أرجو ان أراك ايتها السيدة روداں •

وهمست كلوديت : هذا شرف كبير يمنحني ايـــاه المفوض السامي •

وغادر المفوض جورج بيكو القصر السرسقي •

وبدأ المدعوون يغادرون القصر المنيف ، وخيوط الفجر تكحل مقلة الليل الدعجاء •

وعندما همت كلوديت روداں بوداع صاحبة الدعوة، همست السيدة سرسق في اذنها : ارجو ان لا تسرعي في الذهاب ايتها السيدة روداں ، سنجلس ونكمل سهرتنا •

وحاولت الفرنسية الحسناء الاعتذار •

الا ان السيدة سرسق أصرت وقالت : لي معك حديث طويل • لا تستعجلي الذهاب •

ونزلت كلوديت روداں عند طلب السيدة سرسق •

فجلست على مقعد رجراج وثير ، وأشعلت لفافـة،

راحت تنفث دخانها في الفضاء ، مستعرضة بنظرها الثريات البلورية ، والتحف الفنية الثمينة التي تزين ذلــك القصر الفخم الكبير ..

وأقبل نهاد العاطي ليقول : هل نعود ايتهــا السيدة كلوديت ؟

قالت : مهلا .. سنعود بعد قليل يا نهاد .

وكان ثمة بعض المدعوين لا يزالون ينتشرون في أرجاء القصر .

فانصرف نهاد العاطي اليهم يتبادل واياهم الاحاديث، في حين ظلت الفرنسية الجميلة جالسة تنتظر قدوم سيدة القصر اليها .

وأقبلت السيدة سرسق بعد قليل ، والابتسامة تشع على شفتيها النديتين .

وجلست قرب كلوديت رودان ، واشعلت لفافة نفثت دخانها في الفضاء وهمست : أرجو الا يكون ثمة ما ازعجك ايتها السيدة رودان خلال هذه الحفلة المتواضعة .

فهمست كلوديت : مطلقا يا سيدتي ، لقد كنت فــي منتهى السعادة ، وكنت انت سيدة الظرف واللطف . انني لاشكرك جزيل الشكر على ما أبديت نحوي من اهتمــام وحفاوة .

قالت السيدة سرسق : لم اقم بسوى اقل مما يفرضه

علي الواجب ايتها السيدة رودان •
وساد الصمت بينهما برهة •
ولاح للفرنسية الحسناء ان هناك كلمات خطيرة تطفو على شفتي السيدة اللبنانية الجميلة ، فأقامت ترقب ان تنطلق تلك الكلمات من الشفتين النديتين الجميلتين •
ولم يطل انتظارها •

لحظات قليلة، واستأنفت السيدة سرسق الكلام لتقول: يلوح لي أنك أثرت اهتمام المفوض السامي أيتها السيدة كلوديت.
فتمتمت كلوديت : هذا من حسن حظي •
قالت هذا ، وابتسمت لتتابع كلامها قائلة : وقد يكون ذلك من سوء حظي يا سيدتي ، من يدري • فصداقة الحكام كثيرا ما تعود بالشقاء وبالتعاسة على أصدقاء اولئك الحكام•
فطفت ابتسامة زاهية بيضاء على شفتي السيدة سرسق وهمست : انك لعلى خطأ ايتها السيدة رودان • لان مصادقة الحكام لم تكن يوما سببا في التعاسة والشقاء • لا سيما حكام هذه البلاد • انت ستكونين سعيدة في مصادقة المفوض السامي •
فأدركت كلوديت رودان ان وراء هذه المقدمة اشياء غامضة ، ورأت ان تستعجل جلاء هذه الغوامض فهمست : أي سعادة أستطيع الحصول عليها من وراء صداقة المفوض

السامي ؟

فاستوت السيدة سرسق في مقعدها ، ونفثت دخان اللفافة في الفضاء ، وتمتمت بجد واهتمام : انت مدعوة للقيام بمهمة كبيرة ايتها السيدة كلوديت •

فهمست كلوديت رودان بدهشة واستغراب : مهمة كبيرة ؟ ما هي هذه المهمة يا سيدتي ؟

قالت : مهمة كبيرة من أجل بلادكم ومن أجل بلادنا •

فعادت الفرنسية الحسناء الى الاستفهام لتقول : ما هي هذه المهمة ؟

قالت : دعينا نتحدث بصراحة ايتها السيدة رودان• انتم الفرنسيين ما زلتم تجهلون أسرار هذه البلاد ، لا سيما ولم يمض وقت طويل على حلولكم بيننا ، لذلك فانا سأطلعك على بعض هذه الاسرار والخفايا وعليك ان تنقليها الى المفوض السامي •

فتمتمت كلوديت رودان : انا يا سيدتي لست من بنات السياسة ، ولا أريد التدخل في أمور أجهلها • فلنترك مثل هذه الامور الى رجال السياسة يتدبرون أمرها ، ويعالجونها كما يريدون •

فعادت الابتسامة تشع على شفتي السيدة سرسق لتقول : أريد ان ألفتك الى ان العمل في الحقل السياسي ليس بالعمل الخاسر ، فهو يعود على السياسيين بالمال

وبالنفوذ ، ستكونين صاحبة مال وجاه ونفوذ .

فانصرفت كلوديت رودان الى التفكير : قد تكون السيدة سرسق على حق ، فالسياسيون أثرياء ، وهم ذوو سلطة ونفوذ ومقام رفيع .

ولكن ما هي هذه المهمة التي تتحدث عنها السيدة سرسق ، والتي تدعوها الى القيام بها ؟

وهل تستطيع ان تقوم بمهمة سياسية ، وهي التي لم تعمل في الحقل السياسي مرة واحدة في حياتها ؟

انها ابنة رجل فرنسي مزارع ، لا يعلم من امور السياسة شيئا .

وزوجة موظف فرنسي لم يكن يوما ليتدخل في السياسة ، وقد اوفدته الحكومة الفرنسية الى لبنان كموظف لا اكثر ولا اقل ، الا ان الاقدار رمته بين احضان السياسة في لبنان .

اما هي فلم تحاول مرة ان تتدخل في الشؤون السياسية .

والحقيقة ، هي ان زوجها المستشار رودان لم يكن رجل سياسة ، وكان كلما وقع في معضلة سياسية لجأ الى سكرتيره نهاد ، يستشيره في الامر ، ويطلب اليه العمل على حل تلك المعضلة ..

وكان السكرتير اللبناني الشاب يلجأ دائما الى الحيلة،

والى الدهاء ، في حل المعضلات السياسية التي يعهد اليـه المستشار بحلها •

وكان نهاد العاطي يوفق دائما في حل تلك المعضلات السياسية •

واستأنفت السيدة سرسق الكلام، بعد صمت قصير، لتقول: المهمة التي أدعوك إلى القيام بها ليست صعبة أيتها السيدة كلوديت. سأطلعك على بعض الخفايا والأسرار، وما عليك إلا أن تنقليها إلى المفوض السامي.

قالت كلوديت : ولكن المفوض السامي ليس صديقي، كما تتوهمين يا سيدتي ، فكيف تريدين ان احمل اليه مثل هذه الاسرار ؟

فأمسكت السيدة سرسق بيدها وتمتمت : سيكون صديقك في العاجل الوشيك • فهو قد أعجب بك شديد الاعجاب • وأنا سأمهد امامك السبيل لمصادقته • ستكونين في مدة قريبة صديقته المفضلة يا كلوديت •

وعادت الحسناء الفرنسية الى الصمت تعتصم به، على تفكير بعيد ممض عميق •

الا ان السيدة سرسق قطعت عليها حبل تفكيرها فتمتمت : ما هو رأيك في ما عرضت عليك ايتها السيدة كلوديت ؟

وأجابت زوجة المستشار : أرجو ان تعفيني من هذه

المهمة يا سيدتي • فانا لست أهلا لها •

قالت السيدة اللبنانية : انك لعلى خطأ ، فانت اهل لهذه المهمة ، وستصبحين بين السيدات الثريات النافذات في مدة قريبة •

قالت : ولكن ليس ثمة اي صداقة بيني وبين المفوض السامي ، فكيف تريدين مني ان افرض عليه صداقتي فرضا؟

فابتسمت السيدة سرسق ابتسامة هادئة وهمست : انت ستكونين صديقة المفوض السامي الحميمة • دعي الامر الي •

•••

وكانت انوار الصباح قد بدأت تغمر بيروت بوشاحها الابيض الشفاف •

وكان المدعوون قد خرجوا •

ولم يكن ثمة في القصر السرسقي المنيف سوى السيدتين : اللبنانية والفرنسية ، «والسكرتير» الانيق نهاد العاطي •

وكان نهاد يقف على شرفة القصر يدخن لفافة بانتظار السيدة رودان •

ونهضت كلوديت لتودع سيدة القصر •

وشدت السيدة سرسق يدها وهي تصافحها هامسة :

الى اللقاء ايتها العزيزة كلوديت .

وخرجت زوجة المستشار الفرنسي من قصر آل سرسق برفقة نهاد العاطي .

وتمتم نهاد وهما يخرجان مـن القصر : لقد أطلنا سهرتنا ، ان السيد رودان سيكون قلقا عليك يا سيدتي .

قالت ، وهي تتأبط ذراعه : اطمئن . السيد رودان يغط في نومه الآن . تعال لنتناول قهوة الصباح في مكان هادىء يـا نهاد .

ولم يكن ليرفض لها طلب . فهي زوجة سيده ، وعليه ان يطيع أوامرها كما يطيع أوامر زوجها .

وسار برفقتها ، دون ان يعلم الى اين تسير به .

وراحا يتبادلان الاحاديث ويستعرضان كل ما شاهدا وما فعلا في السهرة العامرة الراقصة الطويلة .

وقادته كلوديت الى حي الصنائع .

ووقفت به امام دار أنيقة فخمة ، وراحت تطرق الباب.

دقائق قليلة ، وفتح الباب .

وأطلت امرأة فرنسية في العقد الرابع من العمر على قسط من الجمال .

وابتسمت المرأة وهي تشاهد زوجة المستشار وتمتمت: كلوديت ؟ اين كنت ايتها الهرة في مثل هذه الساعة ؟

وتمتمت كلوديت : لقد جئت لأتناول قهوة الصباح

عندك •

قالت المرأة ، وهي تفسح امامها مجال الدخول : من المؤكد انك لست مغرمة بي الى هذا الحد •

ودخلت كلوديت ، ودخل وراءها نهاد •

وعندما وصلوا الى الصالون ، التفتت زوجة المستشار الى صديقتها لتقول : أقدم لك «سكرتير» زوجي ، السيد نهاد العاطي •

وهمست المرأة ، وهي تمد يدها مصافحة السكرتير: تشرفنا ايها السيد نهاد •

والتفتت كلوديت الى نهاد لتقول : انها صديقتي الحميمة السيدة لويز ارملة الكومندان شارمان • انها الصديقة المخلصة الوفية •

وهمس السكرتير : انه لشرف كبير لي أن اتعرف بأرملة الكومندان شارمان يا سيدتي •

قالت الارملة الجميلة : تفضلا بالجلوس سأهيىء القهوة •

وجلسا •••

وعادا الى استعراض ما دار في حفلة السيدة سرسق•

ولم تلبث لويز ان عادت حاملة القهوة وبعض الحلوى•

فراحوا يرشفون القهوة ، ويتناولون الحلوى ، ويدخنون ، ويتبادلون الاحاديث •

وعندما انتهوا من تناول القهوة ، اقتربت لويز من صديقتها كلوديت تهمس في أذنها : انك محظوظة ايتها اللعينة . زوجك ما زال قربك ، وسكرتيره شاب جميل أنيق وسيم . أما أنا فانني تعسة الحظ ، فلا زوج لدي ، ولا سكرتير ...

وضحكتا ...

وعادت لويز الى الكلام لتقول : ان النعاس ما زال يثقل اجفاني ، اريد ان أعود الى النوم . ان غرفة الضيوف باتتظارك ، اذا شئت ان تنامي ، فما عليك الا ان تدخلي الى هذه الغرفة ، وتوصدي وراءك الباب . فأنت في دارك يا كلوديت .

قالت لويز هذا ، ودخلت الى غرفتها لتندس في سريرها ، وتستغرق في نوم عميق سحيق .

ووقف نهاد ليقول : يجب ان اعود الى داري لأغير ثيابي وأشخص الى عملي . لن استطيع ان أنام قليلا ، لان موعد العمل سيحين بعد قليل .

وضحكت كلوديت وتمتمت : هل من الضروري ان تشخص الى عملك اليوم ؟

فلمعت الدهشة في عيني نهاد .

ماذا تقول السيدة كلوديت ؟

اتريده ان ينقطع عن عمله ؟

ولمست المرأة الفرنسية دهشته فقالت : اطمئن • بعد ساعة سيكون المستشار في مكتبه في السراي ، وسأتصل به هاتفيا وأقول له : «نهاد لن يحضر الى عمله اليوم، لاننا أطلنا السهرة ليلة امس» •

قال : ألن تعودي الآن الى الدار ؟

فنفثت دخان اللفافة في الفضاء ، وهمست بكل رصانة وهدوء : لا •

قال : وماذا سيقول زوجك يا سيدتي عندما ينهض من نومه ولا يجدك في الدار ؟

فضحكت وقالت : لا تقلق عليه • من عادته ان ينهض من نومه ، فتقدم له الخادمة القهوة ، وتهيىء لـه طعـام الصباح ، فيتناول قهوته وطعامه ، ويشخص الى مكتبه دون ان يكلف نفسه عناء الدخول الى غرفتي • فهو لن يعلم انني لم أنم الليلة في غرفتي •

قال : واذا خالف عادته اليوم ، ودخل الى غرفتك ولم يجدك في سريرك ؟

فقهقهت وقالت : عندئذ يذهب الى عمله •

قال : وماذا ستقولين له اذا سألك : أين كنت ؟

قالت : أقول له الحقيقة : لقد طالت السهرة في قصر السراسقة حتى الفجر • فشخصت بعد انتهاء السهرة العامرة الى دار صديقتي لويز شارمان •

قال : اذن فلتسمح لي السيدة كلوديت بالذهاب ، فقد انتهت مهمتي •

فأمسكت بيده تشدها وتهمس : ألا تريد ان ترتاح قليلا ؟

ولم تنتظر منه جوابا فتابعت كلامها : تعال •

فأفلتت يده من يدها ، وهمس : يجب ان أعود • ان العمل سيبدأ في دار الحكم بعد زهاء ساعة • وعلي ان أعرج على داري قبل ان أشخص الى عملي •

فعادت تمسك بيده هامسة: مهلا • سأتصل بالمستشار، وأخبره انك لن تذهب الى عملك اليوم • يبدو انك عنيد يا نهاد ، فأنت لا تريد الانتظار ريثما يشخص المستشار الى ديوانه في السراي • لا بأس ، سأتصل به هاتفيا الآن •

قالت هذا ، وشخصت الى حيث يربض الهاتف ، لتتناول السماعة وتتصل بدارها •

وردت الخادمة عليها ، فسألتها : أين المستشار ؟

قالت الخادمة : انه يرتدي ثيابه في غرفته يا سيدتي•

قالت : أريد ان أتحدث اليه •

وتحدثت اليه • وقالت له : انني الآن في دار صديقتنا لويز شارمان • لقد انتهت حفلة السيدة سرسق منذ قليل، فشخصت الى الصديقة لويز لأتناول قهوة الصباح واياها• لن أعود الى الدار قبل ساعة ، او ساعتين ، وربما ثلاث

ساعات •

قال : ليكن ما تريدين يا حبيبتي • انا سأشخص الى عملي بعد قليل ، وسأعود ظهرا لنتناول الغداء معا • ستكونين في الدار عند الظهر •

قالت : اسمع يا ألفونس •• ان سكرتيرك نهاد لـن يستطيع العمل اليوم ، لأنه مرهق متعب • فتدبر أمرك •

وأجاب المستشار بكل رصانة وهدوء : لا بأس يـا عزيزتي ، لا بأس •• الى اللقاء •

ـ الى اللقاء •

وألقت بالسماعة من يدها •

والتفتت الى نهاد لتقول : هل ارتحت الآن ؟ انك في اجازة اليوم • تعال •

ونزل نهاد العاطي عند طلب زوجة المستشار •

وقضى ساعات طويلة واياها في دار صديقتها المخلصة الوفية لويز شارمان •

وكانت لويز مرتاحة كل الارتياح للقاء صديقتها زوجة المستشار ، وصديقها اللبناني في دارها •

وقد عودتها كلوديت مثل هذا اللقاء ، في دارهـا العامرة المشرعة الابواب امام العشاق المتيمين ، الراتعين في صفوة الهوى وهنأة الغرام •

الفصل الرابع

نهاد العاطي وكلوديت روردان على هـوى جارف .

وحنين بعيد ، وشوق لاهب مضطرم السعير •

وعم النبأ الدور والقصور •

الكل علم النبأ ، الكل الا الزوج •

والزوج آخر من يعلم ••

والمستشار روردان كان على ثقة عمياء بزوجته الصبية الحسناء ، وبسكرتيره اللبناني الوسيم •

فلم يكن ليخطر يوما على باله ان الزوجة والسكرتير يطعنانه في الظهر •

وكان المستشار ألفونس روردان يقود نهاد العاطي الى داره ، ويفتح له ابواب تلك الدار ، ويمهد السبيل امـام خلوة العاشقين المتيمين ، وهو مغمض العينين عما ينسج الاثنان ــ الزوجة والسكرتير ــ من خيوط الخيانة السوداء •

وانطلق الحبيبان في بيداء الحب الأثيم ، لا يقيمان

وزنا للقيم ، ولا يتورعان عن الانغماس في المستنقعات وفي الوحول ..

ورتع نهاد العاطي في مقام مرموق رفيع لدى المستشار .

فالمستشار لا يؤمن الا بما يقول سكرتيره . فهو السيد المطلق ، في مكتب السكرتير في قصر الحكم ، وفي داره العامرة الفسيحة الارجاء .

وأدرك بعض الزعماء والسياسيين اللبنانيين اي قيمة هي قيمة السكرتير الشاب ، وأي مقام هو مقامه ، وأي كلمة نافذة هي كلمته .

فأخذوا يتقربون اليه ، ويسعون الى اقامة علاقات مودة وثيقة به ، وهم لا يجهلون ان باستطاعته تحقيق آمالهم واهدافهم وامانيهم .

وعرف نهاد العاطي اي مقام هو مقامه ، وهو يشاهد زعماء البلاد وسياسييها يتسابقون الى التقرب منه .

فراح يفرض سلطانه ، ويمارس سيادته .

فلا تسقط شعرة من الرؤوس السياسية الا بأمره .

وكثيرا ما كان السكرتير الشاب يجعل من الاسود أبيض ، ومن الابيض أسود ، اكراما لسواد عين زعيم ، او نزولا عند ارادة صديق مخلص صدوق .

ولم يكن نهاد العاطي ليقدم الخدمات للزعماء لوجه

الله الكريم ، بل كان يتقاضى الثمن •

وكثيرا ما يكون هذا الثمن باهظا ، فيتقاسمه مع المستشار •

والمستشار مولع بالذهب ، يبهره بريقه ، ويذيب فؤاده منظره اللامع الجميل •

وما دام السكرتير يوفر له هذا الذهب ، فليطلق له اليد في تدبير شؤون «المستشارية» •

ونهاد العاطي كان ماهرا في جمع الذهب ، ونثره بين يدي المستشار الكهل • فهو يفيد ويستفيد • يأكل ويطعم، النصف له والنصف للمستشار •

وكانت الصفقات المعقودة بواسطة نهاد العاطي مضحكة • انها مهزلة وسخرية ومأساة •

ومن هذه المآسي ما وقع لزعيم ، أصبح في عهد من العهود نائبا ووزيرا •

والمأساة يعرفها معظم رجال السياسة الذين ما زالوا على قيد الحياة ••

فقد جاء ذلك الزعيم يوما الى نهاد العاطي يطلب اليه السعي لدى المستشار لتعيين نجله الكريم في منصب مرموق في دار الحكم •

ولم ينس ذلك الزعيم ان يحمل معه للسكرتير النافذ الكلمة خمسمئة ذهبية ، نثرها بين يديه وقال : هذه مقابل

ما ستؤدي لي من خدمة .

وأبى نهاد العاطي ان يمد الى الذهبيات الخمسمئة يدا . فهو ناصع الجبين ، عفيف النفس ، طاهر الذيل.. .

وقال للزعيم : انا لن اتقاضى ثمن خدمة اؤديها لك . سأجرب خدمتك ، وسأخاطب الستشار في امر «المحروس» .

وشكر الزعيم السكرتير ، وحمل ذهبياته وعاد أدراجه .

وفي اليوم التالي جاء من يقول للزعيم : ان السكرتير سيعين نجل زعيم آخر ، هو عدوه اللدود في المنصب المرموق لقاء الف ذهبية ..

فما كان من ذلك الزعيم الا انه حمل الفا ، وشخص الى «السكرتير» ليقول : هذه الف ذهبية ، لقاء تعيين «المحروس» في المنصب المرموق .

وتظاهر السكرتير بالعفة ، وبالفضيلة ، وبالنزاهة، وهمس : اطمئن ، المحروس سيصبح موظفا مرموق الجانب في دار الحكم ان شاءالله . ولكن لا أسمح بان تجرح كرامتي ، وتنفحني بالمال لقاء خدمة أؤديها لك .

وأصر الزعيم على ان تكون الذهبيات الالف للسكرتير.

وهمس في أذنه : لن يعلم أحد بالامر . السر سيظل بيني وبينك وبين الله .

وانهارت الفضيلة ، وتوارت النزاهة ..
واحتفظ السكرتير بالذهبيات ..

• واصبح السر بين أربعة ، الله ، والزعيم ، والسكرتير، والمستشار الذي كان نصيبه منها خمسمئة ذهبية ..

واصبح نجل الزعيم المحروس موظفا في دار الحكم .

واطمأن نهاد العاطي .

ورتع في ثراء رحيب ، ونفوذ بعيد ، ومقام عـــال رفيع .

واطمأن ايضا المستشار رودان ، وهو يشاهد الذهب ـ هوايته المفضلة ـ منثورا بين يديه ، بفضل السكرتير النشيط ..

وبلغ الاطمئنان حدا بعيدا عند كلوديت رودان زوجة المستشار الفرنسي .

فقد أغدقت عليها الاقدار كل ما تطمــع بــه امرأة حسناء .

فلديها زوج نافذ الكلمة عالي المقــام ، وحبيب فتي وسيم انيق ، ومال وشهرة ونفوذ .

وماذا تريد المرأة الحسناء غير هذا من دهرها السمح المعطاء ؟

وشاءت الاقدار ان تمنح الفرنسية الحسناء ، زوجة المستشار رودان ، اكثر مما آملت وتمنت .

شاعت ان ترفع من شأنها بين الفرنسيات واللبنانيات الجميلات ، وان تجعل منها سيدة معروفة الاسم ، شهيرة السمعة ، ذائعة الصيت .

فقد اتصلت بها السيدة سرسق ذات صباح لتقول: هل لي ان أدعوك الى تناول الغداء عندي اليوم ؟

وحاولت كلوديت دون الاعتذار ، فهي على موعد لقضاء ذلك اليوم مع صديقها المفضل نهاد العاطي في صوفر .

الا ان سيدة القصر السرسقي أصرت وهتفت : يجب ان تحضري الي اليوم يا كللو ديت . لنتناول الغداء معا ، وستكون لك عندي مفاجأة تدهشك ، وتثير اعجابك .

قالت كلوديت : هل لي الان أعلم ما هي تلك المفاجأة ؟

قالت : وكيف تكون مفاجأة ، وقد اطلعتك عليها ؟ سأكون بانتظارك في تمام الساعة الثانية عشرة ، وأرجو ألا تتأخري في الحضور .

فلمعت فكرة عابرة في خيالها : لماذا لا تقضي ذلك النهار مع نهاد في قصر السيدة سرسق ؟

لماذا تكلف نفسها عناء الذهاب مع نهاد الى صوفر؟

وتمتمت عبر أسلاك الهاتف : هل استطيع ان اصطحب معي احد الاصدقاء ، ايتها السيدة سرسق ؟

قالت سيدة القصر : لا.. ارجو ان تكوني وحدك يا كلوديت . فهناك أمور مهمة سنبحثها معا ، وهناك ، كما

قلت لك ، مفاجأة لا تخطر لك على بال .

قالت : سأجرب ان ألبي دعوتك يا سيدتي .

قالت : ارجو الا تخيبي املي ، وسأكون في انتظارك.

وأقامت كلوديت رودان على حيرة :

هل تلبي دعوة السيدة سرسق ؟

ام تمضي الى صوفر مع حبيب القلب والروح ؟

وشاءت ان تكون رفيقة نهاد العاطي الى صوفر .

الا ان ما قالته السيدة سرسق حول المفاجأة المنتظرة أثار فضولها .

ترى ما هي هذه المفاجأة التي تنتظرها في قصر آل سرسق ؟

وماذا تريد منها هذه السيدة اللبنانية الحسناء ؟

وترددت في قبول الدعوة .

واحتارت ما بين سيدة القصر وبين حبيبها السكرتير الوسيم.

واخيرا ، وبعد تردد طويل ، قر رأيها على تلبية دعوة السيدة سرسق . فاتصلت هاتفيا بحبيبها لتقول :

نهاد ! لن استطيع ان أرافقك الى صوفر اليوم . سأكون رفيقتك الى حيث تشاء غدا .

فقلق نهاد العاطي ، قال : لماذا يا كلوديت ؟

قالت : لقد تلقيت دعوة لتناول الغداء اليوم على

مائدة السيدة سرسق . حاولت الاعتذار فما استطعت . لقد ألحت سيدة القصر علي، فرأيتني مضطرة لقبول الدعوة.

فشعر نهاد العاطي بالغيرة تعصف في قلبه : أتكون كلوديت صادقة في ما تقول ؟ واذا صدقت فلماذا تدعوها السيدة سرسق الى قصرها ، وتلح عليها في الدعوة ؟

الا انه لم يستطع الا ان يهمس : كما تريدين يا حبيبتي.

قالت : سأتصل بك فور عودتي من قصر السيدة سرسق يا نهاد . الى اللقاء يا حبيبي .

قال : الى اللقاء .

وفي الموعد المضروب ، كانت زوجة المستشار الرائعة الجمال في قصر السيدة سرسق .

ورحبت بها سيدة القصر شديد الترحيب .

وأمسكت بيدها وأجلستها قربها وتمتمت : خشيت ألا تلبي دعوتي ، وأنا في مسيس الحاجة اليك ، او بالاحرى سترين انك انت في مسيس الحاجة الي ايضا . فالمهمة مشتركة يا كلوديت ، وهي مهمة تعود عليك وعلي بالخير والنعمى .

وتمتمت كلوديت : هل لي ان أعلم ما هي هذه المهمة يا سيدتي ؟

قالت : ستعلمين كل شيء ، وانا ما دعوتك الي اليوم الا لاطلاعك على هذه المهمة .

وقدمت لها لفافة فاخرة ، وألقت بلفافة بين شفتيها، وأشعلت اللفافتين لتقول : يبدو ان الحظ يبسم لك ، وقد قيل ان الحظ لا يبسم للانسان مرتين ، وعلى من يبسم له الحظ ان يغتنم البسمة السانحة ، والا كان الاكفهرار نصيبه طيلة الحياة •

فأثار كلام السيدة سرسق حيرتها •

ما هو هذا الحظ الذي ينتظرها ؟

وما هي هذه المهمة التي تدعوها السيدة اللبنانية الى القيام بها ؟

هذه الالغاز التي تلوح بها السيدة سرسق تثير فضولها •

ونفثت السيدة سرسق دخان اللفافة في الفضاء وتمتمت : سنتناول طعام الغداء بعد قليل ، وستعرفين كل شيء •

قالت كلوديت رودان : لقد حدثتني عن مفاجأة تنتظرني • فما هي هذه المفاجأة يا سيدتي ؟

قالت : مهلا ، يبدو انك امرأة لجوج يا كلوديت • دقائق قليلة وتتجلي امام عينك المفاجأة المدهشة السارة •

ولمعت الابتسامة الزاهية الزاهرة على شفتي السيدة سرسق ، وهي تعد زوجة المستشار بالمفاجأة السارة • مما زاد فضول السيدة كلوديت •

ترى ما هي هذه المفاجأة التي تعدها بها سيدة القصر الفخم الشاهق المنيف ؟

وأقامت زوجة المستشار الفرنسي على قلق وحيرة بانتظار تلك المفاجأة .

ولم يطل انتظارها .

دقائق قليلة ، وأقبل الخادم بثيابه الانيقة السوداء ليقول : سيدتي أ لقد وصل المفوض السامي .

ووقفت السيدة سرسق قائلة للخادم : انني مقبلة اليه.

ثم التفتت الى السيدة كلوديت لتقول لها : ستتناولين طعام الغداء مع المفوض السامي ، أيتها السيدة رودان .

وعقدت الدهشة لسان السيدة الفرنسية الرائعة الجمال .

وتابعت السيدة سرسق كلامها لتقول : هل اعجبتك هذه المفاجأة ؟

وتمتمت كلوديت رودان ، ولكنها مفاجأة مذهلة ؟ لماذا لم تقولي لي ان المفوض السامي هو ضيفك يا سيدتي ، قبل ان احضر الى قصرك ، لأرتدي الثياب الرسمية ؟

قالت : أردتها مفاجأة . ثم ان المفوض السامي سيتناول طعام الغداء معنا كصديق ، لا كمفوض سام ، وليس من الضروري ان تكوني في ثيابك الرسمية ، تعالي معي لنرحب به ، تعالي .

وامسكت يدها تقودها الى البهو الخارجي .
وكان المفوض السامي قد دخل الى القصر .
فوثبت السيدة سرسق ترحب به شديد الترحيب ..
واشتركت كلوديت رودان بالترحيب ايضا .
وصافح المفوض السامي زوجة المستشار بحرارة وشوق وحنين .
وشدت يده يدها البضة البيضاء وهو يصافحها .
وهمس : كم انا سعيد في أن اراك هنا أيتها السيدة رودان ! ..
فهمست كلوديت : شكرا يا سيدي .. شكرا .
وقادتهما السيدة سرسق الى قاعة الاستقبال ، والفرحة تغمر حناياها .
فهي مرتاحة كل الارتياح للصداقة المتينة الاركان ، الوثيقة العرى ، التي تجمع بين المفوض السامي وزوجة المستشار .
وجلس جورج بيكو قرب كلوديت رودان .
وانسلت السيدة سرسق تاركة لهما مجال الحديث العميق ، وهي تتمتم : عذرا ... علي ان أشرف على اعداد المائدة يا سيدي المفوض السامي . سأعود بعد قليل اليكما .
وخلت القاعة الفخمة الرحيبة بالمفوض السامي ، وبالفرنسية الرائعة الجمال .

وأمسك المفوض السامي بيد كلوديت روودان يشدها ويقول : انك لفاتنة رائعة يا كلوديت •

وكانت المرة الاولى التي يناديها باسمها دون ذكر كلمة «السيدة» • فكأنه يرفع الكلفة بينهما • فهي صديقته الحميمة المخلصة الوفية •

وصبغ الخجل وجنتي الفرنسية الحسناء •

وتركت يدها في يد المفوض السامي •

وهمست : شكرا يا سيدي ، شكرا •

قال : انني معجب بك شديد الاعجاب ، وأرجو ان استطيع توثيق روابط الصداقة بيننا ، أيتها الغادة الحسناء•

فتمتمت : وهذا ما ارجوه انا يا سيدي •

قال مازحا : دعينا من كلمة «سيدي» ، فليس لها مجال بين احاديث الاصدقاء المخلصين • أود ان اسمع اسمي يطفو على شفتيك النديتين بدون لقب •

فاشتد بوجنتيها الاحمرار • وهمست : الايام بيننا يا سيدي ، سأجرب ان أكون منك عند حسن الظن •

فضحك وهمس : هل عدنا الى كلمة «سيدي» ؟ لماذا لا تقولين لي : «يا جورج» • هكذا بدون اي لقب ؟

فشجعها على مجاراته في الحديث الطريف الهازل •

قالت : فلندع للايام محو الرسميات من احاديثنا يا سيدي •

قال : يبدو انك تريدين ان تطول الرسميات الى ايام بعيدة ، في حين أريد انا اختصار الطريق .

قالت : الطريق البعيد هو الاسهل يا سيدي .

قال : ولكنه الابعد عن الهدف .

قالت : وماذا يهم ، ما دام الوصول الى الهدف مضمونا ؟

فأدرك انه حيال امرأة حاذقة بارعة في المراوغة والتضليل ، قال : ولماذا الانتظار ؟ لماذا الوقوف والعصر عصر سرعة وانطلاق ؟

قالت : الايام بيننا يا سيدي .. الايام بيننا .

وراحت اصابع المفوض السامي تعبث بأصابعها ، وتشدها على وله وشوق وحنين .

ولم تحاول كلوديت انتزاع اصابعها من بين اصابع المفوض السامي ، بل هي تركت يدها في يده ..

وساد الصمت بينهما .

فلا هو تكلم ، ولا هي ..

واذا بالسيدة سرسق تطل عليهما بعد قليل لتقول: هل يتفضل صاحب السعادة بالدخول الى قاعة الطعام ؟

ووقف المفوض السامي ، ووقفت كلوديت رودان .

وقادتهما السيدة اللبنانية الحسناء الى مائدة عليها اصناف شهية من الطعام والشراب .

وكانت المأدبة سخية ، دلت على مدى ذوق السيدة سرسق ، وعلى سخائها .

فتصدر المفوض السامي المائدة العامرة .

وجلست زوجة المستشار الى يمينه .

وجلست السيدة سرسق الى يساره .

وراح المفوض السامي يتناول الطعام ، ويحسو الخمر بلذة وجشع ، وهو يساير ويسامر السيدتين ، السيدة اللبنانية ، والسيدة الفرنسية .

وطال جلوسهم الى مائدة الطعام .

ولاح من المفوض السامي انه شديد الارتياح .

فالطعام شهي ، والخمرة معتقة فاخرة ، والسيدتان الجالستان قربه فاتنتان ، رائعتان ، جميلتان .

وخص المفوض السامي السيدة رودان «بعطفه وحنانه» ولاح منه انه متيم بها .

وكانت السيدة سرسق مرتاحة كل الارتياح لتلك العاطفة العميقة ، التي بدأت تنسج خيوطها الدقيقة بين المفوض السامي وزوجة المستشار .

وهي لا تجهل ان كلوديت رودان تستطيع أن تؤدي لها خدمات سياسية ووطنية وشخصية عديدة ، اذا ما اصبحت يوما على صلة عاطفية متينة بصاحب السعادة ، القابض على زمام الحكم في لبنان وفي سوريا ، بيمينه السخية المعطاء .

وعندما انتهوا من تناول الطعام ، كانت الساعة قد أشرفت على الثالثة من ذاك النهار .

فانتقل الثلاثة الى قاعة الاستقبال الشرقية من القصر الفخم الكبير .

وهي قاعة فاخرة الرياش ، أثاثها ورياشها وتحفها كلها شرقية ، يخيل الى الجالس على طنافسها ومقاعدها انه في قصر من قصور ألف ليلة وليلة ، او في قصر من قصور هارون الرشيد .

وكانت الخمرة قد لعبت برأس المفوض السامي .

كما ان زوجة المستشار كانت ايضا قد حست الكثير من الخمر ، وبدأت تشعر بتثاقل اعصابها .

فجلست قرب المفوض السامي .

في حين جلست السيدة سرسق بعيدا عنهما ، تدخن وتسايرهما ، محاولة ان تخلع على ذلك الجو وشاحا من الغبطة والفرح والسرور ..

وطالت الجلسة المرحة الهانئة ..

وكانت السيدة سرسق تخرج من حين الى آخر ، تاركة لزوجة المستشار وللمفوض السامي المجال « ليأخذا حريتهما » ..

وعندما أشرفت الساعة على الخامسة من المساء ، كانت الصلة العاطفية بين صاحب السعادة وزوجة المستشار قد

تأصلت تأصلا شديدا ، وأصبحا صديقين حميمين وفيين •••

ووقف المفوض السامي مودعا ، وقد اعلنت الساعة الخامسة •

والتفت الى السيدة سرسق قائلا : هل استطيع ان ادعوكما الى تناول طعام العشاء على مائدتي الليلة ؟

فأدركت سيدة القصر السرسقي ان العصفور وقع في الشرك ، وان مشاريعها جمعاء سائرة الى التحقيق •

فالمفوض السامي أحب السيدة الفرنسية ، وهو لا يطيق بعادا عنها •

تناول طعام الغداء واياها ، وقضى معظم النهار قربها، وهو يريد ان يتناول طعام العشاء واياها •

وربما رمى الى أبعد من ذلك •

لعله يريد ان يقضي الليل ايضا واياها •••

ورأت السيدة سرسق ان تجيب صاحب السعادة الى طلبه •

رأت ان تستجيب دعوته •

وهل تستطيع ان ترفض للمفوض السامي طلبا ؟

هو يدعوها مع صديقتها زوجة المستشار الى تناول العشاء واياه •

وستلبي الدعوة السخية السمحاء •

الا ان زوجة المستشار رودان لم تكن من رأيها •

وقبل ان تجيب السيدة سرسق على سؤال المفوض السامي •

قبل ان تقول له : «سنكون عندك في موعد العشاء يا سيدي» •

كانت كلوديت تجيب بقولها : «آسفة ، يا سيدي المفوض السامي ، لان أكون مضطرة الى الاعتذار عن تلبية دعوتكم للعشاء الليلة ، فأنا مضطرة الى ان اكون في داري هذا المساء» •

ولم يرق جوابها السيدة سرسق •

ورأت ان تتدخل محاولة تحويلها عن عزمها •

فقالت : ليس لنا ان نرفض شرف تناول العشاء مع صاحب السعادة يا كلوديت ، أرى ان تتناول طعام العشاء على مائدته ، ثم تعودين بالسلامة الى منزلك قبل انتصاف الليل •

وعاد صاحب السعادة ، يمسك بيد الفرنسية الحسناء متمتما : يبدو ان السيدة سرسق تحبنا اكثر مما تحبنا السيدة كلوديت •

وهمست زوجة المستشار : لو انني استطيع اجابة طلب سيدي المفوض لكنت من السعيدات ، الا ان للظروف احكامها القاسية ، وهذه الظروف ترغمني على الاعتذار •

واقتربت السيدة سرسق منها لتقول : ما هي هـذ

الظروف القاسية يا كلوديت ، التي تهيب بك الى رفض دعوة صاحب السعادة ؟

وصمتت كلوديت رودان .

هي لا تستطيع ان تطلع صديقتها السرسقية على «ظروفها الخاصة» .

لا تستطيع ان تقول لها : انني على موعد مع سكرتير زوجي نهاد العاطي ، ان نهاد العاطي يقيم مني على انتظار. اريد ان أقضي الليل واياه .

لا ... لم تستطع ان تقول لصديقتها كل ذلك، على مسمع المفوض السامي .

فاكتفت بالصمت العميق تنغمس به ولا تنبس ببنت شفة .

ورأى المفوض السامي ان لا يحرج موقف صديقته الجديدة .

قد تكون مضطرة الى البقاء في دارها الليلة .

لا بأس ، فليترك لها حرية الاختيار .

الا انه رأى ان يضرب لها موعدا .

ان لم تكن قادرة على تناول العشاء واياه الليلة ، فلتتفضل وتشرفه بتناول طعام الغداء معه غدا ..

وهمس جورج بيكو : يخيل الي ان ليس ثمة ما يحول دون ان تلبيا دعوتي لتناول طعام الغداء غدا .

فأحرجها ...

قالت كلوديت بعد تردد قصير : ليكن ما يريد سعادة المفوض السامي .

قال : اذن سأكون في انتظاركما في داري الخاصة المتواضعة على شاطىء البحر غدا في تمام الساعة الواحدة بعد الظهر .

فارتسمت الدهشة في عيني كلوديت رودان .

لماذا يدعوها المفوض السامي الى داره الخاصة على شاطىء البحر ، ولا يدعوها الى قصر المفوضية ؟

واين تقع تلك الدار ؟

وقبل ان تلقي على المفوض السامي أي سؤال ، كانت السيدة سرسق تتولى الكلام فتقول : سنكون في دار صاحب السعادة في الموعد المضروب .

وودع المفوض السامي السيدة سرسق شاكرا لها دعوتها السخية .

ثم ودع كلوديت هامسا : الى اللقاء ، غدا ايتها الغزالة الشرود .

وما ان توارى المفوض السامي ، حتى التفتت كلوديت رودان الى صديقتها لتقول : ولكن اين هي دار المفوض السامي الخاصة ؟ هل تعرفين أين تقع تلك الدار ؟

وارتسمت الابتسامة الزاهية على شفتي سيدة القصر .

وتمتمت : اطمئني • صديقتك تعرف كل شيء •

قالت : ولكن اين هي هذه الدار ؟

قالت : انها في محلة الجناح ، على شاطىء البحر، تشرف على الرمال الباسمة السمراء، وتتكسر قربها الامواج•

انها دار صغيرة ، رائعة الجمال ، لا يستقبل فيها المفوض السامي الا اصدقاءه الأوفياء المخلصين •

وانجلت الحقيقة أمام عيني كلوديت رودان ، ناصعة البياض : تلك الدار هي دار مغامرات المفوض السامي •

يبدو ان صاحب السعادة ضليع في احوال التستر والتخفي •

قصر المفوضية للاستقبالات العلنية •

ودار الجناح للاستقبالات السرية •

وحاولت زوجة المستشار ان تودع السيدة سرسق وتنصرف •

الا ان سيدة القصر امسكت بيدها تشدها قائلة : مهلا ، لماذا تسرعين في الانصراف ؟ تعالي نتحدث قليلا، تعالي •

وعادتا الى الجلوس •

وأشعلتا لفافتين راحتا تنفثان دخانهما في الفضاء •

وتمتمت السيدة سرسق : يبدو ان المفوض السامي شديد الاعجاب بك يا كلوديت • صاحب السعادة سيصبح

صديقك الصدوق ، وستستطيعين ان تحققي على يديه جميع أمانيك العذاب الوارفة الظلال •

فتمتمت زوجة المستشار : ليس لي احلام ولا آمال يا سيدتي ، اريد تحقيقها في بلادكم •

فابتسمت السيدة سرسق لتقول : ليس ثمة انسان على هذه الارض لا ينظر الى البعيد بعين المنى والاحلام• لكل منا احلامه وأمانيه • والسعيد ، السعيد في هذه الحياة : هو ذاك الذي يحقق تلك الأماني والاحلام •

قالت : قد أكون انا الوحيدة التي انالها الله كل ما تريد من احلام وأمان يا سيدتي •

فاستأنفت السيدة سرسق الكلام لتقول همساً: أنت ستصبحين بين النساء الثريات، في الطليعة يا كلوديت. وستصبحين يوماً ذات شهرة، وعظمة، وكلمة مسموعة، ونفوذ بعيد المدى، واسع الأطراف.

وكانت الساعة قد أشرفت على السادسة من المساء•

فوقفت زوجة المستشار تودع السيدة سرسق •

وهمست السيدة سرسق وهي تصافح كلوديت رودان مودعة : لا تنسي موعدنا مع المفوض السامي ظهر غد !

قالت السيدة الفرنسية : وددت لو انني أستطيع التملص من اجابة هذه الدعوة ، ايتها السيدة سرسق •

فشدت يد سيدة القصر السرسقي يد زوجة المستشار

وهمست : سأكون بانتظارك هنا في الساعة الثانية عشرة والنصف ، ومن هنا سنشخص الى دار المفوض السامي في محلة الجناح .

فهمست كلوديت : سأكون هنا في الموعد المضروب.

وخرجت زوجة المستشار من قصر آل سرسق لتعود الى دارها .

وما ان وصلت الى الدار حتى رفعت سماعة الهاتف، لتتصل بصديقها الحميم نهاد العاطي .

ورد نهاد على زوجة المستشار بفتور ، أثار قلق الفرنسية الحسناء .

ما بال نهاد على غير عادته في الحديث معها ؟

وقلقت كلوديت روادن.وهمست عبر اسلاك الهاتف: ما بك يا نهاد ؟

قال : لا شيء . انني متعب أيتها السيدة كلوديت .

قالت : اريد ان أراك .. انني في غاية الشوق اليك. هلّا أتيت الي ؟

قال : آسف ان أبدي لك اعتذاري يا سيدتي . فأنا متعب كما أبديت .

قالت : اذن ، انا قادمة اليك .

فأدرك انه لن يستطيع التملص .

ان لم يحضر اليها ، فهي ستحضر اليه .

قال : لا .. لا تحضري . انني قادم اليك .

وألقت زوجة المستشار الفرنسي بسماعة الهاتف من يدها . وجلست على مقعد رجراج وثير تدخن لفافة ، والقلق على مصير قلبها الهائم الولوع يستبد بها ، ويعصف في حنايا فؤادها .

ونادت الخادمة اليها لتسألها : اين هو المستشار ؟ ألم يحضر الى الدار ؟

وردت الخادمة : لقد حضر يا سيدتي ، فأبدل ثيابه وخرج منذ زهاء ساعة ، وطلب الي ان أبلغك انه سيتناول طعام العشاء خارج الدار الليلة .

قالت كلوديت : حسنا ، الي بفنجان قهوة .

وخرجت الخادمة ، لتعود بعد قليل حاملة لسيدتها القهوة المطلوبة .

فجلست كلوديت ترشف قهوتها ، وتدخن بانتظار وصول الحبيب .

ولم يطل انتظارها .

دقائق قليلة ووصل نهاد العاطي .

فوثبت تستقبله بحرارة وقبلات وشوق وهوى وحنين.

الا ان نهاد لم يكن ليقابل شوقها وحنينها وهواها بالمثل ، بل وقف حيالها على تجهم وصمت وعبوس .

وقلقت كلوديت شديد القلق .

وأمسكت بيد الحبيب هامسة : تعال ..

وقادته الى غرفتها الخاصة من الدار .

وجلست . ودعته الى الجلوس قربها هامسة : ما بك يا نهاد ؟ يلوح لي انك اتيت إلي مرغما . هل بدأت تمل صديقتك الحبيبة كلوديت ؟

قال ، وهو لا يخرج عن رصانته وعبوسه : يلوح لي ان صديقتي بدأت تمل هواي .

قالت ، وهي تنفث دخان اللفافة الفاخرة في الهواء: ما هو برهانك على ما تدعي ؟ هل لاح لك مني انني انوي الابتعاد عنك ؟

فأشعل لفافة وهمس : هذا ما يلوح لي .

قالت : يا مجنون ، انت كل ما املك في هذه الحياة. هل أتخلى عن كل ما أملك ؟ دع عنك هذه الهواجس والافكار السوداء ، وثق انني مخلصة لك شديدة الاخلاص. لن افكر يوما بالابتعاد عنك ايها اللبناني الوسيم الجميل.

فطفت الابتسامة الواهية الصفراء على شفتيه .

وهمس : هل استطيع ان اعلم اين كنت طيلة هذا النهار ؟ ولماذا هربت مني ؟ وأخلفت موعدك معي ؟ ألم تتفق على تناول طعام الغداء معا في صوفر اليوم ؟ فلماذا اعتذرت وتهربت ، وتواريت عني ؟

فابتسمت ، وقد ارتاحت الى مصير قلبها بعد ان علمت

سبب تجهمه وعبوسه •

فالغيرة هي التي اثارت هواجسه •

لا بأس ، الغيرة دخان الحب ، الحب نار ، والغيرة دخانها •

فاذا لم يتعال الدخان ، لا تكون ثمة نار متقدة اللهيب•

وتمتمت زوجة المستشار روداني : لقد اخبرتك ان السيدة سرسق دعتني الى تناول طعام الغداء على مائدتها، انا لم استطع ان ارفض دعوة السيدة اللبنانية الحسناء ، وانت تعلم أي صداقة متينة تربط بيننا وبين آل سرسق •

قال : اي غداء يمتد من الظهر حتى المساء ؟ هل كنت في قصر السيدة سرسق طيلة هذا الوقت ؟

فاقسمت : وحياتك كنت هناك • شخصت من هنا الى القصر السرسقي ، وعدت توا من القصر السرسقي الى هنا•

فارتاح نهاد العاطي بعض الارتياح ، وصديقته المخلصة الوفية تقسم بحياته الغالية انها كانت عند السيدة سرسق•

الا ان الريبة عادت تعصف به ، والشك عاد يقلق خاطره •

ترى اتكون كلوديت قد تناولت طعام الغداء وحدها في القصر السرسقي المنيف ؟

وعاد التجهم والعبوس الى وجهه ، وهو يلقي على نفسه هذا السؤال •

وساد الصمت برهة بينهما .

وعادت كلوديت الى الكلام بعد صمت قصير لتقول متسائلة : هل ارتحت الان يا نهاد ؟ هل آمنت بان صديقتك كلوديت مخلصة وفية عصماء ؟

فهمس : هل كنت وحدك هناك ؟ ألم يكن ثمة مدعوون غيرك ؟

فتمتمت دون تردد : كان هناك المفوض السامي .

ووجم نهاد العاطي .

ماذا تقول كلوديت ؟

المفوض السامي يتنازل ويشخص الى القصر السرسقي ليتناول طعام الغداء مع زوجة المستشار ؟

اذن ؟

اذن ماذا ؟

اذن المفوض السامي معجب بالغادة الفرنسية الحسناء.

وربما يكون هناك بينه وبينها اكثر من اعجاب .

ومرت ثوان قليلة قبل ان تستأنف كلوديت رودان الحديث لتقول : انت تعلم يا نهاد انني لا اخفي عنك سراء انت الوحيد الذي اطلعه على جميع اسراري ، ليس ثمة اسرار تخفى عنك . سأطلعك على كل شيء ، ولن اخفي عنك شيئا .

فمضى السكرتير الوسيم في التدخين دون ان ينبس

بحرف •

وعادت كلوديت الى الكلام لتقول : لقد دعتني السيدة سرسق الى تناول طعام الغداء على مائدتها، فحاولت الاعتذار لأنني كنت على موعد وايـاك ، الا انها اصرت ، وألحت وقالت لي ان هناك مفاجأة تنتظرني • فلبيـت الدعوة ، وشخصت اليها لأفاجأ بأن المفوض السامي مدعو ايضا الى الغداء • وتناولنا الغداء معا ، انا والسيدة سرسق والمفوض السامي •

وبكل خبث ، ومكر ، ودهاء ، نفث نهاد العاطي دخان اللفافة الفاخرة في الهواء ، وهمس : وبعد الغداء ؟ مـاذا حصـل ؟

فقهقهت كلوديت رودان هازئة وهمست : ماذا تريد ان يحصل ؟ تناولنا القهوة ، وغادر المفوض السامي القصر، وجلست اتحدث مع السيدة سرسق •

قال ، والغيرة تعصف بفؤاده : اسمعي يا كلوديت، يلوح لي ان هناك خيوطا دقيقة بدأت تربط بينك وبـين المفوض السامي • انا لن ارضى بأن يكون لي في قلبـك شريك • اما انا او جورج بيكو •

فاتسعت الضحكة على شفتيها لتنقلب الى قهقهـة، وقالت : انت مجنون ، انني أقسم بان الجنون ليس ببعيد عنك •• أيخيل اليك انني احب المفوض السامي ؟

قال : يخيل الي ان المفوض السامي يحبك !

قالت : انا مسؤولة عن نفسي •• انني لا أحبه ، وليس لي حبيب سواك • انت وحدك حبيبي يا نهاد •• اطمئن، اطمئن يا حبيبي ، لن يكون لك في قلب كلوديت رودان أي شريك •

فلم يستطع ان يطمئن •

قال : يبدو ان منافسي على قلبك أقوى مني يـــا كلوديت • من يدري ؟ قد يهزمني ، فأضطر الى الانسحاب!

فأمسكت بيده تشدها هامسة : ألم أقل لك انــك مجنون • من تراه يستطيع ان ينافسك على قلبي ، وقــد اضحى هذا القلب عبدا بين يديك ؟

قال : قلوب البشر كالرياح العاتية العاصفة الهوجاء، لا تستقر على حال يا كلوديت ، فهي عرضـــة للتقلبـــات وللانقلابات وللتغيير ، القلب الذي يكره غدا قد يحـــب بعد غـــد •

قالت : انك لعلى ضلال ، القلوب التي تحب لا تكره• فالحبيب هو الحبيب اليوم ، وغدا ، وبعد غد •

فعاد الى الصمت يعتصم به ، والى اللفافـــة يمتص دخانها وينفثه في الفضاء •

وتمتمت كلوديت رودان ، بعد صمت قصير : نهاد! لقد قلت لك انني لا اخفي عنك شيئا وثق انني لم اقل،

ولن اقول سوى الصدق • اسمع يا نهاد ، ان المفوض السامي دعاني لتناول طعام الغداء معه غدا ايضا •

فازداد نهاد العاطي تجهما وعبوسا ، وقال : هـل آمنت الآن بانني لست مخطئا • المفوض السامي يحبك يا كلوديت •

قالت : وماذا يضيرك اذا أحبني ، ما دمت لا احبه ؟

قال : وهل ستلبين دعوته ؟

قالت : أجل •• لقد وعدته بتلبية هذه الدعوة • ولكن اطمئن فأنا لن اكون وحدي معه • سترافقني السيدة سرسق اليـه •

قال : ارى ان تعتذري •

قالت : اسمع يا نهاد ، يلوح لي ان هناك سرا فـي صدر السيدة سرسق • أنا لا اعلم لـماذا تحرص السيدة سرسق على الجمع بيني وبين المفوض السامي • حينا فـي دارها ، وحينا في داره • لقد قالت لي ان صداقتي للمفوض السامي ستفتح أمامي ابواب السعادة والثراء ، الا انها لم توضح لي شيئا من ذلك •

فبدأت الغمامة تنقشع عن عيني السكرتير الوسيـم الانيق الجميل ، وهو السياسي المحنك الذكي •

يبدو ان السيدة سرسق ذات مطامع سياسية ، وهي تأمل ان تحقق مطامعها بواسطة زوجة المستشار •

ستعمل على انشاء عاطفة بين قلب المفوض السامي وبين قلب كلوديت رودان .

ثم تبدأ باستغلال هذه العاطفة لمصلحتها الشخصية ..

السيدة سرسق امرأة ذكية حاذقة قديرة . وهي تعمل الآن على تنفيذ خطة رسمتها في رأسها .

ولكن ما هي هذه الخطــة ؟ ليس يدري ... ليس يــدري ...

ومضى نهاد العاطي في التفكير ينغمس فيه على صمت ووجوم :

ان الصداقة التي بدأت تذر بين صديقته الفرنسيــة الحسناء ، وبين الحاكم الفرنسي ، ستكون في مصلحتــه هو ايضا .

ولكن ، هل يوافق على ان تصبح حبيبته ، صديقــة المفوض السامي ؟

ومن يدري قد تندفع كلوديت في صداقتها مع جورج بيكو ، وتستغرق في تلك الصداقة وتبتعد عنه بعد ان تصبح على علاقة وثيقة بأكبر شخصية في البلاد ، فيخسر صديقته الحسناء ، وتتبخر احلامه وأمانيه في الفضاء .

وود لو يستطيع الاستغراق في التفكير .

ود لو انه يخرج الآن من دار المستشار ليعود الى داره ، فيدخل غرفته ويفكر في هذه الأحاجي والاسرار التي

تلوح لـه •

الا ان كلوديت حالت دونه ودون تحقيق رغبته قالت: تعال ، سنشخص معا الى صوفر، فنسهر وننام هنالك• دعك الآن من المفوض السامي، ومن السيدة سرسق ومن اخبارهما وقصصهما • تعال ، تعال معي يا نهاد •

فحاول الاعتذار ، الا أنها اصرت •

قالت : لقد اشتقت اليك ؛ فأنا لم أرك طيلة هـذا النهار . اريد ان اعوض عما فاتني • تعال معي الى صوفر •

ووثبت الى الخادمة تقول لها : عندما يعود سيدك قولي له انني لن اعود الليلة الى الدار سأنام عند احـدى صديقاتي •

وسمعها نهاد تكلف الخادمة ابلاغ المستشار رغبتها في قضاء الليل خارج الدار ، فهمس في أذنها : ولكن قد يغضب السيد رودان يا كلوديت • فأنت قد قضيت النهار بكامله خارج الدار ، وستقضين الليل ايضا بعيدة عنه • دعي رحلتنا الى الغد •

فابتسمت لتقول : إطمئن • ان ألفونس سيكـون مرتاحا لغيابي • فنحن ــ انا وهو ــ قد تعودنا على هـذه الحياة ، أذهب حيث أشاء فلا يعترضني ، ويذهب هو الى حيث يريد فلا أسأله •

وأمسكت بيده ، وخرجت واياه من الدار ليشخصا الى صوفر •

الفصل الخامس

هناك ، في صوفر ، في دار صغيرة انيقة فخمة يملكها المستشار روادن ، قضى السكرتير اللبناني وزوجة المستشار سهرتهما العامرة .

وتناسى نهاد العاطي قصة صديقته مع المفوض السامي.

ونسيت كلوديت روادن كل ما دار بينها وبين السيدة سرسق وجورج بيكو من أحاديث .

وفي صباح اليوم التالي ، استفاق نهاد العاطي ليوقظ صديقته الفرنسية : كلوديت ! استفيقي . يجب ان نعود الى بيروت .

ففتحت كلوديت روادن عينيها على ثقل وتعب لتتمتم: أوه .. دعني أنام . انني مثقلة الأجفان يا نهاد .

قال : الساعة تدق الثامنة من الصباح ، ويجب ان اشخص الى عملي . ان المستشار بحاجة الي .

فاستوت في السرير لتقول : انت لا ترتاح ، ولا

تدعني ارتاح • لن نعود اليوم الى بيروت • سنقضي النهار هنا •

فابتسم ، وقال : وعملي ؟

قالت : العمر ينتهي ، والعمل لا ينتهي • لن نعود الى بيروت اليوم • سنظل هنا •

قال : لا ، الاعمال كثيرة لدي • والمستشار لا يستطيع تصريف الاعمال • انا المسؤول عن كل ما يجري في المستشارية يا كلوديت • يجب ان اشخص الى عملي الآن•

فوثبت من السرير قائلة بمزاح : لو كنت انا احب المستشار ، كما تحبه انت ، لكنا أسعد زوجين •

قال : وأنت ايضا يجب ان تعودي الى بيروت • هل نسيت موعدك مع المفوض السامي ؟

قالت : هل غيرت رأيك ؟ أتريدني ان ألبي دعوته الى الغداء يا نهاد ؟

قال : ألم تعديه بتلبية هذه الدعوة ؟

قالت : أجل • لقد وعدته ، ولكنني على استعداد الاعتذار اذا شئت •

قال : هذا شأنك ، وليس لي ان اتدخل في شؤونك الخاصة •

قالت : شؤوني هي شؤونك يا نهاد • انا على استعداد لتنفيذ ما تأمر به ، اذا شئت لبيت دعوة المفوض السامي الى الغداء • واذا أبيت رفضت هذه الدعوة •

قال : وكيف سترفضين دعوة المفوض السامي ، بعد ان وعدت بتلبيتها ؟

قالت : ما لي الا ان أتصل بالسيدة سرسق ، وأطلب اليها ان تقدم اعتذاري للمفوض السامي ، وينتهي الامر .

قال : لك ان تفعلي ما تريدين .

ولم يشأ السكرتير اللبناني انيفرض ارادته على صديقته المخلصة الوفية .

فهي حرة في ان تفعل ما تريد ، لا سيما وليس ثمة أي خطر عليها في تلبية دعوة الحاكم ما دامت السيدة سرسق رفيقتها الى داره .

والحقيقة هي ان نهاد العاطي لم يكن يريد ان يردع صديقته الحسناء عن مصادقة المفوض السامي .

لانه كان ينظر الى البعيد البعيد .

كان يطمع في ان يصل الى مقام رفيع مرموق في دار الحكم .

فالمستقبل امامه زاهر زاه .

الا ان الطريق للوصول الى ذلك المستقبل شائك طويل بعيد .

وعليه ان يجد من يمهد أمامه ذلك الطريق .

ونهاد العاطي كان ذكيا .

وقد برهنت الايام على انه من الذكاء في ارفع واعلى

مقـام •

فهو قد استطاع ان يصل الى مركز عال رفيع فـي البلاد •

ولذلك ، فقد رأى ان يتغاضى عن قيام علاقة وثيقـة بين صديقته كلوديت وودان وبين جورج بيكو ، آملا ان تعود عليه تلك الصداقة بالفائدة المرجوة المعطاء •

وعادا الى بيروت ••

وقبل ان يفترقا قالت كلوديت : يلوح لي انك لا تمانع في أن اكون ضيفة المفوض السامي اليوم يا نهاد •

قال : شرط ان ترافقك السيدة سرسق اليه •

قالت : دون شك •• هي ستكون برفقتي • اطمئن ايها الثعلب المحتال • انا لن أشخص وحدي الى دار المفوض السامي • وسأطلعك على كل ما سيكون بيننا •

وافترقا •••

فشخصت كلوديت الى دارها •

وشخص نهاد العاطي الى عمله في السراي •••

ولم يكن للفرنسية الحسناء ما تعمله ، قبل ان يحين موعدها مـع السيدة سرسق ، للذهاب الـى دار المفوض السامي •

فدخلت الى غرفتها ، واستلقت على سريرها ، لتستغرق في نوم هادىء بعيد سحيق ••

ولم تستفق الا على صوت الخادمة يناديها : سيدتي، انهضي •

ونهضت •

واستوت في سريرها تعصر عينيها وتتمتم : ما بك؟ ماذا تريدين ؟

قالت : ان السيدة سرسق تريد ان تتحدث اليـــك هاتفيا •

ووثبت زوجة المستشار من سريرها ، وشخصت الى حيث تجثم آلة الهاتف •

ورفعت السماعة الى أذنها هامسة : آلو •• نعم •

وسمعت صوت السيدة سرسق يرن في أذنها : آلو! كلوديت ؟ ما بك ؟ انني ما زلت انتظرك • هــل نسيت موعدنا مع المفوض السامي ؟

قالت : كم الساعة الآن ؟

قالت السيدة سرسق : الساعة أشرفت على الحاديــة بعد الظهر ، والمفوض السامي يقيم على انتظارنا •

ـ الساعة الحادية ؟ أوه •• لقد استغرقت في النوم• سأرتدي ثيابي على عجل ، واكون عندك بعد دقائق قليلة•

قالت السيدة سرسق : لا •• لا تحضري الي • ارتدي ثيابك ، وسأمر بك الآن •• انني قادمة اليك •

وألقت زوجة المستشار بالسماعة من يدها •

واسرعت الى ثيابها ترتديها على عجل ..

وما هي الا دقائق قليلة ، حتى أقبل سائـق سيارة السيدة سرسق ليقول : ان سيدتي تنتظرك في السيارة ايتها السيدة كلوديت .

قالت : انني قادمة اليها .

ودلفت كلوديت الى السيدة سرسق .

وصعدت الى السيارة ، وهي سيارة انيقة من السيارات القليلة التي كانت تجوب شوارع بيروت وأزقتها الضيقـة يومذاك، بتيه وخيلاء وكبرياء .

وانطلقت السيارة بهما الى شاطىء البحر .

وقالت السيدة سرسق ، وهي تنظر الى الساعة الثمينة المشدودة الى معصمها : الساعة الآن تشرف على الحاديـة والنصف ، لقد تأخرنا يا كلوديت ، ولا أعلم اذا كـان المفوض السامي ما زال يقيم منا على انتظار .

وتمتمت كلوديت مازحة : اذا لم يكن في انتظارنا ، فسيكون ذلك من حسن حظنا ، ومن سوء طالعه .

وضحكت السيدة سرسق.وهمست : ارجو ان يكون ما زال مقيما منا على انتظار .

ووصلت السيارة بهما الى محلة الجناح ، وهـي يومذاك ، منطقة مقفرة قاحلة .

ما هناك سوى رمال ، وأمواج تتكسر فوق الصخور.

وعلى بعد بعض ثكنات عسكرية للجيوش الفرنسية.

وتوقفت السيارة أمام دار صغيرة ، الا انها انيقة فخمة ، تحيط بها حديقة غناء ويطوقها سور قليل الارتفاع.

ووثبت السيدتان الانيقتان من السيارة .

ووقفتا امام الباب تطرقانه ..

لحظات قليلة ، وفتح الباب .

وأطل منه خادم في بزة بيضاء ليقول : «تفضلا» .

فكأنه على علم بقدومهما .

وتمتمت السيدة سرسق : أيكون صاحب السعادة هنا ؟

وعاد الخادم الى التمتمة : تفضلا .

وقادهما الى قاعة الاستقبال ، وهي قاعة فسيحة الارجاء تزدان بفاخر الرياش والاثاث والتحف الفنية الرائعة .

وجلستا على مقعد رجراج وثير .

دقائق قليلة ، وأطل المفوض السامي مرحبا بهما : اهلا وسهلا «بالاتحاد الفرنسي اللبناني» . لقد تأخرتما في الحضور ، وكدت اقطع الأمل من حضوركما .

وتمتمت السيدة سرسق : وهل يحق لنا ان نخلف موعدا ضربناه لصاحب السعادة ؟

قال : انني جائع ، تفضلا الى قاعة الطعام .

وسار بهما الى قاعة الطعام .

فجلسوا يتناولون الطعام ، ويتحدثون بعض الاحاديث السياسية والاجتماعية .

وبعد ان انتهوا من تناول الطعام عادوا الى قاعـــة الاستقبال ليواصلوا تبادل الاحاديث .

ولاح من السيدة سرسق انها راغبة في التحدث مع المفوض السامي في الامور السياسية .

في حين لاح من المفوض السامي انه يرغب فـــي التحدث الى زوجة المستشـــار احاديث العاطفة والـــود والهيـــام .

فكان ينظر اليها ، من حين الى اخر ، نظرات تنم عما في فؤاده من لواعج وهوى وشوق وحنين .

اما كلوديت ، فكانت تفضل الصمت على الكلام .

كانت تريد ان تسمع حديث السياسة من السيـــدة سرســـق .

وتريد ان تسمع حديث الهوى والاطراء من المفوض السامي والسيدة سرسق.

واذا بالسيدة سرسق تلقي نظرة سريعة الى الساعـــة المشدودة الى معصمها لتقول : «لقد مضى الوقت على سرعة واندفاع ، وانا مضطرة الى الاستئذان بالانصراف ، لانني على موعد .

قالت السيدة سرسق هــــذا ، والتفتت الى المفوض السامي لتقول : سأترك كلوديت هنـــا • ويمكنكما ان تتحدثا بما تريدان وترغبان •

ووجمت كلوديت ، وقد اذهلتها المفاجأة •

كيف تعود السيدة سرسق وحدها ، وتتركها مــــع المفوض السامي ؟

لا ، هي لن تظل هناك ، ستعود معها •

قالت : يجب ان نعود معا ، كما جئنا معا ، ايتهـــا السيدة سرسق •

وتدخل المفوض السامي في الحديث •

قال مخاطبا السيدة الفرنسيـة الحسناء : اذا كانت السيدة سرسق مضطرة للذهاب ، فلماذا تريدين ان تحرمي المفوض السامي من الاستئناس بك ، والتحدث اليك ؟

قالت : شكرا يا صاحب السعادة ، على ما تبــــدي نحوي من عاطفة وشعور ، ان البقاء قربك هو اشهـــى أماني ، الا انني مضطرة للعودة مع السيدة سرسق الان !

فحاول جورج بيكو صرفها عن اصرارها قال : ستظلين هنا الان ، وسأعيدك الى دارك في سيارتي الخاصة فــي المساء •

قالت : ارجو ان يسمح لي صاحب السعادة بالعودة مع السيدة سرسق •

قال : السيدة سرسق مضطرة للعودة : لانها مرتبطة بموعد ، اما انت فليس ثمة ما يضطرك الى الانصراف •

وتدخلت السيدة سرسق في الحديث ، محاولة حل المعضلة •

قالت : سأذهب وحدي الان يا كلوديت ، فأنهـــي عملي ، وأعود اليك بعد ساعة واحدة •

فقطعت عليها سبل الاعتذار •

واضطرت زوجة المستشار الى النـــزول عند رأي السيدة سرسق •

الا انها لم تكن مرتاحة للبقاء وحدها في دار المفوض السامي ، ذلك لانها كانت تعلم يقينا ما ترمي اليه السيدة سرسق في الانصراف ، وتركها وحيدة مع صاحب السعادة•

وصمتت كلوديت رودان على مضض •

واقترب المفوض السامي منها يمسك بيدها متمتما : «تعالي معي ، سنقضي ساعة ممتعة ، ريثما تعود السيـــدة سرسق » •

ثم التفت الى السيدة سرسق ليقول مازحا : لا تقلقي على صديقتك ايتها السيدة اللطيفة • ستكون هنا في داري آمنة من كل خطر •

وتبادل المفوض السامي والسيدة سرسق نظرة سريعة خاطفة ، تخفي وراءها الف معنى ومعنى والف خاطر وخاطر،

والف لون ولون •

وصافحت السيدة سرسق صاحب السعادة مودعة •

ثم التفتت الى صديقتها لتهمس في اذنها : ارجو ان تقضي وقتا ممتعا مع سعادته ، يا صديقتي الجميلة •

وخرجت السيدة سرسق •

وجلس المفوض السامي قـرب الفرنسية الحسنـاء يتمازحان ، ويضحكان ، ويتبادلان بعض الأحاديث.

ورأت زوجة المستشار نفسها في موقف حرج ، وهي تجلس قرب جورج بيكو •

فهي لا تريد ان تجاريه في ما يبتغي ويريد ، ولا تريد ان تقصيه •

ورأت ان تلجأ الى الدبلوماسية في تصرفها •

فكانت تقصيه عن احاديث الهوى حينا ، وتنسجم معه احيانا •

الا ان دبلوماسيتها قادتها الى الانجراف في المغازلة، وفي المسايرة ، والانطلاق •••

ورأت نفسها منسجمة مع المفوض السامي •

فهو محدث بارع ، لطيف ، جذاب انيق ، يحسن سبك عبارات الغزل ، ويجيد صوغ كلمات الهوى والشوق والحنين •

الا انها جنحت بتفكيرها ، بعد وقت قصير ، الـى

حبيبها نهاد العاطي .

ترى ماذا سيفعل نهاد ، اذا علم انها خلت بصاحب السعادة .

وانها اقامت وحدها معه في تلك الدار البعيدة عن المدينة الجاثمة بتيه ودلال على الشاطىء الواسع الرحيب؟

واجابت نفسها على السؤال : نهاد لن يعرف شيئا .

سأخفي عنه ، هذه المرة ، كل ما جرى ، ولن اطلعه على تفاصيل المؤامرة ، التي دبرتها السيدة سرسق ، ونفذها صاحب السعادة .

فالمرأة الذكية هي التي تستطيع ان تخفي اسرارها عن أحب الناس الى قلبها .

ومضى الوقت على سرعة واندفاع .

وانقضت ساعة دون ان تعود السيدة سرسق ، كما وعـــدت .

فبدأت كلوديت رودان تتأفف وتتبرم .

والتفتت الى المفوض السامي لتقـــول : يبدو ان السيدة سرسق لن تعود . لقد وعدت بان تعود بعــــد ساعة ، وها قد انقضت ساعة دون ان يبين لها اثر . يجب ان اعود الى داري يا صاحب السعادة .

فتمتم المفوض السامي : لماذا الاسراع في العودة ؟ ألست مرتاحة الى الاقامة بجانبي يا كلوديت ؟

قالت : لقد تأخرت في العودة الى الدار • زوجي سيكون في انتظاري يا سيدي •

فضحك المفوض السامي وقال : اطمئني • ان زوجك منهمك الآن في اعماله ، وفي خدمة الجمهورية الفرنسية • هو لا يفكر بك ، وليس لديه اي متسع من الوقت لخدمة زوجته الحسناء •

قالت : ولكنني اريد العودة الى داري •

قال : مهلا ، ان السيدة سرسق ستعود • من المؤكد انها ستعود • يجب ان نقيم منها على انتظار •

وصمتت على حنق وغضب وتأفف •

لماذا اوقعتها السيدة سرسق في هذا المأزق الحرج ؟

والى ماذا ترمي من وراء هذه المؤامرة ؟

ولماذا تريد لها توطيد العلاقة مع المفوض السامي ؟

هي تقول ان هناك امورا سياسية ستعود عليها بالمال والشهرة والنفوذ •

فما هي هذه الامور ؟

ليست تدري • ليست تدري ••

كل ما يدور حولها اسرار غامضة •

انها لتتخبط في دياجير الظلام ، دون ان تهتدي الى بصيص من نور •

وازداد الحنق بزوجة المستشار ، وقد اشرفت الشمس

على المغيب ، دون ان ترى للسيدة سرسق وجها •

فنهضت لتقول: سأعود الى داري يا صاحب السعادة•

وقبل ان يجيب المفوض السامي بحرف ، رن جرس الهاتف •

فأسرع جورج بيكو الى السماعة يرفعها الى اذنـــه متمتما : آلو •• من ؟

والتفت الى كلوديت رودان ليقول : انها السيـــدة سرسق •• تريد التحدث اليك •

قال هذا ، ودفع بالسماعة الى زوجة المستشار ••

وتمتمت الفرنسية الحسناء : آلو •• السيدة سرسق؟ أهكذا تفعلين ؟ تحجزينني هنا وتهربين ؟

قالت السيدة سرسق : لقد اضطررت الى التأخر في العودة اليك يا كلوديت • ارجو المعذرة •

قالت : وماذا ستفعلين الان ؟ هل ستحضرين ام لا ؟

قالت السيدة سرسق : لن استطيع الحضور اليك • سأرسل لك سيارتي لتقلك الي • انا بانتظارك هنا فـــي قصري يا كلوديت •

فتمتمت كلوديت رودان بغضب وحنق : ارجـو الا تزعجي نفسك يا سيدتي • انا عائدة الى داري •

وهمست السيدة سرسق : لا •• لا تعودي الـــى دارك • يجب ان تحضري اليّ • انني بحاجة قصوى اليك•

قالت الفرنسية الجميلة مازحة : ماذا تريدين مني يا سيدتي ؟ هل هناك مؤامرة جديدة على صديقتك الفرنسية الغبية الحمقاء ؟

فتمتمت السيدة سرسق : سائق سيارتي سيكـون عندك بعد دقائق قليلة ، وانا في انتظارك . هناك امر مهم جدا ستتحدث به يا كلوديت !

قالت كلوديت : ارجو المعذرة يا سيدتي . انـا شاخصة الى داري الان. واذا كنت بحاجة الي فستجدينني في داري .

فردت السيدة سرسق : لا بأس .. سيارتي ستقلك الى دارك اذن وسأحضر انا اليك .

وألقت كلوديت بالسماعة من يدها .

والتفتت الى المفوض السامي لتقول : السيدة سرسق لن تحضر ، بل هي سترسل لي سيارتها لتقلني الى داري .

فأمسك جورج بيكو بيدها يشدها هامسا : كلوديت انت الصديقة الحبيبة الى قلبي . ثقي ان المفوض السامي سيكون سعيدا! اذا ما قدم لك اية خدمة . مري بمـا تريدين يا كلوديت .

قالت : شكرا يا سيـدي ، ليس لي اي مطلب . يكفيني ان تكون صديقي وان ألقى منك هذه العاطفـة الصادقة النبيلة .

قال : متى أراك ؟

قالت ، وقد بدأت ترتاح الى صداقته وتركن اليه : سأكون رهن اشارة المفوض السامي . ما له الا ان يضرب الموعد لأكون عنده في الموعد المضروب .

قال : سأراك غدا .

قالت ، محاولة المراوغة والتملص : ليس باستطاعتي ان أوافيك غدا ، لأنني مضطرة الى القيام ببعض الاعمـــال الخاصة .

قال : اذن بعد غد !..

قالت : سأجرب .

فضحك وتمتم : عندما تقول المرأة «سأجرب» ، فهذا يعني انها تقول : «لا» .

قالت : الايام بيننا يا صاحب السعادة . ان لم ارك غدا ، فسأراك بعد غد ، وان لم يتم اللقاء بيننا بعد غـــد فسيكون في اليوم الذي يليه . لماذا الاستعجال ؟

قال : ولماذا المماطلة والتسويف ؟

قالت مازحة : اريد ان ابتعد عنك اياما كي تشتـــاق الـــيّ .

فهمس : انا في شوق دائم اليك يا كلوديت .

قالت : اريد ان تشتاق اليّ اكثر .

فمد يده الى جيبه ، ليخرجها قابضة على بطاقة دفع

بها اليها قائلا : خذي . هذا هو رقم هاتفـــي الخاص . ارجو ان تتصلي بي غدا لنتفق على موعد .

وأخذت البطاقة في حقيبتها هامسة : سأكون عنـــد حسن ظن صاحب السعادة .

واذا بالخادم يقبل قائلا : ان سائق سيارة السيـــدة سرسق في الباب يا سيدي .

وتمتمت زوجة المستشار : اني قادمة إليه .

وعاد الخادم ادراجه .

وودعت كلوديت رودان جـــورج بيكو بحــــرارة وشوق ..

وأسرعت بالخروج من دار المفوض السامي ، لتلقـــي بجسدها البض الجميل في سيارة السيدة سرسق ، قائلة للسائق : الى داري .

وسائق السيدة سرسق لا يجهل اين تقع دارها .

فأطلق للسيارة العنان في الطريق الضيـــق الملتوي ، المليء بالغبار والأخاديد .

وراحت الفرنسية الحسناء تفكر ، وتدخن ، والسيارة تجتاز بها الطريق .

واخذت تستعرض كل ما مر بها .

فلاح لها من خلال الاحداث ان نبوءة السيدة سرسق ستتحقق .

وأنها ستصبح يوما ذات شأن ومال ونفوذ .

فالمفوض السامي ، وهو الحاكم المطلق في لبنـــان وسوريا ، أضحى صديقها الوفي، وهو على استعداد لاجابة اي طلبْ تبديه .

ما لها الا ان تأمر .

وما على المفوض السامي الا ان يجيب .

ولكن بماذا ستأمر ؟

وماذا تريد ؟

وما هي مطالبها ؟

انها امرأة حسناء ، وزوجة مستشار واسع النفوذ ، وحبيبة شاب لبناني انيق وسيم ..

وهذا كل ما تطلب .

فليس لها اي مطلب ، ولا لهـــا اي مأرب ، ولا اي مشتهى .

فما بالها اذن تلعب هذه اللعبة الخطرة ؟

وأي فائدة ترجو من صداقة المفوض السامي ؟

ووصلت السيارة بها الى الدار .

فترجلت كلوديت روداني منها ، وأسرعت بالدخـــول الى دارها .

واتجهت الى غرفتها لتنزع عنها ثيابها وتدخل الـــى الحمام لتستحم بالماء الفاتر .

فهي بحاجة الى اراحة اعصابها ، والى السكينة والهدوء .

وطال جلوسها في الماء الفاتر .

وشعرت بشيء من الارتياح ..

وعندما خرجت من الحمام ، وجدت السيدة سرسق بانتظارها في قاعة الاستقبال .

ورحبت كلوديت رودان بالسيدة سرسق على فتور وامتعاض .

فهي ناقمة عليها بسبب تدبيرها تلك المؤامرة التي هدفت من ورائها الى تمهيد السبيل بينها وبين المفوض السامي .

الا ان السيدة سرسق ابتسمت لها ، وأمسكت بيدها تشدها هامسة :

ـ اجلسي .. اجلسي هنا بقربي يا كلوديت . لي حديث طويل معك .

وجلست زوجة المستشار قرب السيدة سرسق ، والتجهم لا يفارق جبينها .

وتمتمت السيدة سرسق : هل كنت مرتاحة الى خلوتك بالمفوض السامي ؟

وانفجرت السيدة الفرنسية الحسناء غضبى ، لتقول: اسمعي يا سيدتي ، انا لا اريد ان اكون لعبة بيدك وبيد

المفوض السامي • انا امرأة احب • صحيح انني لا احب زوجي ، ولكنني احب شابا لبنانيا ، واريد ان اكــون مخلصة له • اما قضية مصالحك الشخصية ، ومصالــح بلادك السياسية فهي لا تهمني •

ووجمت السيدة سرسق ، وهي تسمع بيان زوجـة المستشار ، لاسيما والفرنسية الحسناء كانت تتكلم بغضب، وبحنق ، وبسرعة ، واندفاع •

ورأت السيدة سرسق وهي المــرأة الذكية اللبقـــة الخبيثة ان تروض هذه الفرنسية •

فهمست : وهل يخيل اليك انني ادعوك لطعن حبيبك في الظهر يا كلوديت ؟

فأشعلت زوجة المستشار لفافة فاخرة نفثت دخانهـا في الفضاء لتقول : وماذا يعني تصرفك معي اليوم ؟ لقد ارغمتني على مرافقتك الى دار المفوض السامي ، ثـم تركتني وحدي معه ، وذهبت كأنك تلقين بالنعجة بين انياب الذئب ، ثم تتخلين عنها !

فشعت الابتسامة الهادئة على ثغر السيدة سرســق وتمتمت : انك على خطأ في ما تبدين يا كلوديت • فمـا انت نعجة ، ولا المفوض السامي ذئب • ثم هل نسيت انني اعمل لمصلحتك ؟ الا تريدين ان تصبحي امرأة غنية مشهورة ذات كلمة مسموعة ونفوذ واسع بعيد ؟

قالت كلوديت ، وقد بدأت ثـورة الغضب تتوارى عنها : انا لا اطلب ثروة وجاها ، وقد منحني الله اكثر مما اشتهي وأروم • انا يا سيدتي اريد ان ارتاح ، اريد ان ابتعد عن المشاكل ، وعن العواصف ، وعن الرياح العاتية الهوجاء • ارجوك ان تدعيني وشأني •

فعادت السيدة سرسق تمسك بيدها لتقول : يـــا مجنونة ! هل هناك امرأة عاقلة في العالم تفكر بما تفكرين انت به ؟ هل هناك امرأة تتكلم بما تتكلمين ؟ انني اعرض عليك الجاه والعظمة والمال ، فماذا بك ترفضين هذا العرض. وتريدين الابتعاد عن كل ما يجذب المرأة ويلفتها اليه •

فنفثت كلوديت دخان اللفافة فـــي الفضاء وهمست : هل استطيع ان اعلم ماذا تريدين مني ؟ وما هي هذه المهمة التي تطلبين اليَّ القيام بها ؟

فتمتمت السيدة سرسق مازحة : هل نسيت انني في ضيافتك ؟ وانك لم تقدمي لي القهوة ؟

ونادت كلوديت رودان الخادمة اليها لتقول : اصنعي لنا فنجاني قهوة ؟

وذهبت الخادمة •

وساد الصمت برهة بين المرأتين الجميلتين •

كانت كل منهما تفكر بمشاكلها الخاصة •

السيدة سرسق تفكر بالامور السياسية ، وبمآربها

وباهدافها .

وزوجة المستشار تفكر بحبيبها نهاد العاطي .

ولم تلبث الخادمة ان عادت حاملة لهما القهوة .

فأخذت السيدتان ترشفان القهوة وتدخنان .

وعادت السيدة سرسق الى الكلام، بعد صمت قصير، لتقول : اسمعي يا كلوديت ، انا لم اخف عنك شيئا . فقد اطلعتك على كل شيء ، وأوضحت لك الغايـــة من وراء صلتك بالمفوض السامي .

قالت كلوديت : كل ما علمته حتى الان هو انـــك تريدين ان توطدي علاقتي بالمفوض السامي ، خدمـــة لمصالحك الشخصية ، ولمصلحة بلادك . وقد اوضحت لك موقفي . فأنا لا تهمني مصالحك ، ولست مهتمة بمصالح بلادك يا سيدتي . انا امرأة اريد ان احب ، وان اخلص في حبي ، وان اكون سعيدة في هذا الحب ، وقد اخترت حبيبي ، ولا اريد ان اطعنه في الظهر .

قالت لسيدة سرسق : ومن تراه يطلب منـــك ان تخوني حبيبك ؟ من تراه طلب منك ، او يطلب منك ، ان تتخلي عن هذا الحبيب ؟

قالت كلوديت : اذا علم حبيبي انني خلوت بالمفوض السامي ، وانني اقمت في داره وحدي حتى المساء ، فهو سيتخلى عني !

قالت السيدة سرسق : ومن اين له ان يعلم ؟ فلا انت ستبوحين بالسر ، ولا أنا ، ولا المفوض السامي .

قالت كلوديت : انا سأقول له ذلك .. انني لا اخفي عنه شيئا . لقد اخبرته انني ذاهبة واياك الى دار المفوض السامي ، وسأطلعه على كل ما جرى لي هناك .

فعقدت الدهشة لسان السيـدة سرسق وهمست : مجنونة .. هل هناك امرأة في العالم تطلع حبيبها على مثل هذه الاسرار ؟

قالت زوجة المستشار : المرأة المخلصة الوفية لا تخفي شيئا عن حبيبها ، والمرأة التي تخفي عن حبيبها سرّا هـي في نظري خائنة ، تماما مثل تلك التي تنشىء علاقات عاطفية مع رجل غير ذاك الحبيب .

فابتسمت السيدة سرسق بهزء وسخريـة وهمست : فليعطك الله على قدر نيتك يا كلوديت .. اسمعي مـا اقول لك الآن . انت عندما تنشئين علاقة عاطفية متينة مع المفوض السامي ، فانك ستخدمين حبيبك خدمة ، لا يستطيع اي انسان فرنسي ، او لبناني ، ان يؤديها له .

قالت المرأة الفرنسية الفاتنة بدهشة واستغراب : كيف؟ انني لا افهم ماذا تعنين ايتها السيدة سرسق .

قالت : ذلك لانك لا تنظرين الى ابعد من أنفك ، انت كما يلوح لي امرأة محدودة .. محدودة النظر ، محدودة

المطامع . محدودة التفكير ، محدودة الذكاء • اذا وقفت عند هذه الحدود ، فستظلين امرأة خاملة مثل معظم النساء: زوجة مستشار ، وعشيقة سكرتير ، لا اكثر ، ولا اقل •

فوجمت كلوديت رودان •

كيف توصلت السيدة سرسق الى معرفة حبيبها ؟

من اين علمت ان حبيبها هو سكرتير زوجها ؟

وكأن السيدة سرسق علمت ما يجول بفكر كلوديت•

فهمست : لا تستغربي يا كلوديت ، فأنا اعلم ان حبيبك هو نهاد العاطي • لقد علمت ذلك منذ رأيتكما ترقصان معا في قصري في تلك الحفلة التي أقمتها على شرف المفوض السامي • هل تريدين ان تجعلي من نهاد رجلا عظيما في البلاد ؟ هل تريدين ان تحتفظي به ؟ اذا كان جوابك نعم ، عليك ان تنفذي الخطة التي أرسمها لك •

وصمتت زوجة المستشار ، وقد اتضح لها ان هذه السيدة اللبنانية على ذكاء حاد ، ونظر بعيد المدى ، واسع رحيب ••

وعادت السيدة سرسق الى الكلام بعد صمت قصير لتقول : ان صداقتك للمفوض السامي تعود عليك ، وعلى زوجك ، وعلى حبيبك ، وعلي انا بالفائدة الكبرى • ما عليك الا ان تعملي بما أرسم لك من خطط ، وستكونين مرتاحة كل الارتياح •

قالت كلوديت : ولكن ما هي هذه الخطط التي تطلبين الي تنفيذها ، ايتها السيدة سرسق ؟ وما هي المهمة ، او بالاحرى ، ما هي تلك المهمات التي ستلقين بها على عاتقي؟

ولم تجب السيدة سرسق •

بل هي فتحت محفظتها الأنيقة لتخرج منها سوارا ذهبيا مطعما بالماس وتهمس : هاتي يدك •

ودهشت كلوديت رودان لبريق الذهب والماس ، فهي امرأة ، وفرنسية ايضا يستهويها الذهب ، ويخلب لبها الماس•

ودون ان تهمس بحرف مدت يدها الى السيدة سرسق•

فاذا بالسيدة اللبنانية تطوق معصمها بذلك السوار الثمين ، وتهمس : يا له من سوار رائع في معصمك يا كلوديت •

وأخذت زوجة المستشار تستعرض ذلك السوار بدهشة واعجاب ، دون ان تنبس بحرف •

وتمتمت السيدة اللبنانية : هل تروق لك هذه الهدية يا كلوديت ؟••

تروق لها ؟ انها هدية تروق للملكات •

هذا السوار يساوي زهاء ألف ذهبية. «وللذهب يومذاك قيمته ومقامه»، كل ماسة من ماساته تساوي ألوفاً.

وهمست زوجة المستشار بدهشة واستغراب: أيكون هذا السوار لي أنا؟

قالت : اجل ، ولك عندي هدايا غيره كثيرة •• هذا فضلا عن الاموال التي ستتدفق بين يديك ، وعن الجاه والنفوذ والمقام الرفيع الذي ستتربعين فيه يا كلوديت •

فهمست الفرنسية الجميلة ، والتأثر الشديد باد على محياها : ولكن ماذا علي ان أفعل كي ارد لك الجميل ايتها السيدة سرسق ؟

قالت : لقد اوضحت لك مهمتك ، وهي تنحصر في مصادقة المفوض السامي الآن ، ثم يبقى لكل حدث حديث•

فهمست زوجة المستشار ، وعيناها لا ترتفعان عن ذلك السوار الرائع الثمين : يبدو ان هذه المهمة قد انتهت لأن المفوض السامي اصبح لدي اكثر من صديقي ، او بالاحرى ، لقد اصبحت انا لديه اكثر من صديقة بعد هذه الخلوة الطويلة التي مهدت حضرتك لها •

فاتسعت الابتسامة على ثغر السيدة سرسق ، وهمست باستفهام : صحيح ؟

قالت كلوديت : أجل •• وهو قد أعطاني رقم هاتفه الخاص ، وطلب الي ان اتصل به •

فهمست سيدة القصر السرسقي : هذا نبأ رائع يا كلوديت •

قالت كلوديت : ولم يكتف المفوض السامي بذلك ، بل هو أبدى استعداده لاجابة اي طلب أتقدم به •

فهتفت السيدة اللبنانية : يا خبيثة • هل وصلت العلاقة بينك وبين صاحب السعادة الى هذا الحد ؟ اذن فالطريق اصبح معبدا أمامك ، لم يعد ثمة ما يحول دون البدء بالعمل •

وصمتت السيدة سرسق لتنصرف الى التدخين والى التفكير برهة •

ثم تعود الى الكلام لتقول : عليك ان تتصلي هاتفيا بالمفوض السامي •

فقاطعتها قائلة : الآن ؟

قالت : لا •• بل غدا •• غدا صباحا تتصلين به هاتفيا ، وتقولين : «انني في غاية الشوق اليك • هل هناك ما يمنع من ان تتناول طعام الغداء معا» ؟

سيوافق حتما ••

ستشخصين وحدك هذه المرة الى داره • وستتناولان طعام الغداء معا ، وستتحدثين اليه في الامور السياسية• ستسألينه :

ما هو مصير لبنان ؟ وماذا تنوون ان تفعلوا ؟

هل سينعم اللبنانيون بشيء من الحرية ؟

وهل تنوون اسناد الحكم الى رجل لبناني ؟

ومن هو هذا الرجل ؟

اريد ان تحملي الي اجوبة على هذه الاسئلة •

قالت كلوديت رودان : هذه اسئلة بسيطة ، والمفوض السامي صديقك ، فلماذا لا تطرحينها انت عليه ؟

فنفثت السيدة سرسق دخان اللفافة الفاخرة في الفضاء ، وهمست : لعدة أسباب لا اريد ان اطرح على المفوض السامي مثل هذه الاسئلة . منها انني لا أريد ان يعلم المفوض السامي انني مهتمة بمثل هذه الامور السياسية ، ومنها ايضا ان المفوض السامي يستطيع ان يبوح لك بأسرار لا يبوح لي بها ، لا سيما وانت فرنسية ، وزوجة مستشار رفيع المقام ، وهناك اسباب أخرى يا كلوديت تمنعني من مباحثة جورج بيكو بمثل هذه الامور .

فعادت زوجة المستشار تنظر الى السوار الرائع الذي يزين معصمها قائلة : سأجرب ان أحمل اليك ما تريدين من أسرار غدا .

فنهضت السيدة سرسق مودعة لتقول : الى اللقاء اذن غدا ، سأكون بانتظارك في قصري في الساعة الخامسة من المساء ، وأرجو لك كل توفيق في مهمتك السهلة المنال .

الفصل السادس

خرجت السيدة اللبنانية من دار المستشار لتعود الى دارها .

ودخلت كلوديت روادان الى غرفتها لتعود الى استعراض ذلك السوار .

يا له من سوار نادر انيق جميل ثمين .

ونزعت السوار من معصمها لتخفيه بين حليها .

انه حلية ثمينة قد لا يقدر لها ان تحصل على مثلها في المستقبل .

فلتحافظ عليها شديد المحافظة ، ولتحرص شديد الحرص .

وعادت الى التفكير بحبيبها نهاد ، وقد خلت بنفسها .

يجب ان تتصل به .

يجب ان تتحدث اليه .

يجب ان تراه .

ولكن اين هو الآن ؟
والعمل في المفوضية انتهى منذ ثلاث ساعات.
فهي لن تستطيع اذن ان تتصل بنهاد الا اذا خطر على باله ان يتصل هو بها .
ولكن أتراه يتصل ؟
هل يفكر بها كما تفكر هي به ؟
هل يحن اليها كما تحن اليه ؟
واستلقت على سريرها تدخن وتفكر .
ولم يطل تفكيرها .
فقد أقبلت الخادمة لتقول : ان السيد رودان قد وصل يا سيدتي ، وطلب الي ان اهيىء العشاء . هل تريدين ان تتناولي طعام العشاء معه ؟
قالت : أجل .. انني قادمة .
ووثبت من السرير ، وخرجت من غرفتها الى «الصالون» .
الا انها لم تجد زوجها في «الصالون» كعادته .
كان من عادة المستشار رودان ان يجلس في «الصالون» يطالع الصحف قبل تناول العشاء .
وخيل اليها انه في غرفته .
الا انها لم تجده ايضا .
وشخصت الى المطبخ لتسأل الخادمة : اين هو سيدك؟

قالت : انه في مكتبه مع السكرتير •
ووجمت كلوديت ••
اذن نهاد هنا في دارها ؟
واسرعت الى اقتحام المكتب •
وكان زوجها جالسا قرب نهاد يدرسان بعض القوانين•
فوثبت الى نهاد تصافحه بحرارة وتجلس قربه ، محاولة ان تتحدث اليه والى زوجها بعض الاحاديث •
الا ان المستشار قال لها :
ـ ارجوك يا كلوديت ان تتركينـا الآن • فالوقت فسيح لدينا الى التحدث بعد العشاء • أريد ان أنهي هذه الاعمال الآن •
وتبادلت كلوديت مع نهاد نظرة سريعة •
وخرجت من قاعة الكتب ، لتعود بعد قليل قائلـة :
العشاء جاهز •
ونهضا ••
وسارا وراءها الى قاعة الطعام ••
وجلسوا يتناولون الطعام ويتسامرون ••
وبعد ان انتهوا من تناول الطعام ، حاول المستشار ان يعود بسكرتيره الى المكتب لاكمال عملهما •
الا ان زوجته حالت دون تحقيق محاولته •
قالت : ألم يكفكما عملكما طيلة النهار ؟ أتريدان ان

تصلا النهار بالليل ؟

قال المستشار : لدينا بعض الاعمال يا كلوديت ، وعلينا ان ننهيها هذه الليلة ، لتكون جاهزة صباح غد •

فلم ترد عليه بحرف ، بل هي أمسكت بيد نهاد قائلة : المستشار يريد ان يعمل ، دعه وشأنه وتعال •• سنسهر معا •

وضحك المستشار ••

ولحق بهما الى قاعة الاستقبال هامسا : فليكن ما تريد السيدة كلوديت •

وجلسوا يتحدثون •

واذا بكلوديت تحمل ورق اللعب قائلة : فلنتسل بلعب الورق •

ولم يكن للمستشار ان يرد لزوجته الحسناء طلبا •

فأخذوا يلعبون الورق ••

ولكن النعاس بدأ يداعب اجفان المستشار الكهل بعد قليل •

فألقى بالورق من يده متمتما : الكرى يثقل عينيء أكملا اللعب وحدكما ، أنا سأدخل الى غرفتي وأنام •• تصبحان على خير •

ودخل المستشار الى غرفته ، ونام ••

وخلا الجو للحبيبين المتيمين •

وانقطعا عن لعب الورق لينصرفا الى الحديث ..

وروت كلوديت لصديقها الوفي نهاد العاطي أشياء عما جرى في دار المفوض السامي ذاك النهار ، وأخفت عنه اشياء ..

فهي لم تخبره ان السيدة سرسق تركتهما وحدهما، ولم تخبره انها خلت بالمفوض السامي حتى المساء ، ولم تخبره بزيارة السيدة سرسق لها في دارها .

ولا هي اخبرته بالهدية التي نفحتها بها السيدة سرسق. ولا بالمهمة التي عهدت بها اليها ..

فالسوار الثمين الذي طوقت به السيدة سرسق معصمها استطاع ان يعقد لسان زوجة المستشار عن البوح بالاسرار.

وطالت سهرتهما حتى بعد منتصف الليل .

وعندما نهض نهاد العاطي مودعا كلوديت همس في اذنها : سأراك غدا . وتتناول طعام الغداء معا .

قالت بتلعثم : غدا ؟ لا ، قد لا استطيع ان اتناول طعام الغداء واياك يا نهاد غدا ، لانني مدعوة الى مائدة السيدة سرسق .

فلمعت ابتسامة مكر وخبث ودهاء على شفتي السكرتير الوسيم وهمس :

ـ وسيكون المفوض السامي مدعوا ايضا ؟ أليس

كذلك ؟

فتمتمت : لست أدري ، على كل فأنا سأطلعك على كل شيء • ثق انني لا اخفي عنك شيئا يا نهاد •

وودعته بحرارة وحنين •

ووقفت تشيعه حتى غاب عن نظرها في الشارع الضيق الطويل •

وعادت الى غرفتها لتنزع عنها ثيابها وتنغمس في سريرها ، وهي تفكر بالسوار الماسي وبالمهمة الملقاة على عاتقها •

ترى هل هي ستوفق في خدمة السيدة اللبنانية الحسناء ؟

واستغرقت كلوديت رودان في نوم هادىء عميق•

ولم تفق من نومها في صباح اليوم التالي ، الا والساعة تدق معلنة التاسعة من الصباح •

واستوت في سريرها ، ونادت الخادمة اليها لتقول : الي بفنجان قهوة •

وقبل ان تحضر الخادمة القهوة لها ، وثبت من السرير لتفتح خزانتها وتستعرض السوار الماسي الجميل ، فتزداد اعجابا به : يا له من سوار رائع فاتن جذاب•••

وبكل هدوء أعادته الى الخزانة ، وعادت الى الاستلقاء في السرير •

ولم تلبث ان جاءتها الخادمة بالقهوة • فراحت ترشفها على مهل وتدخن •

وعندما انتهت من رشف القهوة ، امسكت بسماعة الهاتف ترفعها الي اذنها لتتحدث عبر الاسلاك الى المفوض السامي •

ورد عليها المفوض السامي نفسه ، فالرقم الذي اتحفها به هو رقم هاتفه الخاص •

وهمست :

ـ صباح الخير يا صاحب السعادة •

وتمتم جورج بيكو : من؟

قالت : انا كلوديت ، كلوديت رودان •

وهمس : كلوديت ؟ انها لمفاجأة سارة • كيف حالك ايتها العزيزة ؟

قالت : انني في غاية الشوق اليك !

قال : شوقك الي ليس بأكثر من شوقي اليك يـا كلوديت !

قالت : هل استطيع ان اراك اليوم ؟

قال : بكل طيبة خاطر •

قالت : انتناول اليوم طعام الغداء معا كالأمس ؟

قال : سأكون بانتظارك في الدار الساعة الواحدة ظهرا •• الى اللقاء •

وابتسمت ، وهي تلقي بالسماعة من يدها . فهي قد نفذت اوامر السيدة سرسق بحذافيرها .

يبدو أنها أهل للمهمة الكبيرة التي عهدت بها السيدة سرسق اليها ..

وأخذت ترتدي ثيابها على مهل وهي تفكر ..

كانت الافكار تتزاحم في رأسها كأنها شريط سينمائي سريع الانطلاق .

انها لتفكر بالسيدة سرسق ، وبالمفوض السامي، وبتلك الاحاجي والاسرار التي تدور حولها ..

واخيرا بصديقها المخلص الوفي نهاد العاطي ..

كانت تفكر بالجميع .. الجميع ما عدا زوجها . فهو لم يخطر لها على بال ، فكأنه ليس اهلا للتفكير به ..

وانتهت من ارتداء ثيابها لتدخل الى قاعة الطعام فتتناول طعام الصباح ، ثم تلقي بنظرة سريعة الى الساعة المشدودة الى معصمها . فاذا بالساعة تشير الى الحادية عشرة من الصباح .

امامها اذن ساعتان لموافاة المفوض السامي ..

ماذا ستفعل خلال هاتين الساعتين ؟

ولم يطل بها التفكير .. فهي ستقضي هاتين الساعتين مع نهاد العاطي .. لقد اشتاقت اليه .. نهاد وحده الحبيب المفضل لديها ..

واسرعت الى الهاتف تتصل عبر اسلاكه بدار الحكم لتتحدث الى سكرتير زوجها ..

ورد عليها نهاد العاطي فهمست : نهاد .. اني في اشتياق بعيد رحيب اليك .. اريد ان اراك يا نهاد .

قال : الآن ؟ مستحيل . ان الاعمال متراكمة امامي يا كلوديت .

قالت : اترك كل شيء وتعال . انني في انتظارك .

فاستأنف التمتمة : مستحيل .. مستحيل . اذا شئت ان تتناول طعام الغداء معا ، فأنا سأكون تحت تصرفك في الساعة الثانية عشرة والنصف .

قالت : لا .. انا لا استطيع ان البي دعوتك للغداء اليوم ، لأنني مدعوة لتناول طعام الغداء على مائدة السيدة سرسق ، كما قلت لك .

قال ، والتهكم يلوح من خلال كلماته : يبدو ان العلاقة الودية تزداد تأصلا وارتباطا بينك وبين السيدة سرسق في هذه الايام .

قالت : اشكر الله لان هذه الصداقة هي بيني وبين السيدة سرسق ، وليست بيني وبين السيد سرسق .

قال : أتمنى لك غداء شهيا ، ووقتا ممتعا في القصر السرسقي .

قالت : أرجو ان تحضر الآن الي يا نهاد !

فعاد الى التمتمة : مستحيل .. مستحيل .. انــا لا استطيع ان اتخلى عن عملي الآن ، ارجو ان اراك في المساء.

قالت : سأعود الى الاتصال بك بعد الظهر اذن. اين؟

قال : سأكون هنا في عملي . فنحن ، كما تعلمين، نعمل في دار الحكم قبل الظهر وبعده .

قالت : الى اللقاء يا حبيبي .

فهمس : الى اللقاء .

وألقت بسماعة الهاتف من يدها .

وعادت الى غرفتها لتستلقي على سريرها وتطالع قصة فرنسية ، بانتظار حلول موعدها مع صاحب السعادة .

وكانت القصة ممتعة ، فاستغرقت في قراءتها .

ومضى الوقت على سرعة واندفاع دون ان تشعر .. واذا بالخادمة تدخل عليها لتقول : لقد حضر السيد رودان يا سيدتي .

ورمقت كلوديت الساعة المشدودة الى معصمها بنظرة سريعة ،فا ذا بالساعة تشير الى الثانية عشرة والنصف .

واستوت في سريرها .

لقد حان الموعد المضروب .

امامها نصف ساعة فقط لتصل الى دار جورج بيكو.

ووثبت من السرير لتسرح شعرها ، وتسكب علــى راحتيها ووجهها العطر ، ثم تحمل محفظتها وتخرج مــن

الغرفة ..

ورأت ان تعرج على غرفة زوجها قبل ان تخرج من الـدار ..

ودخلت الى غرفة الزوج العزيز ، فاذا به يرتدي ثيابه علـى عجل .

وسألته : ما بك ؟ أراك ترتدي ثيابك الأنيقة ؟

قال : أجل .. لقد عدت من مكتبي لأبدل ثيابي لانني مدعو الى تناول طعام الغداء .

قالت : اين ؟

قال : في دار السيد بسترس . فالمأدبة رسمية أقامها السيد بسترس على شرف المفوض السامي .

فوجمت كلوديت : ماذا يقول زوجها ؟ كيف يكون المفوض السامي مدعوا الى مأدبة غداء في قصر السيـد بسترس ، ويدعوها الى تناول طعام الغداء على مائدتـه في داره ؟

ولم تستطع ان تجيب نفسها على هذا السؤال .. هل يخدعها المفوض السامي ؟ ام ترى ان زوجها هو الخادع.

ومرت دقيقة صمت ، قبل ان تسأل زوجها : هـل أنت متأكد من ان المفوض السامي سيكون في قصر السيد بسترس ؟

وتمتم زوجها ، وهو يعقد ربطة عنقه : كل التأكيد.

ولذلك فقد عدت الى الدار لأرتدي ثيابي الرسمية قبل ان أشخص الى قصر السيد بسترس • كنت اتمنى ان تكوني رفيقتي الى هذه الوليمة ، الا ان الدعوة لم توجه اليك •

قالت : ارجو ان تنعم في قصر السيد بسترس بالطعام الشهي ، وبالانس والراحة • أما انا فانني مدعوة ايضا الى الغداء •

ولم يكلف نفسه عناء السؤال : اين ستتناولين طعام الغداء ؟ ومن هو صاحب الدعوة الكريمة ، بـــل اكتفى بأن يطبع قبلة على جبينها ويتمتم : الى اللقاء يا حبيبتي •

وخرج •••

وألقت السيدة الفرنسية الحسناء بجسدها على مقعد رجراج وثير •

وعادت الى التفكير : ماذا عليها ان تفعل الآن ؟ هـــل تشخص الى دار المفوض السامي ؟

ولكن المفوض السامي لن يكون في داره •

وكيف يكون في تلك الدار ، وهو مدعو الى تصدر الوليمة السخية في قصر السيد بسترس ، كما قال لهـــا زوجها ؟

ولكن صاحب السعادة دعاها الى تناول طعام الغداء على مائدته ، هل يمكن ان يتخلف عن موافاتها الى تلـــك الدار الصغيرة الأنيقة الجاثمة على الرمال الباسمة السمراء

في محلة الجناح ؟

وضاعت في تفكيرها •

ورأت اخيرا ان تستنجد بالسيدة سرسق وتطلعها على كل شيء •

وأمسكت بسماعة الهاتف لتتصل بالقصر السرسقي المنيف •

ورد عليها أحد الخدم ليقول : بماذا تأمر سيدتي ؟

قالت : اريد التحدث الى السيدة سرسق •

قال الخادم بلغة فرنسية مهشمة : السيدة سرسق ليست هنا يا سيدتي • انها مدعوة الى تناول طعام الغداء في قصر السيد بسترس •

فأيقنت ان ما قاله زوجها المستشار صحيح •

يبدو ان جورج بيكو يهزأ بها •

دعاها الى تناول طعام الغداء في داره وركن الى الهرب ••

وعادت الى التفكير من جديد ••

ولاح في رأسها خاطر وامض سريع : فلتتصل هاتفيا بالمفوض السامي ••

وراقت لها الفكرة •

فرفعت سماعة الهاتف لتتصل بالمفوض السامي •

الا ان رنين الهاتف استمر دون ان تلقى جوابا ••

ولم تكن لتعلم لأي دار ، ولا لاي مكتب ، ولا لاي ديوان ، هو ذاك الرقم الذي حاولت الاتصال بواسطته بالمفوض السامي •

ذاك الرقم كان المفوض السامي قد نفحها به وقال لها : انه رقم هاتفي الخاص •

وقد ثبت لها ذلك ، عندما اتصلت بصاحب السعادة بواسطة ذلك الرقم ، ورد عليها بنفسه بالامس •

وألقت بالسماعة من يدها ، وقد عزمت على ان تشخص الى دار المفوض السامي • حتى اذا لم تجده تركت له بطاقتها كي تثبت له انها لبت الدعوة الكريمة في الموعد المضروب ، وان سعادته لم يكن صادقا معها ، ولا هو كان مخلصا وفيا •••

وأسرعت الى دار المفوض السامي الخاصة في محلة الجناح •

واذا بها تفاجأ بسيارة صاحب السعادة تجثم امام تلك الدار •

ترى أيكون صاحب السعادة هنا ؟

ومأدبة السيد بسترس ؟

أتراه تخلف عن تلبية تلك الدعوة ؟

ووقفت امام الباب تطرقه ••

وفتح الباب ، واذا بها وجها لوجه امام صاحب

السعادة .

ورحب بها المفوض السامي شديد الترحيب .

وأمسك بيدها هامسا : لقد تأخرت في الحضور يا كلوديت . موعدنا في الساعة الواحدة وها ان الساعة تشرف الان على الثانية بعد الظهر .

قالت : الحقيقة هي انني لم اكن اتوقع ان اجدك هنا .

قال باستفهام : لماذا ؟ هل يخيل اليك ان المفوض السامي لا يفي بما وعد ؟ أأدعوك الى تناول طعام الغداء على مائدتي ، ثم اركن للفرار ؟

قالت ، وهي تسير قربه الى قاعة الاستقبال : لقد علمت انك مدعو لتناول طعام الغداء في قصر السيد بسترس .

فابتسم ، وهمس : أيكون الغداء في القصر البسترسي بين رجال السياسة وسيدات المجتمع ، افضل منه هنا معك يا كلوديت ؟

وكانا قد وصلا الى قاعة الاستقبال فجلس .

وجلست قربه .

وتابع جورج بيكو حديثه ليقول : لقد مللت احاديث السياسة ، ومرأى وجوه السياسيين ، لذلك فأنا قد اعتذرت عن حضور مأدبة السيد بسترس لاتناول طعام الغداء واياك .

قالت : انني لاشكرك يا صاحب السعادة على هذه العاطفة النبيلة السمحاء •

ووقف ليقول : تعالي • سنتناول الطعام • ليس هنا اي خادم • اننا وحدنا • لقد هيأ لنا الطاهي الطعام وذهب في حال سبيله •

وتأبط ذراعها وسار بها الى قاعة فسيحة ، مدت فيها مائدة عامرة بانواع الطعام الشهي •

فجلسا يأكلان ويتبادلان الاحاديث •

وبدأ الحديث بينهما عاديا •

لقد تحدثا عن الطقس ، وعن جمال لبنان الطبيعي ، الشبيه بجمال فرنسا •

ثم انتقلا بالحديث الى الاجتماع •

فتحدثا عن المجتمع البيروتي ، وعن سيدات بيروت الانيقات الجميلات الفاتنات ••

ثم تطرق الحديث الى السياسة ، والى مقام فرنسا في لبنان •

فتحدثا عن السياسيين اللبنانيين ، والسياسيين السوريين ، ومطامعهم وتشوقهم الى المناصب العالية •

ورأت كلوديت رودان ان الفرصة سانحة امامها لخدمة السيدة سرسق ، ولطرح اسئلتها على المفوض السامي •

فالتفتت اليه لتقول : وماذا سيكون مصير بلادنا في لبنان يا صاحب السعادة ؟

قال : نحن اليوم هنا . والله وحده يعلم ماذا سيكون في الغد .

قالت : هل يخيل اليك اننا سنرحل يوما عن هذه البلاد ؟

فصمت ولم يجب بحرف ..

وعادت كلوديت الى السؤال : هل يخيل اليك اننا سنرحل يوما عن لبنان ؟

قال ، بعد صمت قصير : قلت لك ان المستقبل بيد الله ، ولكن يخيلُ الي اننا باقون الان في لبنان لسنوات عدة، ولكنني أخشى أن نلقى متاعب ومشقات في تثبيت اقدامنا على هذه الارض الطيبة المعطاء .

قالت : ما هي هذه المصاعب والمشاكل التي تتخوف منها ؟

قال : ان العالم يخرج الان من حرب طاحنة ضروس، والدول الكبرى تنظر الى الدول الصغرى بعين الطمع والجشع والاشتهاء . صحيح اننا اصبحنا المنتدبين الان على لبنان ، وعلى سوريا ، ولكن علينا ان نذكر دائما ان حلفاءنا البريطانيين متمركزون بجوارنا في فلسطين ، وفي شرق الاردن ، وفي مصر ، ومطامعهم في هذه البلاد

أصبحت معروفة.

قالت: ولكن ألم نأتِ إلى هنا بطلب من أهل البلاد وبموافقة الدول الكبرى ومنها بريطانيا أيضاً؟

قال : انت ما زلت صغيرة يا كلوديت على التحدث بالسياسة ، وعلى خوض غمارها ، وادراك كنهها . دعينا من هذه الاحاديث الان ، وحدثيني عن نفسك ، عن شعورك ، عن عاطفتك وعن حبك .

قالت : عاطفتي اصبحت معروفة لديك ، ان عينيّ لتحدثانك ابدا عن هذه العاطفة الملتهبة المتقدة السعير ، ولكنني كفرنسية تحب بلادها يهمني جدا ان اعلم ما هو مصيرنا نحن الفرنسيين في هذه البلاد . لقد اثرت مخاوفي عندما حدثتني عن المصاعب والمتاعب التي سنضطر الى مواجهتها في لبنان .

قال : يسرني ان ألمس فيك الوطنية الصادقة والحب العميق لبلادك يا كلوديت .

ما دمت تصرين على معرفة كل شيء فاسمعي اذن :

ان البريطانيين دهاة السياسة . هم لن يطالبوا باقصائنا عن هذه البلاد بصورة علنية ، الا انهم سيعملون في الخفاء على اثارة ابناء هذه البلاد ، وابناء البلدان العربية المجاورة ضدنا .

انهم يلوحون للملك فيصل بانشاء مملكة له تمتد من

لبنان الى سوريا الى داخل الصحراء .

وانني لأخشى ان يستطيع البريطانيون اثارة ابناء البلاد ضدنا ويحملوهم على تأييد هذه الفكرة .

اذا استطاعوا ذلك فان المتاعب ستواجهنا وسنضطر الى مجابهة القوة بالقوة .

قالت ، وكأنها من اساطين السياسة : يلوح لي أن هذا الحلم ، حلم المملكة العربية ، بعيد التحقيق ، كما يلوح لي ان الشعب اللبناني لن يؤيد هذا المشروع .

قال : ان الذهب يفعل العجائب ، والبريطانيون ، كما تعلمين ، اغنياء يستطيعون ان يحاربونا بذهبهم وبأموالهم.

وصمت المفوض السامي برهة ، ليعود الى الكلام بعد صمت ، ليقول : على كل هذا ما يلوح لي . ولكنه مجرد افتراض ، لا اكثر ولا اقل .

انني على يقين الان من ان مقامنا متين هنا ، وان اللبنانيين والسوريين يؤيدوننا ، لاسيما الزعماء اللبنانيون الذين استطعنا ان ننال ثقتهم ومحبتهم .

هذا فضلا عن ان مجلس ادارة لبنان الاثني عشر . الذي كان العثمانيون قد حلوه في اوائل الحرب عندما الغوا امتيازات الجبل ، والذي بعثناه نحن حيا عندما جئنا الى هذه البلاد ، هذا المجلس بأعضائه الاثني عشر يؤيدنا ، ويرفض الانضمام الى سوريا تحت لواء الملك

فيصل .

وهذا ما يطمئننا بعض الاطمئنان .

قالت بخبث ومكر ودهاء : ولبنان ؟ ما هو مصيره ؟ هل هو سيظل تحت رعايتنا ، ام انكم تنوون منحه الاستقلال ؟

فابتسم وهمس : الاستقلال ؟! وهل باستطاعة لبنان ان يستقل الان ؟ وفي هذه الظروف الحرجة الرهيبة ؟

قالت : معنى هذا ان اللبنانيين لن يذوقوا لذة الحكم !

قال : انا لم اقل هذا . لم اقل ان اللبنانيين لن يذوقوا لذة الحكم ، بل قلت اننا لا نفكر الان باستقلال لبنان. ان اللبنانيين يحكمون الان .. مناصب الدولة الكبرى في ايديهم ، وسياسة البلاد الداخلية في قبضتهم .

خذي مثلا المستشارين الفرنسيين ، الذين يتولون شؤون البلاد ، ويديرون دفتها ... هل هم الذين يحكمون ؟..

الجواب يا كلوديت : لا .. لا .. والف لا ..

ان الذين يديرون دفة الحكم في البلاد اليوم هم «السكرتيرية» ، امناء السر اللبنانيون .

ان هؤلاء الشبان اللبنانيين المثقفين ، الذين اطلقنا عليهم اسم «امناء السر» ، هم في الحقيقة المستشارون ،

وما المستشارون الفرنسيون سوى أصنام يديرها هؤلاء «السكرتيرية» •

ان زوجك مثلا ، وهو مستشار كبير في الدولة ، ماذا يعرف عن لبنان ، وعن احزابه ، وعن طوائفه ، وعن مناطقه ، وعن نزعات ابنائه وميولهم ، وعن مطالبهم واهوائهم وحاجاتهم ؟

انه لا يعرف شيئا •

الذي يعرف كل شيء ، هو سكرتيره الشاب اللبناني •

وجال طيف نهاد أمام عينيها ، والمفوض السامي يذكره في حديثه : ترى اين هو نهاد الان ؟

الا انها اقصت خيال الحبيب عن خاطرها ، لتعود الى اكمال مهمتها • وتمضي في طرح الاسئلة السياسية على صاحب السعادة •

قالت : هل سيستمر الحكم على هذا المنوال ، مفوض سام ، وحاكم ، ومستشارون فرنسيون ، وامناء سر لبنانيون • أيكون هذا هو نظام الحكم الذي سيتبع في لبنان ؟

قال : لا •• اننا نفكر بتشكيل حكومة يكون اعضاؤها كلهم من اللبنانيين • الا ان هذه الحكومة اللبنانية ستظل تحت اشرافنا ورعايتنا •

قالت : ومن هو الرجل اللبناني الذي تثقون بــه لتشكيل هذه الوزارة ؟

قال دون تردد : انه صديقنا اميل اده •• ان اميل اده قدم لنا كثيرا من الخدمات • ونحن نعده الان لتولي اكبر منصب في لبنان •• اليوم سيكون رئيسا للوزراء • ومن يدري قد يكون في المستقبل رئيسا للجمهورية ، هذا اذا اصبح في لبنان يوما جمهورية •

واكتفت زوجة المستشار بما سمعت من معلومات •

هذه المعلومات التي حصلت عليها ذات قيمة كبيرة ، من المؤكد ان السيدة سرسق ستكون مرتاحة كل الارتياح عندما تحمل اليها كل ما نطق به المفوض السامي ، وستجزل لها المكافأة ، وتسخو في العطاء •

وأقامت زوجة المستشار الحسنــاء في دار المفوض السامي حتى الخامسة من المساء ••

وعندمــا استأذنت بالانصراف ، قال لها المفوض السامي : انني اشكرك يا كلوديت على هــذه الزيارة ، وأرجو ان نلتقي دائما • ان هذه الدار خير مكان يمكننا ان نخلو فيه بعيدا عن العيون •

قالت: ان امانيك هي نفس اماني يا صاحب السعادة•• الى اللقاء •

قال : متى ؟

قالت : سأتصل بك هاتفيا •

قال : سيوصلك سائق سيارتي الى حيث تشائين •

ونادى اليه السائق ليقول : انت الان تحت تصرف السيدة كلوديت • سر بها الى حيث تأمرك ، ثم عد اليّ •

وودعته بحرارة •

واستقلت السيارة هامسة في اذن السائق : الى داري •

وطارت بها السيارة الفخمة الى دارها •

وما ان تخطت عتبة الدار حتى اسرعت الى الهاتف تتصل عبر اسلاكه بالسيدة سرسق ••

وردت عليها السيدة سرسق قائلة : اهلا •• لقد كنت انتظرك يا كلوديت !

قالت : لقد وصلت الان الى الدار ، وبادرت الى الاتصال بك •

قالت السيدة سرسق : ماذا لديك من الاخبار ؟

فأجابت : انها اخبار سارة ايتهاً السيدة سرسق !

قالت سيدة القصر السرسقي : تعالي الي ، انني بانتظارك •

فردت زوجة المستشار : انا تعبة • اريد ان انام الان• سأزورك غدا وأطلعك على اسرار كبيرة •

فتمتمت السيدة سرسق عبر الاسلاك الهاتفية : انني

قادمة اليك • دقائق قليلة ، وأكون عندك يا كلوديت •

ولاح من السيدة سرسق انها متشوقة الى الاطلاع على تلك الاسرار التي تحملها اليها زوجة المستشار •

وارتاحت كلوديت كل الارتياح لما تبديه السيدة سرسق من اهتمام بأخبارها ، فالقت بسماعة الهاتف لتلقي بجسدها البض الجميل على مقعد رجراج وثير ، ثم تشعل لفافة تنفث دخانها في الفضاء بانتظار وصول السيدة سرسق •

ولم يطل انتظارها ••

دقائق قليلة ، وأطلت عليها سيدة القصر السرسقي . والابتسامة تطفو على شفتيها •

وبادرتها بقولها : هل وفقت بالمهمة يا كلوديت ؟

وتمتمت زوجة المستشار رودان : كلوديت تثير اعجابك ايتها السيدة الحسناء •

فجلست السيدة سرسق قربها .وهمست : عندما تخلف المفوض السامي عن مأدبة السيد بسترس ايقنت ان مهمتك تكللت بالنجاح •• كان الجميع على المائدة يتحدثون عن اعمال المفوض السامي المرهقة الهامة التي اهابت به الى الاعتذار ، وكنت انا وحدي اضحك في سري ، واتمنى لك وله السعادة والاطمئنان والهناء •

فابتسمت زوجة المستشار لما تقول السيدة سرسق

وهمست : ارجو ان اتمكن من تحقيق آمالك وأمانيك ايتها السيدة سرسق •

وأشعلت السيدة اللبنانية الفاتنة لفافة لتقول : اخبريني الان ماذا فعلت ؟ وما هي هذه الاسرار التي تحملينها الي ؟

قالت زوجة المستشار : لقد اطلعني المفوض السامي على جميع نواياه ، او بالاحرى على النوايا الفرنسية بشأن بلادكم •

قالت : وما هي هذه النوايا ؟

فتمتمت كلوديت : ان فرنسا تنوي تسليم مهام الحكم الى اللبنانيين ، ولكنها ستظل هي الموجهة والمشرفة على هذا الحكم • اي انها لا تريد ان يفلت الزمام من يدها •

فتساءلت السيدة سرسق : وكيف سيتم ذلك ؟

قالت : بتشكيل وزارة ، يكون جميع اعضائها من اللبنانيين ، على ان تكون هذه الوزارة مرتبطة بالمفوضية العليا ، تعمل باشرافها ، وبتوجيهات المفوض السامي •

فابتسمت السيدة سرسق لتقول : اي ان الوزراء سيكونون موظفين في المفوضية الفرنسية ، ينفذون اوامرها ، ويأتمرون بأمرها •

قالت : لا اعلم كيف سيكون هؤلاء الوزراء • هذا كل ما علمته يا سيدتي •

قالت : والاستقلال ؟ هل حدثك المفوض السامي عن الاستقلال ؟

قالت زوجة المستشار : قال ان لبنان لا يستطيع الان، وفي هذه الظروف ، ان يكون مستقلا .

ثم ابدى المفوض السامي تخوفه مما يدور في البلدان المجاورة ، التي يبسط البريطانيون سلطانهم عليها ، مثل فلسطين ، ومصر ، وشرق الأردن.

ويخيل اليه ان البريطانيين يحرضون العرب على انشاء مملكة عربية تضم اليها سوريا ، ويكون حاكمها الامير فيصل .

لذلك ، فان المفوض السامي يتابع باهتمام كلي ما يجري في دمشق الان .

فصمتت السيدة سرسق برهة .

وانصرفت الى التفكير .

ثم عادت الى الكلام بعد صمت قصير لتقول : وهل وقفت من صاحب السعادة على اسم المرشح لتولي رئاسة الوزارة اللبنانية ؟

قالت : اجل ، انه اميل اده .

فوجمت السيدة سرسق ، وبدا الجد والاهتمام واضحين على وجهها .

وهمست : اميل اده ؟ مستحيل .. مستحيل .

ودهشت كلوديت رودان ، وهي تسمع تمتمة السيدة سرسق •

فقد كان يخيل اليها ان صديقتها السرسقية ستبتهج للخبر ، وستسر عندما تعلم ان اميل اده هو المرشح لتشكيل الوزارة الاولى في عهد الانتداب ، ذلك لان اميل اده هو صهر الحي السرسقي ، وعقيلته من آل سرسق • هذا ، فضلا عن ان صلات الود كانت متينة وثيقة بين السراسقة واميل اده ••

والتفتت كلوديت رودان الى صديقتها اللبنانية لتقول: الا يطيب لك ان يكون صهركم وصديقكم رئيسا للوزارة؟

فردت السيدة سرسق بقولها : لا ، لا اريد ان يصبح اميل اده ذا منصب ونفوذ • اميل اده يجب ان يظل كما هو عليه الان • مستشار المفوضية الفرنسية لا اكثر ، ويخيل الي ان هذا المنصب كبير عليه ايضا •

قالت السيدة سرسق هذا ، ثم استوت في مقعدها لتتابع كلامها فتقول : اسمعي يا كلوديت • ان مهمتك الصعبة بدأت الان • اريد منك ان تحاولي صرف المفوض السامي عن الاهتمام باميل اده ، فأنا لا اريد ان يصبح اميل اده رئيسا للوزارة ، او بالاحرى ، لا اريد ان يصبح هذا الشاب وزيرا •

قالت : وهل لديك من تريدين ان ترشحيه لرئاسة

الوزارة ؟

هل هناك من تفضلينه على اميل اده ؟

قالت : ان هناك شارل دباس .

كل ما اريد منك الان هو ان توغري صدر المفوض السامي على اميل اده ، وان تذكري شارل دباس امامه بالخير .

فنفثت كلوديت رودان دخان لفافتها في الفضاء لتقول بتساؤل ، وحيرة : انا لا اعلم لماذا تنتدبينني لهذه المهمة يا سيدتي . لا اعلم لماذا تطلبين الي ان اصرف المفوض السامي عن التفكير باميل اده في مجال تشكيل الوزارة ، ولفته الى شارل دباس ، بالرغم من انك على صداقة متينة بالمفوض السامي ، وتستطيعين ان تقومي انت بنفسك بهذه المهمة .

قالت السيدة سرسق : انا لا اريد ان اتدخل بهذا الامر بصورة علنية .

لا اريد ان يعلم المفوّض السامي ، ولا ان يعلم اميل اده انني ارشح شارل دباس لرئاسة الوزارة ، وانني اعمل على اقصاء ابن اده عن الحكم .

اريد ان يؤمن اميل اده بأن السراسقة كلهم معه، ولا اريد ان يعلم المفوض السامي انني احارب اميل اده .

لذلك ، فأنا سأعمل في العلن على تأييد اميل اده ؛

وأعمل سرا على محاربته .

فتمتمت زوجة المستشار : لا افهم ماذا تعنين يـــا سيدتي ، ولا استطيع ان افسر موقفك هذا . هل تحبـين اميل اده ؟

فصمتت السيدة سرسق .

وأدركت كلوديت رودان انها اصابت الهدف .

فالمرأة لا تحارب شابا الا اذا كانت تحبه .

اذن السيدة سرسق تحب هذا الشاب ، ولذلك فهي تحاول ان تقصيه عن المناصب العليا . تحبه وتحقد عليه .

وبدأت كلوديت رودان تفهم .

بدأت الغمام تنقشع امام عينيها .

فهي في قيامها بتنفيذ اوامر السيدة سرسق لا تخدم قضية سياسية فحسب ، بل هي تخدم قضية عاطفية ايضا .

وكلوديت رودان امرأة عاطفية ، تحب وتقـــدس الحب ، وتريد مخلصة خدمة اي حبيب ، او اية حبيبة .

فلا بأس اذن ان هي ادت للسيدة اللبنانية مثل هذه الخدمة العاطفية .

وساد الصمت برهة بينهما .

وعادت السيدة سرسق الى الكلام ، بعـــد صمت قصير ، لتقول : اسمعي يا كلوديت . انت لست غريبـة عني . انت الوحيدة التي ستعلم كل اسراري . لن اخفي

عنك شيئا . سأطلعك على كل شيء .. على كل شيء...

وبدأت تطلعها على كل شيء .

قالت : قبل ان يتزوج اميل اده من نسيبتي ، كان يتردد الى قصرنا ، وكان يخيل الي انه سيختارني زوجة له. كان كل املي ان اصبح السيدة اده ، وكان هناك رجل سرسقي من انسبائي يتودد الي ويريدني زوجة له ، الا انني كنت اجنح عنه ، وابتعد عنه ، لاتقرب من اميل اده الشاب الوسيم اللبق اللطيف الذكي الجريء .

لكني دهشت عندما علمت ان اميل اده لم يكن يفكر بالزواج مني ، وانه ينوي الزواج من احدى نسيباتي ..

ورحت اعمل جاهدة على استعادة حبيبي .

حاولت ان اقصيه عن حبيبته ، الا انني فشلت .

واذا باميل اده يتزوج من نسيبتي ، ويهدم احلامي واماني الوارفة العذاب . وتألمت .

تألمت بصمت ، وبكيت حتى جفت دموعي ، الا انني تمكنت من اخفاء ألمي ، وصمدت امام العاصفة العاتية الهوجاء .

كنت ، وانا اشاهد العروسين ، كأنني اشاهد مأتم قلبي .

الا انني تظاهرت باللامبالاة ، وعمدت الى الزواج من نسيبي ، الذي كانت آماله كلها تنحصر في ان اكون

عقيلته المصون .

وصمتت السيدة سرسق ، وقد وصلت بحديثها الى هذا الحد .

وترقرقت دمعة حيرى في عينيها ، وهي تستعيد ذكرى مصرع قلبها الهائم الولوع .

فالذكرى مؤلمة دامية رهيبة .

والامال المتداعية عزيزة على قلبها الصريع .

وساد الصمت بينهما .

واحترمت كلوديت رودان عاطفة صديقتها اللبنانية ، وتألمت لألمها .

وأية امرأة لا تتألم لألم صديقتها ، لاسيما اذا كان مصدر ذلك الالم العاطفة ، والقلب ، والشعور ؟

وطال صمتهما .

ولاح لزوجة المستشار ان صديقتها السرسقية في ثورة عاطفية مؤلمة ، لاح لها ان العبرات تخنقها ، وتقطع عليها سبيل الكلام .

فرأت ان تؤاسيها وتخفف عنها ، قالت : ما مضى قد مضى الان ، ونحن لا نستطيع ان نستعيد الاحداث يا سيدتي . كل ما نملك من الماضي هو الذكريات ، وعلى قدر ما تكون تلك الذكريات مؤلمة دامية ، على قدر ذلك تكون رائعة سعيدة حلوة . فحلاوة الذكريات وجمالها في

مرارتها ، وألمها ، وعذابها ، يا اختي •

ومسحت السيدة سرسق الدمعة العالقة في اهدابها، قبل ان تنحدر على وجنتيها •

وهمست : انا سأحطم هذا الشاب كما حطم قلبي• سأهدم كل آماله واحلامه وامانيه ، كما هدم اماني واحلامي وآمالي • انني افضل ان اراه جثة هامدة على ان اراه رئيسا للوزارة •

قالت كلوديت رودان مازحة : أإلى هذا الحد تحبينه ؟

قالت : احبه ، احبه وأحقد عليه • ان حبي اياه يوازي حقدي عليه • لن يرتاح قلبي المحطم الا وانا ارى احلام وآمال اميل اده تتداعى وتنهار •

فدفعت كلوديت رودان بلفافة الى السيدة سرسق ، وألقت بلفافة ثانية بين شفتيها •

ثم اشعلت اللفافتين وهمست : انت تحبين اميل اده، ولذلك فانك تعملين على اقصائه عن الحكم • ولكن هل لي ان اعلم لماذا تريدين ان تدفعي بشارل دباس الى سدة الرئاسة ؟ هل تبغضينه ؟ هل تبغضين شارل دباس كما تحبين اميل اده ؟

وابتسمت السيدة سرسق للنكتة •

فأطلت ابتسامتها ، من خلال دموعها ، كما تطل

الشمس من خلال غمام الشتاء .

وهمست : لا ، انا لا ابغض شارل دباس ولا احقد عليه ، ولا اريد له الكوارث والمصائب والويلات .. وراء محاولتي اقصاء اميل اده عن الحكم حب وانتقام . وراء هذه المحاولة اسباب عاطفية .

اما في محاولتي ايصال شارل دباس الى رئاسة الوزارة ، فان ثمة اغراضا سياسية طائفية .

قالت كلوديت : لم افهم شيئا .

فتمتمت السيدة سرسق : سأوضح لك الامر . لن اخفي عنك شيئا يا كلوديت . انت الصديقة المخلصة الوفية ، وقد بت اثق بك وباخلاصك وبمودتك . اسمعي يا صديقتي : في وصول شارل دباس الى الحكم خدمة سياسية لنا . فهو صديق مخلص وفي ، وهو بالتالي لبناني صميم ، واخيرا هناك خدمة طائفية لنا ، فهو ارثوذكسي مثلنا . وما دام الفرنسيون يريدون ان يعهدوا برئاسة الوزارة الى رجل لبناني ، فلماذا لا يكون هذا اللبناني ارثوذكسيا ؟ لماذا يكون مارونيا ؟

قالت كلوديت : وهل يضيركم اتم الارثوذكس ان يكون الحاكم اللبناني مارونيا ؟

قالت : لا .. هذا لا يضيرنا الان ، ولكنني انظر الى البعيد ، البعيد ، البعيد . غدا ، بعد سنوات بعيدة ، يوم

تتقاسم الطوائف المناصب في لبنان ، ستؤخذ بعين الاعتبار قضية تعيين اول رئيس للوزارة ، فاذا كان اول حاكم مارونيا ، سيظل هذا المنصب للموارنة ، واذا كان الحاكم الاول ارثوذكسيا ، فسيظل هذا المنصب للطائفة الارثوذكسية . لذلك فأنا اسعى الان الى اسناد رئاسة الوزارة لرجل ارثوذكسي ، باعتبار ما سيكون في المستقبل .

فأعجبت الفرنسية الحسناء ببعد نظر صديقتها اللبنانية .

يا لها من امرأة ذكية حاذقة .

يا لها من امرأة تحسن السياسة وتتقن اساليبها وفنونها ، وتسبر أغوارها وكنهها واسرارها .

والحقيقة هي ان تلك المرأة كانت تتربع على قمة الذكاء .

وقد برهنت ، طيلة مدة الانتداب الفرنسي ، على انها تجيد فنون السياسة ، وتتقن اصولها ، وتدرك خفاياها .

وكانت لها اليد الطولى في ادارة سياسة البلاد .

وفي ايصال بعض رجال لبنان العظام الى اعلى المناصب والمراتب .

ونفثت السيدة سرسق دخان لفافتها في الفضاء لتقول:

الان ، وقد اطلعتك على كل اسراري ، اريدك ان تجيدي القيام بالمهمة الشاقة الملقاة على عاتقك . وثقي انني سأرد لك الجميل ، وسأضع بين يديك كل ما تطمع اليه امرأة من مال ونفوذ ومقام .

قالت زوجة المستشار مجاملة : كل ما ارجوه هو ان اوفق في خدمة قلبك الدامي يا صديقتي العزيزة .

قالت : لقد علمت الان ما هي مهمتك !

قالت : أجل . علي ان اقنع المفوض السامي بصرف النظر عن الشاب الأدي ، وتحويله الى الاقتناع باسناد رئاسة الوزارة الى شارل دباس الارثوذكسي .

قالت : اجل . هذه هي المهمة . ولكن كيف ستنفذينها يا كلوديت ؟ ماذا ستقولين لجورج بيكو ؟

قالت : سأقول له ان شارل دباس افضل بكثير من اميل اده . فليكن اذن رئيسا للوزارة .

فابتسمت السيدة سرسق وهمست : اذا فعلت ذلك ، فأنت ستورطين نفسك في مأزق لا تستطيعين الخروج منه .. سيقول لك المفوض السامي : لماذا ؟ وبماذا يمتاز شارل دباس عن اميل اده ؟ ولماذا ترشحينه لرئاسة الوزارة؟ وما هو عيب اميل اده ؟ سيمطرك المفوض السامي بوابل من الاسئلة المحرجة ، ولن تجدي جوابا واحدا لهذه الاسئلة .

قالت : وكيف ترين اذن ان ابدأ المهمة ؟

قالت : عليك اولا ان توغري صدر المفوض السامي على اميل اده ، دون ان تأتي على ذكر شارل دباس •

فتمتمت : كيف ؟ ماذا سأقول له لأوغر صدره على ابن اده ؟

قالت بعد تفكير قصير : ستقولين له : ان أميل اده ماروني ، والموارنة يحبون فرنسا • هذا صحيح ، ولكن علينا ان نذكر دائما انهم لبنانيون منكمشون على انفسهم، يرون في لبنان الامل الوحيد • وانهم لا يرضون ببديل عن الاستقلال • فهم يطمعون ابدا بالاستقلال ، فاذا شئتم ان تصرفوا اللبنانيين عن فكرة الاستقلال عليكم ان تقصوا الموارنة عن الحكم • رئيس الوزارة يجب ان يكون من طائفة منفتحة • طائفة ليس لها مطامع ، ولا مآرب ، ولا ميول عاصفة جامحة هوجاء ، قولي له هذا اولا ، ثم استعرضي واياه ، اذا تمكنت من ذلك ، بعض الاسماء •• حبيب ابو شهلا مثلا ، وهو ارثوذكسي ، كامل الاسعد (وهو والد احمد الاسعد ، وجد الرئيس كامل الاسعد) وهو شيعي ، احد ابناء ارسلان ، وهم دروز • ثم ، ثم اخيرا شارل دباس •

فابتسمت المرأة الفرنسية ، وقد ارتاحت كل الارتياح لآراء صديقتها اللبنانية •

وهمست : يا لك من امرأة داهية نابغة ، تتربعين على قمة الدهاء ، والحنكة ، والذكاء •

قالت : اذا استطعت ان تمثلي دورك بمهارة ، فستوفقين في مهمتك يا كلوديت • وتستطيعين ان تتمتعي بثقة المفوض السامي ، وبحبه وتقديره •

فتمتمت كلوديت رودان : اطمئني سأكون عند حسن الظن •

قالت : متى ستجتمعين بصاحب السعادة ؟

قالت : غدا اذا شئت •

فهمست : هل بينكما موعد ؟

قالت : لا ، لم نضرب موعدا ولكننا اتفقنا على اللقاء دائما • سأتصل به هاتفيا صباح غد ، ونحدد موعدا للقائنا •

فردت السيدة سرسق بقولها : لا ، لا تتصلي به انت الان • دعيه يتصل هو بك • يجب ان يتأكد من انك امرأة لها كرامتها ومقامها ، ومن انك لا تسعين اليه ، الا بقدر ما يسعى هو اليك •

قالت : واذا لم يتصل بي ؟

قالت :انا اؤكد لك انه سيتصل بك • اما اذا خاب املنا ، ولم يتصل المفوض السامي بك ، فعندئذ يظل المجال فسيحا امامك للاتصال به • فالوقت فسيح لدينا ،

والفرنسيون لن يعمدوا الى تأليف الوزارة اللبنانية اليوم، ولا غدا ، ولا بعد غد ، وربما لن يعمدوا الى ذلك بعد شهور .

ووقفت السيدة سرسق مودعة لتقول : ارجو المعذرة يا كلوديت على ازعاجي اياك . انت الان بحاجة الى الراحة . الى اللقاء ، وأرجو ان تتصلي بي غدا .

قالت كلوديت : سأتصل بك عندما يكون ثمة جديد لدي . ما ان يتم اتصال بيني وبين المفوض السامي حتى تجديني عندك .

وتصافحتا ..

وخرجت السيدة سرسق من دار المستشار رودان لتعود الى قصرها ..

ودخلت كلوديت الى غرفتها لتنزع عنها ثيابها ، وترتدي ثياب النوم ، وتستلقي على سريرها ، لتغرق في نوم هادىء ، عميق ، سحيق .

وطالت غفوتها ..

لقد طالت تلك الغفوة الى صباح اليوم التالي . فهي متعبة ، مرهقة ، شديدة العناء ..

واستفاقت في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي .

وكان اول من فكرت بصديقها الحميم نهاد العاطي..

لقد اشتاقت اليه •

نهاد حبيبها المفضل •

انه املها الوحيد •

لن يكون لها حبيب الا نهاد ••

ونهضت من سريرها ، وقد عزمت على ان تقضي ذلك النهار مع نهاد •

ستتصل به الان وتدعوه اليها • ثم تشخص واياه الى مكان قصي ، بعيد ، حيث تنعم قربه باللقاء الجميل المخضل الجناح !

وفجأة لمعت فكرة وامضة في رأسها •

لماذا لا تسعى الى خدمة حبيبها نهاد : من وراء علاقتها الطيبة بالمفوض السامي ؟

صحيح ، لماذا ؟

لماذا لا ترشح نهاد العاطي ، «وهو اسم مستعار لشخصية لبنانية كبيرة» ليتولى رئاسة الوزارة ؟

نهاد افضل وأحق من اميل اده ، ومن شارل دباس ••

وارتاحت للفكرة كل الارتياح ••

نهاد سيكون رئيسا للوزارة اللبنانية الجديدة •• لا شارل دباس ، ولا اميل اده •

وأسرعت الى الهاتف ، تتصل عبر اسلاكه بنهاد العاطي •

ورد نهاد عليها بفتور لم تعهده به •
فهمست بقلق واضطراب : نهاد ما بك ؟
قال : الاعمال كثيرة لدي الان • عندما انهي عملي سأتصل بك •
قالت : أتكون الاعمال لديك افضل وأهم مني ؟
قال : ارجو ان تنقطعي عن التحدث الي يا سيدتي •
فهالها بيانه ، وقد ادركت انه متبرم بها •
وخيل اليها انه ملّ هواها ، وان هناك من تزاحمها على قلبه •
فتحول قلقها الى ثورة غضب لاهبة عاتية حمراء •
وهدرت : ما بك ؟ اريد ان اعلم ما بك ؟
قال : قلت لك الاعمال متراكمة علي • ليس لدي متسع من الوقت للمسايرة وللمسامرة يا سيدتي •
قال هذا ، وأقفل الخط •
فوقفت ترتجف كأنها ورقة في مهب الرياح ، وقد استبد بها الغضب العاصف الشديد •
وأسرعت الى ثيابها ترتديها على عجل ، ثم تسرع بالخروج من الدار شاخصة الى دار الحكم ، والغضب يهزها هزا ، والغيرة الجمراء تعصف بقلبها الهائم الولوع ••
ووصلت الى دار الحكم فاقتحمت مكتب زوجها المستشار والغضب يهد كيانها ، ويطل من عينيها •

ودهش المستشار رودان ، وهو يشاهد زوجته تقتحم مكتبه على ثورة غضب ، فرحب بها محاولا تهدئة ثـــورة غضبها :

ـ اهلا وسهلا . تفضلي يا كلوديت . اجلسي .. اجلسي يا حبيبتي ..

وجلست الزوجة المصون ، وأشعلت لفافة ، راحت تنفث دخانها بسرعة واندفاع ، دون ان تنبس بحرف ..

وسألها المستشار : ما بك يا كلوديت ؟ أراك غضبى؟ أيكون ثمة ما اغضبك يا حبيبتي ؟

قالت ، والعقدة لا تفارق حاجبيها : وهل ثمة مـــا لا يغضب ؟ انت في عملك لا تهتم بي ، ولا تسأل عني ، ولا تكلف نفسك عناء حل معضلاتي ومشاكلي وهمومي .

قال : انا لا اعلم ان لديك مشاكل وهموما يا كلوديت. قولي لي ما بك اليوم ؟ ماذا لديك من مشاكل وهمـــوم ومعضلات ، وأنا اتكفل بتبديدها . ليس لـــك الا ان تأمري ، وما علي الا ان انفذ ما تأمرين .

فتظاهرت بالارتياح وهمست : لم اكن لأشك فـــي عطفك علي يا الفونس . ولذلك ، فقـــد شخصت اليك ، ارجو المعذرة على ما بدر مني الان من غضب .

قال : ماذا يغضبك يا حبيبتي ؟

قالت : لقد شخصت الى الاسواق لاشتري بعـــض

الاقمشة ، والاثاث لدارنا في صوفر ، الا انني عجزت . فمعظم التجار يجهلون الفرنسية ؛ وانا لا اعلم من العربية سوى كلمات قليلة ؛ وكدت اضيع بين تلك الازقة والاسواق الضيقة ، الملتوية ، العرجاء .

فطفت الابتسامة على شفتي المستشار ؛ وهمس : أهذه هي المعضلة المستعصية الحل التي اغضبتك يا حبيبتي ؟ اطمئني . سأنهي عملي عند الظهر ، وأشخص واياك الى حيث تريدين .

فنفثت دخان اللفافة في الفضاء ، وهمست بتهكم وهزء : أتكون عبقريا في النطق بالعربية ؟ قلت لك ان معظم التجار اللبنانيين يجهلون الفرنسية . ثم انا لا استطيع الانتظار حتى الظهر . اريد ان ابتاع ما اريد الان، وأعود الى الدار .

قال : فليرافقك اذن نهاد .

فارتاحت .

هذا كل ما تطمع به وتريد .

وصمتت لا تنبس بحرف .

فنادى المستشار الحاجب اليه ليقول له :

ادع لي السيد نهاد .

وخرج الحاجب ؛ ليدخل بعد لحظات قليلة السكرتير الانيق الوسيم .

ودهش نهاد العاطي وهو يشاهد زوجة المستشار •
وقال المستشار : ارجو يا نهاد ان ترافق كلوديت الى الاسواق •

فتظاهر نهاد باللامبالاة، وحياها بكل وقار وتهذيب.

وأدرك السكرتير كل شيء.

زوجة المستشار احتالت على زوجها لتخلو به •

يا لها من ماكرة داهية رقطاء •

وحاول نهاد العاطي ان يقطع على صديقته الطريق •

فقال : ولكن الاعمال متراكمة علي يا سيدي المستشار الآن • حبذا لو ترجيء السيدة كلوديت الموعد الى الغد •

ورمقته الفاتنة الفرنسية بنظرة غضب وعتاب •

وقال المستشار : لا بأس ، دع الاعمال الآن • واذهب مع كلوديت •

وكان المستشار حازما •

فصمت نهاد على مضض •

ليس له ان يرفض طلب سيده •

لقد اصدر المستشار أمره ، وما على السكرتير الا ان ينفذ ذلك الامر •

ووقفت الزوجة الحسناء •

والتفتت الى نهاد لتقول : هيا بنا •

وودعت الزوج العزيز ، وخرجت مع السكرتير •

وما ان وصلا الى الشارع العام ، حتى اوقفت زوجة المستشار سيارة ، والسيارات شبه نادرة يومذاك ، وصعدت اليهـا •

وأفسحت لنهاد مكانا قربها •

وقالت للسائق : الى صوفر •••

وهمس نهاد : ولكن ليس لدي متسع مـن الوقت للذهاب الى صوفر يا سيدتي • يجب ان أعود الى عملي•

فأمسكت بيده تشدها وتهمس : لن تعود الى عملـك اليوم •

قال : ارجو ان تعفيني من مرافقتك الى صوفر ، ايتها السيدة رودان •

فاستشاطت غضبا وغيظا •

وهدرت : ما بك؟ هل استطيع ان اعلم ماذا دهاك ؟ يخيل الي انك مللت هواي ، وانك تنوي الابتعاد عني، وان هناك من تجذبك اليها •

اسمع يا نهاد ، اذا صح ما أتوقع ، فانت لن تسلم• اذا تأكدت من خياتتك ، فأنا سأطلق عليـك الرصاص • رصاصة واحدة ، وأخلص منك •

وكانت مخيفة في تهديدها •

وادرك نهاد انها جادة في ما تقول ، الا انه لم يخش وعيدها ، ولا ارهبه تهديدها •

فتمتم : الخيانة ؟ انت آخر من يحق له ان يتكلم عن الخيانة .

فتساءلت : ماذا تقول ؟ هل يخيل اليك انني خائنة ؟

قال : لست ادري . تستطيعين ان تلقي سؤالك هذا على صديقك الجديد المفوض السامي .

فأدركت ان الغيرة العمياء تعصف بقلبه المتقد اللهيب. واطمأنت ...

فالغيرة ابنة الحب ، وما دام يحبها فمن الطبيعي ان يغار عليها .

وطفت ابتسامة زاهية على شفتيها النديتين .

الحمد لله ، ثم الحمد لله ، ليس ثمة في قلب نهاد هوى غير هواها ، وما هناك امرأة سواها تشغل تفكيره.

وعادت يدها تشد يده.وهمست : ثق يا نهاد انني مخلصة لك،شديدة الاخلاص .

فرد بهزء وسخرية : انت مخلصة لي ، تماما مثل اخلاصك لزوجك .

فآلمتها الوخزة الدامية .

الا انها صمتت على مضض ، ولم تنبس بحرف .

وراحت السيارة تتسلق بهما التلال والوهاد في طريقها الى صوفر .

وساد الصمت أرجاء السيارة .

فلا نهاد نطق بحرف ، ولا هي نبست بكلمة واحدة •

بل اخذ كل منهما يستعرض الجبال والوديان ، والتلال الخضراء المترامية الاطراف . على جانبي الطريــق الملتوي البعيد •

ووصلت السيارة بهما الى صوفر •

وطلبت كلوديت الى السائق ان يتوقف بسيارته امام دارها •

وترجلت من السيارة والتفتت الى نهاد لتقول : تفضل بالترجــل •

وهمس نهاد : لن أترجل • انا سأعود الى بيروت •

وهددت : في محفظتي مسدس سريع الطلقات • اذا لم تترجل فأنا سأطلق عليك الرصاص ، وستُنشر فضيحــة كبرى ، وتصدر الصحف غدا وعناوينها واحدة : «زوجة المستشار صرعت السكرتير» •

وترجل نهاد من السيارة •

وادار السائق محرك سيارته وعاد ادراجه ، بعــد ان تقاضى اجرته ، وهو يبتسم •

يبدو انهما عاشقان متيمان •

صحيح هو لم يفهم شيئا من الحديث الذي دار بينهما بالفرنسية ، الا انه استطاع ان يعلــم انــه حيال حبيبين متخاصمين •

وفتحت كلوديت باب الدار بمفتاحها الخاص ودخلت. ودخل وراءها نهاد .

وقادته الى قاعة الاستقبال ، وهمست مازحة : هل يتفضل حضرة السكرتير بالجلوس ؟

وجلس على مقعد رجراج وثير، دون ان ينبس بحرف. واتجهت هي الى قاعة الطعام ، لتعود حاملة بعض المشروبات والطعام .

وجلست قربه لتهمس بلطف ودلال : نهاد .. ما بك يا حبيبي ؟

لماذا تحاول ان تعكر علينا صفو حبنا وهوانا ؟

لماذا تغضب وتحرضني على الغضب ؟

ما هي الجريمة التي اقترفتها ؟

ما هو ذنبي ؟

ما هي خطيئتي ؟

قال : اتسألينني ، وانت تعلمين كل شيء ؟

قالت : أعلم انني لم ارتكب جريمة . انني مخلصة لك . ثق أنني مخلصة كل الاخلاص . وانني لم افكر يوما بان التفت الى رجل غيرك .

قال ، وقد بدأ يستعيد هدوءه : والمفوض السامي ؟

فابتسمت ابتسامة مكر وهزء ودلال ، هامسة : يا مجنون ، أيخيل اليك ان بيني وبين المفوض السامي عواطف

وهوى ؟ مجنون . انني اقسم بان الجنون ليس ببعيد عنك. دعك من هذه الهواجس والأوهام ، وثق ان كلوديت وفية مخلصة طاهرة الذيل .

قال : هل استطيع ان اعلم اين كنت امس ؟

قالت : ألـم اقل لك ان السيدة سرسق دعتني الـى تناول طعام الغداء على مائدتها ؟

فانتفض ، وهدر بغضب : كاذبة .

ووجمت .

ماذا يقول نهاد ؟

هل وقف على الحقيقة ؟

هل علم أنها كانت في خلوة مع المفوض السامي ؟

اذا كان قد وقف على السر ، فعليها ان تهتدي الـى كذبة جديدة ، عليها ان تنقذ نفسها من الورطة .

كيف ؟ ليست تدري .

وتظاهرت بالغضب ، ونهاد يصفعها بكلمة «كاذبة».

والتفتت اليه تقول بغضب مزيف . ماذا تقول؟ انـا كاذبة ؟ لا .. انا لا اسمح لـك بأن تتهمني بالكذب .

قال : انت لم تتناولي طعام الغداء في القصر السرسقي. لا تحاولي اقناعي .. لقد اتصلت هاتفيا بالسيدة سرسق امس وقلت لها : «انا سكرتير المستشار رودان . لقد طلب الي المستشار ان اتحدث الى عقيلته في امر مهم» . فكان

جواب السيدة سرسق : «السيدة كلوديت ليست هنا ، ولكنها قد تحضر بعد الظهر» .

فاشتد الوجوم بزوجة المستشار .

يا له من شاب غيور خبيث .

لقد حسبت كل حساب وغفلت عن هذا الحساب ..

واقتربت منه على وله ودلال ، وهمست : الحقيقة هي انني كنت في قصر السيدة سرسق يا نهاد . ولكن سيدة القصر ، وقد وقفت على ما بيني وبينك من أسرار ، رأت ان الوقت لا يسمح بأن تتحدث الي ، واتحدث اليك .

فتمتم بغضب شديد : لماذا ؟

وأجاب نفسه على السؤال بقوله : انا اعلم لماذا . لانك كنت في شغل عني مع صاحب السعادة . أليس كذلك ايتها السيدة كلوديت ؟

فصمتت .

وكان صمتها بمثابة اعتراف صريح بما يقول .

والحقيقة هي ان كلوديت تنفست الصعداء وحبيبها يلصق بها تلك التهمة .

وعزمت على الاعتراف بانها كانت في خلوة مع المفوض السامي في قصر السيدة سرسق . فذلك خير لها من الاعتراف بانها كانت في دارة المفوض السامي .

الخلوة في قصر السيدة سرسق نصف مصيبة ، اما

الخلوة في دارة صاحب السعادة فهي مصيبة ونصف •

واستأنف نهاد الكلام بعد صمت قصير ليقول: اسمعي يا كلوديت، هذه العلاقة الوثيقة العرى بينك وبين صاحب السعادة تهيب بي إلى الابتعاد عن طريقك. أرجو أن تبتعدي عني، وأن تنسي كل ما كان بيننا. فلا تتصلي بي بعد الآن، ولا تدعيني أرى وجهك.

ووقف يهم بالمسير •

الا انها امسكت به لتقول : نهاد ! انا ما وطدت علاقتي بالمفوض السامي الا من اجلك • حبي اياك أهاب بي الى التفكير بمستقبلك ، ومن اجل ذلك سعيت الى ترسيخ صلتي بصاحب السعادة • صداقتي للمفوض السامي تضمن مستقبلك ، وتنثر في طريقك الزنابق والورود والرياحين •

وانتفض نهاد وهدر : أنا لا اريد ان اقوض دعائم قلبي وكرامتي ، لأبني على أنقاضها مستقبلي •

فلم تأبه لثورته ، ولم تعرها اي اهتمام •

واكتفت بان تشعل لفافة ، راحت تنفث دخانها في الفضاء على مهل ، دون ان تنبس بحرف •

وساد الصمت برهة بينهما •

واستأنف نهاد الكلام بعد صمت قصير ليقول: أنا الآن في أعلى منصب يطمح إليه لبناني. إني سكرتير المستشار،

وهذا يعني أن مقاليد الحكم في يدي، كلمتي لا ترد، ورأيي هو الرأي الصائب السديد.

فعادت كلوديت الى نفث دخان اللفافة في الفضاء لتقول : ألا تطمح في الوصول الى منصب اعلى يا نهاد ؟

قال بهزء : اذا كان المنصب ذاك سيأتيني بواسطة امرأة ، فأنا ارفضه كل الرفض ، لا سيما اذا كانت هذه المرأة حبيبتي •

قالت بكل رصانة وهدوء : حتى ولو كان هذا المنصب رئاسة الوزارة ؟

فوجم نهاد العاطي •

ماذا تقول كلوديت ؟

اتكون جادة في ما تقول ؟

ولمست زوجة المستشار الدهشة في عيني نهاد ، فاطمأنت كل الاطمئنان •

وراحت تنفث دخان اللفافة بكل رصانة وهدوء •

وعاد الصمت يلفهما بجناحيه •

وكانت المفاجأة شديدة على نهاد •

كلوديت تعلله برئاسة الوزارة ، وهذا يعني انه سيصبح الرجل الاول في لبنان ، بعد المفوض السامي، وسيعلو مقامه على مقام المستشار نفسه •

سيضطر المستشار الى طلب الاذن ليدخل عليه ، اذا

اراد مقابلته •

وسيهرع الزعماء ، والوجهاء ، والاثرياء الى طلب رضـاه •

وأغمض نهاد العاطي عينيه ليغرق في الحلم الزاهر، الزاهي ، الجميل •

وطال صمتها •

واخيرا ، وبعد صمت طويل ـ التفتت كلوديت رودان الى نهاد لتقول : ما هو رأيك في تسلم مهام الوزارة اللبنانية الاولى يـا نهاد ؟

قال : يخيل الي انه أمـل واه بعيد ، انـه حلـم صعب التحقيق يا كلوديت •

فأمسكت بيده تشدها وتهمس : ليس عند كلوديت رودان ما هو مستحيل • لقد بدأت أمهد لـك السبيـل لوصولك الى رئاسة الوزارة ، وكل ما اطلب منك هو ان تدعني أعمل بهدوء واطمئنان ، وتخفف من غيرتك العاتيـة الحمراء •

قال : ما حيلتي ، اذا كنت احبك ، واغار عليك •

فشدت يدها يده•وهمست : وهل يخيل اليك اننـي اتخلى عنك من اجل سواد عيني صاحب السعادة ؟ اطمئن• كلوديت مخلصة وفية • لن تخون هواك ، ولن تلتفت الى رجل سواك • اطمئن •• اطمئن •• اطمئن •

واطمأن نهاد العاطي كل الاطمئنان.ووثبت كلوديت اليه تضمه الى صدرها برفق وحنان ، وتهمس في أذنه : نهاد !•• يا حبيبي ، انت كل ما أملك في هذه الحياة • أنت روحي ، وقلبي ، ونور عيني •

وأطربته همساتها •

وضاع نهاد •

فشدها الى صدره •

وغرقا معا في يم مـن الهوى الجارف ، الطامي ، المجنون •

وقضيا طيلة ذلك النهار معا في صوفر ••

وعندما بدأت الشمس تتأهب للانحدار وراء الافق البعيد ، تاركة وشاحها الواهي الاصفر الضئيل يلف الوديان والتلال والوهاد الخضراء ، التفت نهاد العاطي الى حبيبته ليقول : يجب ان نعود الى بيروت يا كلوديت ، قبل ان يخيم الظلام على هذه الربوع •

قالت : كم يطيب لي ان اظل هنا قربك الى الغد •

فوجم : الى الغد ؟ مستحيل •

قالت : ولماذا ؟ الا تريد ان نظل معا هنا في هدوئنا وسكينتنا وبعدنا عن العيون ؟ هل مللت هواي يا نهاد ؟

قال : وددت لو بقيت العمر كله قربك يا كلوديت، ولكن ماذا سيكون من المستشار ، عندما يعلم اننا لـم

نذهب الى الاسواق لشراء ما تحتاجين اليه من اقمشة وآثاث ؟ ماذا سيكون منه عندما يعلم اننا شخصنا الى صوفر ، واننا قضينا النهار والليل معا ؟

قالت : اطمئن • انا على اتفاق مع ألفونس • لا هو يسألني ولا انا اسأله •• له ان يفعل ما يريد ولي ان افعل ما أشاء • فهو على ثقة عمياء بأنني مخلصة وفية له • أما أنا فانني أتظاهر بالغباء ، وأوهمه انني مؤمنة باخلاصه. وبوفائه ،وبنصاعة جبينه •

قال ، محاولا ان يدافع عن رئيسه : الحقيقة هي ان المستشار زوج مثالي • انه شديد الاخلاص والوفاء •

فقهقهت وتمتمت : لا تحاول التمويه علي واخفاء مساوىء واخلاق مستشارك ايها السكرتير • انا أعلم كل شيء •• اعلم أي علاقة تربط بينه وبين الموظفة الضاربة على الآلة الكاتبة في ديوانه ، وأعرف اي علاقة تربطه بالراقصة الفرنسية جولييت • واي علاقة تربطه بالارملة اللبنانية الحسناء • حتى خادمتنا لم تنج من شره ••

فدهش نهاد وهمس : تعرفين كل هذه الاسرار والفضائح ، وتسكتين عنه ؟

قالت : إنني أتغاضى عنه لأسباب عدة. أولاً : اغمض عيني عنه ليغمض عينه عني • فلا اسأله شيئا ولا يسألني•• ثانيا : انه كهل ، كما تعلم ، ولا يرجى منه خيرا • ثالثا :

انا لا احبه ، فلماذا أغار عليه اذن ؟

فوقف ليقول : يجب ان نعود الآن الى بيروت .

قالت : بل سنظل هنا الليلة ، ونعود صباح غد .

وحاول اقناعها بالعودة ، الا انها أصرت .

قالت : الجو هادىء هنا ، والليل ساج جميل . انا احب قضاء الليل في جبال لبنان يا نهاد . ما اجمل الليل في بلادكم . انه يذكرني بليالي فرنسا .. قمركم يذكرني بقمرنا ، ونجومكم بنجومنا . دعني أعيش في هذا الحلم الرائع ، الفاتن ، الجميل .

قال : أخشى ان يكتشف المستشار سرنا ، وهناك الطامة الكبرى . دعينا من الفضائح يا كلوديت .

قالت : دع الامر لي . لا تخش شيئا .

قال : قد يسأل المستشار عني فلا يجدني . قد يحتاج الي . يجب ان أعود ، يجب ان أعود .

قالت : لن يحتاج اليك ، ولن يسأل عنك ، والليل قد ارخى سدوله على لبنان . المستشار مشغول الآن في قضاء سهرة ممتعة مع احدى صديقاته ، وهو يفضل ان أظل بعيدة عنه .

وأقنعته ..

وقضيا تلك الليلة معا في صوفر يحسوان الخمر، ويجنيان ثمار الهوى والغرام .

وفي صباح اليوم التالي ، نهض نهاد ليقول لصديقته الفاتنة : والآن ؟ هل نعود الى بيروت ؟

فابتسمت ، وهمست : لا .

قال : بل يجب ان نعود الآن فورا . يجب ان أكون في عملي . لا استطيع ان أنأى عن مكتبي .

قالت : أريد ان أقضي النهار واياك هنا .

الا انه ابى .. وأصر .

وراح يرتدي ثيابه على عجل .

وأرغمها على ارتداء ثيابها ، هامسا : سنعود غدا ، او بعد غد . أما الآن ، فليس بوسعي ان ابتعد عن عملي. يجب ان اظل قرب المستشار .

وعادا الى بيروت ..

وقبل ان يفترقا قال نهاد : متى سأراك ؟

قالت : سأتصل بك هاتفيا هذا المساء . قد نقضي السهرة معا الليلة في احد ملاهي بيروت ، او في دار احدى الصديقات .

وضحكت ...

وتابعت حديثها لتقول : ومن يدري ، قد نعود الى صوفر .

قال : سأنتظر هاتفك اذن .

قالت : الى اللقاء يا حبيبي .

فهمس : الى اللقاء .

وشخص نهاد الى مكتبه في دار الحكم ، وهـو يردد في خاطره كلام زوجة المستشار : «انني امهد السبيل امامك للوصول الى رئاسة الوزارة» ..

وراح يحلـم ...

يحلم برئاسة الوزارة ، بالعظمة ، بالجاه ، بالسيارة الفخمة ، بالثروة الطائلة ، بالمقعد الثابت المتين الوثير .

الفصل السابع

شخصت زوجة المستشار الى دارها ..

وما ان تخطت عتبة الدار ، حتى وثبت خادمتها الحسناء اليها لتقول : المفوضية اتصلت بك هاتفيا ثلاث مرات أمس يا سيدتي .

فابتسمت : اذن كانت السيدة سرسق على حق ، عندما قالت لها : «لا تتصلي انت بالمفوض السامي ، هو سيتصل بك» .

وسألت كلوديت خادمتها : وهل هناك من اتصل بي غير المفوضية يا ليلى ؟

قالت ليلى : اجل . السيدة سرسق اتصلت بك مرتين ليلة امس ، وقالت لي : عندما تعود السيدة كلوديت فلتتصل بي فورا .

وهمست : شكرا .

ودخلت الى غرفتها ..

وقبل ان تنزع عنها ثيابها رن جرس الهاتف ..

واسرعت الى السماعة ترفعها وتهمس : آلو .. من؟

وخيل اليها ان المتكلم سيكون المفوض السامي ، الا انها كانت على خطأ .

فلم يكن المتكلم صاحب السعادة ..

كانت السيدة سرسق ..

وقالت سيدة القصر : كلوديت .. لقد اقلقت خاطري عليك . اين كنت طيلة نهار وليل امس ؟

قالت : كنت في صوفر .

قالت سيدة القصر مازحة : وحدك ؟ من هو ذاك الرفيق المحظوظ ؟

قالت : صديق .

قالت السيدة سرسق : ارجو ان تكوني قد تمتعت بالهناء والسعادة .. المهم ان صاحب السعادة حاول الاتصال بك مرارا عديدة امس ، وعندما عجز عن العثور عليك، اتصل بي يسأل عنك .

يبدو ان «صاحبنا» واقع في هواك ؟ ولا يطيق بعادا عنك !

قالت كلوديت : لا بأس ، على من يحب ويهوى ان يتعذب في هواه . فالحب دون عذاب لا طعم له ، ولا شكل ، ولا لون .

فقهقهت السيدة سرسق ، وقالت : ارى ان تتصلي انت به الآن • اتصلي به هاتفيا واتفقي واياه على موعد • ثـم عودي الى الاتصال بي • انا انتظر الاستماع الى صوتك عبر الاسلاك •

فهمست : سأتصل بك بعد دقائق قليلة •

قالت كلوديت هذا ، وألقت بالسماعة من يدها ، لتعود فترفعها ثانية لتتصل بصاحب السعادة •

وتعالى رنين الهاتف مرارا عديدة ، دون ان تلقـــى جوابـا ••

وألقت بالسماعة من يدها لتعود الى الاتصال بالسيدة سرسق ، فتقول : لم اجده •• يبدو انه متغيب •

قالت السيدة سرسق : رقم الهاتف الــــذي حاولت الاتصال به عبر اسلاكه هو رقمه الخاص • قد يكون رقم داره الخاصة ، او رقم داره المعلومة •• اتصلي به في دار المفوضية • ستجدينه في مكتبه •

وعادت زوجة المستشار الى الاتصال بالمفوض السامي في دار المفوضية •

وردت عليها عاملة الهاتف لتقول : ان المفـــــوض السامي مشغول الان ، لا يريد الاتصال بأحد •

فتمتمت كلوديت : يجب ان اتحدث اليه في امر مهم ايتها الانسة •

قالت العاملة : من تكونين يا سيدتي ؟

قالت : قولي له كلوديت •

وما هي ثوان قليلة حتى رن صوت جورج بيكو في اذنها : آلو •• من ؟ كلوديت ؟

وهمست : أجل كلوديت • انني في اشتياق رهيب اليـك •

قال : اين كنت امس ؟ لماذا لم تتصلي بي ؟ لقـد حاولت الاتصال بك مرارا عديدة فلم استطع الى ذلـك سبيـلا •

قالت : لقد دعتني احدى الصديقات اللبنانيات الـى زيارتها في قريتها ، فلم اتمكن من العودة فـي المساء ، وقضيت الليل عندها •

قال : متى اراك ؟

قالت : عندما تشاء •

قال : هل تتناول طعام الغداء معا ؟

قالت : كما تريد •

قال : سأكون بانتظارك اذن في الساعة الثانية بعـد الظهر في الدار •

فهمست : وسأكون عندك في الموعد المضروب •

واقفلت كلوديت الخط ، لتعود الى الاتصال بالسيدة سرسق ، وتطلعها على ما كان بينها وبين صاحب السعادة •

وتمتمت السدة سرسق عبر الاسلاك : عظيم . تعالي الي • انني في انتظارك •

فهمست : ولكنني متعبة • اريد ان ارتاح قليلا قبل ان اشخص الى دار المفوض السامي •

قالت السيدة سرسق : لا بأس • سأحضر انا اليك اذن ، انتظرني •

قالت : اهلا وسهلا •

وألقت بالسماعة من يدها ، لتدخل الى غرفتها ، فتبدل ثيابها ، وتصلح زينتها ••

وما هي الا دقائق قليلة ، حتى اقبلت السيدة سرسق، والابتسامة تشع على شفتيها •

ورحبت كلوديت رودان بصديقتها شديد الترحيب • وجلست قربها على المقعد الرجراج الوثير في قاعة الاستقبال •

وقبل ان تبدأ السيدة سرسق الحديث ، فتحت محفظتها وأخرجت منها خاتما من بلاتين وماس ثمين ؛ دفعت به الى السيدة الفرنسية الحسناء متمتمة : هذا لك يا كلوديت •

ودهشت كلوديت رودان حيال بريق الخاتم الوهاج •

وهمست : ما هذا ؟ انه ليبهر النظر •

فتمتمت السيدة سرسق : لك عندي هدايا كثيرة يا

كلوديت . انك لتؤدين لي خدمة كبيرة لا تقدر بثمن .

ورصعت زوجة المستشار بنصرها بالخاتم الثمين .

وراحت تنظر اليه بدهشة واعجاب ..

وعادت السيدة سرسق الى الكلام لتقول : اسمعي يا كلوديت ، يجب ان تتحدثي الى المفوض السامي اليوم حول الوزارة اللبنانية المقبلة ، وان تصرفيه عن التفكير بأميل اده ، الى التفكير بشارل دباس .

شارل دباس يجب ان يتسلم رئاسة الوزارة اللبنانية، لا اميل اده .

هل تفهمين ما اقول لك ؟

وصمتت كلوديت .

وراحت تفكر بحبيبها نهاد العاطي ، وهي لا تنفك تنظر الى الخاتم الثمين .

وتابعت السيدة سرسق كلامها لتقول : غدا ، عندما يصبح شارل دباس رئيسا للوزارة ، ستدركين اي كنز ثمين وصل اليك .

ستتدفق الاموال بين يديك ، وستصبحين بين الثريات في المقدمة .

وتمتمت كلوديت رودان : كيف ستتدفق الاموال بين يدي ؟ لست افهم ما تعنين ؟

قالت : ان شارل دباس لن يرد لي طلبا . وأنا لن ارد

لك طلبا • وستعمدين الى المتاجرة بالسياسة •

ألم تسمعي بالتجارة السياسية ؟

فابتسمت الغادة الفرنسية الحسناء وتمتمت : لا • انا لم اسمع بهذه المتاجرة الغريبة •

فأمسكت السيدة سرسق بيدها لتقول : التجـــارة بالسياسة تدر الارباح الطائلة • رأسمالها صداقة الحكام لا اكثر ، ولا أقل ، وأرباحها هائلة طائلة ، ضخمة •

كل طلب له ثمن : تعيين موظف تتقاضين ثمنه • التزام بناء ، او طريق ، له ثمن • صفقة معدات ، او آلات لهـا ثمنها •

انا سأرشدك ، وأقودك في هذا الطريق ، وستدركين اي كنز كبير وقعت عليه •

وهكذا يتضح لنا ان المتاجرة بالسياسة ، والرشوة . والفساد في لبنان متأصلة الجـــذور منذ مطلع عهـــد الاستقلال •

وربما كانت تلك الجذور متأصلة منذ العهد العثماني في هذه البلاد •

ورأت زوجة المستشار ان تصارح السيدة سرسق بما عزمت عليه فقالت : انت كل ما يهمك هو اقصاء اميل اده عن رئاسة الوزارة ، اليس كذلك ؟

قالت : أجل • ويهمني ايضا ايصال شارل دباس الى

سدة الرئاسة •

الخطوة الاولى التي يجب ان نخطوها هي اقصاء اميل اده •

اما الخطوة الثانية فهي ايصال شارل دباس •

قالت : واذا استطعت ان اقصي اميل اده ، وعجزت عن ايصال شارل دباس الى رئاسة الوزارة ؟

قالت : تكونين قد سرت نصف الطريق • انا يهمني ايصال شارل دباس الى سدة الرئاسة، بقدر ما يهمني اقصاء اميل اده عنها •

فأدركت كلوديت ان السيدة سرسق لن توافق على اسم نهاد العاطي مرشحا للرئاسة •

ورأت ان تحتفظ بالسر ، فقالت : سأعمل جاهدة على تحقيق امنيتك ايتها السيدة سرسق ، اقصاء اميل اده وايصال شارل دباس •

فوقفت السيدة سرسق لتقول : سأودعك الان لتأخذي لنفسك بعض الراحة ، قبل ان تشخصي الى دار صاحب السعادة • ارجو ان تتصلي بي هاتفيا فور عودتك•

قالت : سأتصل بك واطلعك على كل ما يكون بيني وبينه • اطمئني • سأجرب ان اكون عند حسن الظن •

وخرجت السيدة اللبنانية من دار زوجة المستشار •

ودخلت كلوديت الى غرفتها لتمعن النظر في الخاتم

الرائع الجميل •

وابتسمت : يبدو ان السيدة سرسق شديدة السخاء • بالامس اهدتها سوارا ، واليوم تهديها خاتما •

والهديتان ثمينتان ، لم تكن زوجة المستشار لتحلم يوما بالحصول على احداهما •

واستلقت على السرير لتستعيد في مخيلتها كل ما قالت السيدة سرسق •

لقد وعدتها بتدفق الثروة بين يديها ، اذا وصل شارل دباس الى سدة الرئاسة • فأي ثروة اذن ستتدفق عليها اذا وصل حبيبها نهاد العاطي ؟

وعزمت زوجة المستشار على ان تعمل لحسابها الخاص •

ستخدم السيدة سرسق باقصاء اميل اده عن رئاسة الوزارة • ولكنها ستخدم نفسها في ايصال حبيبها الى تلك الرئاسة •

وطال تفكيرها ••

ورمقت الساعة المشدودة الى معصمها ، فاذا بها تشير الى الواحدة والنصف بعد الظهر • فوثبت ترتدي ثيابها على عجل ، وتخرج من الدار لموافاة صاحب السعادة في الموعد المضروب •

ووصلت الى دار المفوض السامي المنزوية في محلة

الجناح ، فوق الرمال الباسمة السمراء .

وكان جورج بيكو في انتظارها . فاستقبلها بالترحيب الشديد .

وقادها الى قاعة الطعام هامسا : سنتكلم على المائدة، تعالـي .

وجلسا الى مائدة مدت فوقها اشكال الطعام الشهية. وراحا يتحدثان أحاديث شتى وهما يتنـاولان الطعام .

وبعد ان انتهيا من تناول الطعام ، خرجا الى قاعـة الاستقبال ، وجلسا فوق مقعد وثير يدخنان ويتحدثان ..

ورأت كلوديت ان تبدأ حديث السياسة مع صاحب السعادة .

فقالت : الحقيقة ان الاقامة في هذه البلاد الجميلـة تروقني ، الا تروقك انت الاقامة هنا يا سيدي ؟

قال : انك لعلى حق . فالاقامة في لبنان لا تختلـف عنها في فرنسا ، فالطبيعة متشابهة ، جبـال ، ووديان . وتلال ، ووهاد .

قالت : الا انني اخشى الا تطول اقامتنا في هـذه البـلاد .

فابتسم وهمس : اطمئني . ان اقامتك انت . ستطول هنا ، اما انا فلا اعلم متى اغادر لبنان .

قالت بدهشة واستغراب : هل يعني ذلك ان الفرنسيين سيرحلون عن لبنان ؟

قال : لا •• ما هذا عنيت • فالفرنسيون، وقد حطوا في هذه البلاد ، لن يخرجوا في سنة ، ولا في سنتين ولا في ثلاث سنوات • قد تطول اقامتهم الى ربع ، او نصف قرن، وربما طالت إلى قرن، أو إلى قرون عدة. فاطمئني. انت وزوجك ستظلان هنا •

قال هذا ، ثم نفث دخان لفافته الفاخرة في الفضاء ليكمل مازحا : الا اذا اشتقت اليك وأرسلت في طلبك •• فعندئذ ستضطرين الى مغادرة لبنان •

قالت : ارجو ان نظل هنا معا •

قال : مستحيل • انا ما جئت هذه البلاد لاظل فيها• سأغادرها • ولكنني لا اعلم متى •

قالت : هل ستغادر لبنان قبل تشكيل الوزارة اللبنانية ؟

فهمس : لست ادري •

قالت : وهل عزمتم على تأليف وزارة لبنانية في العاجل الوشيك ؟

قال : هذا ما تم الاتفاق عليه الان •

قالت : اما زال اميل اده المرشح الوحيد لتشكيل الوزارة ؟

قال : هذا ما يبدو •

قالت ، وهي تحاول البدء بتنفيذ المهمة : انا لا اعلم لماذا وقع اختياركم على اميل اده • لماذا لا تكلفون لبنانيا غير اميل اده بتشكيل الوزارة الاولى ؟

قال: لأسباب عدة. أولها أن إميل إده صديقنا وله في عنقنا جميل يجب ان نعيده اليه ، وآخرها انه رجل ذكي يستطيع ان يسير بمركب الحكم الى المرفأ الامين •

قالت : اسمحوا لي ان اخالفكم الرأي يا سيدي •

فابتسم وهمس : ما هو رأيك ؟

قالت : رأيي ينحصر في ان تبحثوا عن رجل لبنانـــي غير اميل اده ليكون رئيسا للوزارة •

[illegible] الدهشة في عيني المفوض السامي وهمس:

لم[illegible]

Genuik: Organization ... Alexandria Library (GOA

قالت : لأسباب عدة ايضا •

اولها أن اميل اده صديقكم كما تقولون ، وانتـــم لستم بحاجة الى استمالته ليصبح صديقكم •

وآخرها اناميل اده ماروني، وانتم متهمون بمحبتكم للموارنة •

ومن المؤكد ان تكليف شخصية مارونية بتشكيـــل الوزارة الاولى ، سيثير نقمة وحقد سائر الطوائف فـــي لبنان •

ونفث المفوض السامي دخان اللفافة في الفضاء

وهمس : من لقنك هذا الدرس ؟

فوجمت ؛ أيكون صاحب السعادة قد اكتشف سر علاقتها بالسيدة سرسق ؟

يبدو ان المفوض السامي يبلغ من الذكاء حدا بعيداء

فهو قد استطاع ان يعلم ان تلك الاراء التي تبديها ليست من بنات افكارها •

الا انها رأت ان تمضي في تمثيل دورها •

فأبدت لامبالاة في ما يقول صاحب السعادة •

وهمست : انا لست بحاجة الى من يلقنني الدروس يا سيدي • ان ما دعاني الى ابداء هذا النصح ، هو محبتي لفرنسا ، وتقديري لسعادتكم •

فابتسم وتمتم بمكر وخبث ودهاء : هل لديك مرشح غير اميل اده لرئاسة الوزارة ؟

فأدركت انه ينصب لها كمينا •

ورأت ان تبتعد عن الكمين المنصوب •

فهمست : لست ادري ، ليس لدي اي مرشح •

ولكن الرجال اللبنانيين الذين يستطيعون القيام بالمهمة كثيرون يا سيدي •

قال : ليس لدي اسم مرشح الان غير اميل اده •

فاذا كان لديك انت اي اسم فأنا على استعداد لدرس

الامر •

فصمتت •

وانصرفت الى التفكير •

هل تبوح بالاسم ؟

هل تقول له : هناك نهاد العاطي ؟

وطال صمتها •

فاستأنف جورج بيكو الكلام ليقول: ما بك تصمتين يا كلوديت ؟ من هو مرشحك ؟

وجورج بيكو كان داهية ، كان ذكيا ، يستطيع ان يكتشف ما وراء الكلمات من اسرار ، وما وراء النظرات من اهداف •

ولذلك ، فهو قد ادرك ان هناك مرشحا لدى زوجة المستشار •

ورأى ان يعمل جاهدا على انتزاع اسم ذاك المرشح•

وتمتمت كلوديت : انني افكر وأبحث عن اسم رجل لبناني غير اسم اميل اده •

قال : وهل اهتديت الى الاسم ؟

قالت بكل مكر وخبث : لا •• ولكن ••

قال : ولكن ماذا ؟

قالت : لماذا لا تعهدون برئاسة الوزارة الى احد امناء السر ؟ ان «السكرتيرية» مخلصون لفرنسا ، وتستطيعون

ان تجعلوا من السكرتير الذي تكلفونــه برئاسة الوزارة صنيعة لكم ، يأتمر بأمركم ، وينفذ جميع مطالبكم ، في حين انكم لن تستطيعوا ذلك مع اميل اده •

فعاد الى الدهاء ، وهمس : امناء السر كثيرون ، فمن هو ، في نظرك ، ذاك الذي يستطيع ان يقوم بالعبء ؟

قالت : انا لا اعرف امناء السر كلهم • لا اعرف منهم سوى سكرتير زوجي نهاد العاطي •

فلمعت ابتسامة هازئة على ثغـــر المفوض السامي ، وهمس : نهاد العاطي لا يصلح رئيسا للوزارة •

فانتفضت وتمتمت : لماذا ؟

قال: لان صاحبك نهاد العاطي ماروني ايضاء وشفيعه لدينا لمنصب امانة السر هو البطريرك المارونـــي ، وأنت تطلبين اقصاء الموارنة عن رئاسة الوزارة •

فوجمت •

وأدركت انها اخطأت •

فهي لم تكن تعلم ان نهاد العاطي مارونيا •

لم تفكر يوما في ان تسأله : هل انت مارونــــي ام ارثوذكسي ؟

ولمس المفوض السامي ارتباكها وقلقها • فابتســــم وهمس : كلوديت • انت لا تصلحين للعمـــــل السياسي • فالسياسة لا تتعرف الى العاطفة •

العاطفة قلب • والسياسة عقل ، وهما لا يتفقان ولا يتحدان •

ان صديقك نهاد العاطي يكاد ينوء تحت عبء امانة السر ••

السكرتيرية كثيرة عليه الان ••

قد يصلح وزيرا ، ولكن ليس الان • بل بعد عشر او عشرين سنة •

وقد صحت نبوءة جورج بيكو ، فأصبح نهاد العاطي وزيرا ، ولكن بعد سنوات بعيدة وأمد طويل •

وعادت كلوديت رودان تعتصم بالصمت •

فهي قد فشلت في مهمتها •

وقد يكون المفوض السامي على حق •

هي لا تصلح للسياسة ، وقد سلكت طريق العاطفة والحب والشعور •

السياسة كذب ، ومكر ، ونفاق ، وخداع •

والعاطفة صدق ، وهوى ، واخلاص ، وتفان •

وأمسك المفوض السامي بيدها يشدها ويهمس : اذا كنت تريدين ان تخدمي صديقك نهاد العاطي ، فعليك ان تريثي ، ان ابن العاطي في مقام رفيع ، انه ارفع مقام يطمح اليه لبناني ، فليكتف بهذا المنصب الان •

فعادت زوجة المستشار الى الصمت تعتصم به •

وانصرفت الى التفكير !

ماذا عليها ان تفعل الان ؟ هل تقف عند هذا الحد ؟

هل تعلن فشلها في المهمة التي أنتدبت اليها ؟

هل تتراجع ؟

وطال تفكيرها .

وكان المفوض السامي يراقبها بطرف خفي وهو يدخن ..

واخيرا ، وبعد تفكير طويل ، قررت كلوديت ان تمضي في تنفيذ المهمة التي عهدت بها اليها السيدة سرسق.

ما دامت لا تستطيع ايصال حبيبها نهاد العاطي الى رئاسة الوزارة ، فلتخدم السيدة سرسق وتعمل على ايصال شارل دباس .

والتفتت الى المفوض السامي لتقول : انك تتهمني بمحاولة خدمة نهاد العاطي ، ولكنك على ضلال يا سيدي. انا لا اريد ان اخدم احدا . ما هناك سوى فرنسا ، سوى وطننا . الوطن فقط يستحق خدمتنا وتضحياتنا .

فعادت ابتسامة الهزء تشع على شفتي جورج بيكو ليقول : المرأة لا تخدم احدا الا قلبها . وقليلا هن اللواتي خدمن اوطانهن من النساء .

لقد قلت لك: انت تصلحين حبيبة، ولكنك لا تصلحين سياسية .

اسمعي من صديقك جورج بيكو ، ولا تتدخلي في الامور السياسية يا صديقتي .

فابتسمت ، محاولة المضي في المخادعة ، والمراوغة ، والتضليل

— : انك لعلى ضلال يا سيدي . فالنساء اللواتي خدمن أوطانهن كثيرات . ما قولك في جان دارك ؟

قال : ان فرنسا التي انبتت مئات ، بل الوف الرجال العظام، الذين رفعوا اسمها عاليا، لم تنبت سوى جان دارك واحـدة .

قالت : ما لنا ولهذا الحديث الان .

انا ما جئت الى هنا لاتحدث بالسياسة .

ما لنا ولهذا الحديث المزعج .

قال : الان تكلمت الحقيقة . ما لنا ولهذا الحديث. قولي لي ما هي مشاريعك العاطفية ؟

فاتسعت الابتسامة على شفتيها وهمست : ليس لدي اي مشروع عاطفي ، انني مهتمة بأمور داري وزوجي.

فضحك وقال : مسكين هذا الزوج الذي تهتمـين بأموره .

وراحا يتمازحان ويتسامران ..

وفجأة انتفضت كلوديت وتمتمت : لقد خطرت فكرة في رأسي الان .

قال : ما هي هذه الفكرة ؟

قالت : وقعت على اسم رجل قدير يستطيع ان يقوم بأعباء رئاسة الوزارة ، وهو ليس مارونيا .

فهمس : من هو ؟

قالت : شارل دباس .

فصمت المفوض السامي ، وظهر على وجهه الجد والحزم .

وعادت زوجة المستشار الى الكلام لتقول : ان شارل دباس رجل ذكي قدير ، وهو يستطيع ان يؤدي لفرنسا خدمات جلى ، وتعيينه رئيسا للوزارة يستميل ابناء طائفته الارثوذكس الينا .

ومضى جورج بيكو في التدخين والتفكير .

قد تكون هذه المرأة الجميلة على حق .

ان اسناد رئاسة الوزارة الى شخصية ارثوذكسية يضمن تأييد الارثوذكس لفرنسا .

وعادت زوجة المستشار الى الكلام، بعد صمت قصير، لتقول : ما هو رأي صاحب السعادة في ما ابديت ؟

قال : قد تكونين على حق هذه المرة . الا ان الامر يحتاج الى درس وتفكير .

ليس لنا ان نرتجل مثل هذه المقررات الخطيرة ارتجالا .

قالت، وهي تنظر اليه نظرة وله وحب واغراء : انه

ليسرني جدا ان يعمل صاحب السعادة بنصيحتي ، ويصدر مرسوما بتعيين شارل دباس رئيسا للوزارة اللبنانية الاولى •

قال : انني اعدك بدرس الامر يا كلوديت •

واكتفت زوجة المستشار بهذا القدر من المسير في طريق الخطة المرسومة •

لقد قامت بما عليها الان ، ونفذت اوامر سيدة القصر السرسقي •

اذا وفقت في مهمتها فان السيدة سرسق ستغمرها بالهدايا النفيسة الثمينة •

هذا ، فضلا عن الثروة الطائلة التي وعدتها بها اذا ما وصل ابن الدباس الى رئاسة الوزارة •

الفصل الثامن

طارت كلوديت رودان الى السيدة سرسق تعلن لهـــا النبأ المفرح السار •

قالت : لقد سرنا شوطا بعيدا في طريق النجاح يـــا صديقتي • نقلت الى المفوض السامي كل ما قلتـــــه لي ، فأبدى اهتمامه بالامر ، ووعدني بأن يدرس قضية اسناد رئاسة الوزارة الى صديقك شارل دباس •

وابتسمت السيدة سرسق ابتسامة رضى وارتياح •

وتمتمت : اخبريني كل ما جرى بينك وبين صاحب السعادة من حديث يا كلوديت •

واخبرتها كل شيء •••

لم تخف عنها شيئا ، الا قصة ترشيح نهاد العاطـــــي لرئاسة الوزارة •

واطمأنت السيدة سرسق كل الاطمئنان ، وهي تسمع حديث صديقتها الفرنسية •

وأيقنت ان شارل دباس سائر في الطريق الى رئاسة الوزارة •

وآمنت بالمثل القائل : اذا اردت ان تصل الى مأرب لدى الحاكم ، فما عليك الا ان تستعين بامرأة حسناء •

ولمعت الابتسامة الزاهية على شفتي السيدة سرسق•

وهمست : كلوديت ! اذا استطعت ان توفقي في ايصال شارل دباس الى رئاسة الوزارة ستصبحين سيدة عظيمة في لبنان •

وتمتمت زوجة المستشار بتيه واعتداد : اطمئني •• صديقتك كلوديت ستوفق ان شاء الله ، ولكن ••

فتساءلت السيدة سرسق بوجل : ولكن ماذا يا كلوديت ؟ هل هناك عقبة تعترض سبيل مهمتك ؟

قالت : لا ، ابدا ، ولكن علينا ان نتريث • يبدو ان مشروع تأليف الوزارة اللبنانية لن ينفذ في العاجل الوشيك •

قالت سيدة القصر : هل وقفت من صاحب السعادة على موعد تشكيل الوزارة اللبنانية الاولى ؟

قالت : لا ، ولكن لاح لي منه ان الفرنسيين غير مستعجلين لتسليم زمام الحكم الى اللبنانيين •

فتمتمت السيدة سرسق : علينا ان نسعى منذ الان لايصال صديقنا شارل دباس الى رئاسة الوزارة لئلا يدهمنا

الوقت • يجب ان تواصلي مساعيك لدى المفوض السامي يا كلوديت ، وانا سأساعدك في مهمتك الصعبة الشاقة •

وتمتمت زوجة المستشار : اطمئني ، اطمئني • صديقتك كلوديت ستكون عند حسن الظن ••

قالت صديقة المفوض السامي هذا ، ووقفت تودع سيدة القصر السرسقي •

وشدت السيدة سرسق يد الفرنسية الحسناء وهمست : سأتصل بك ، واتفق واياك على تنفيذ خطة جديدة تكفل اسناد رئاسة الوزارة الى شارل دباس •

•••

رأت السيدة سرسق ان تعمل بنفسها لتوطيد الصداقة بين جورج بيكو وشارل دباس •

فهي لن تقف مكتوفة اليدين ، بل عليها ان تساعد صديقتها زوجة المستشار في مهمتها •

وشارل دباس لم يكن بقريب ولا ببعيد عن الفرنسيين•

فقد كان شارل دباس يومذاك من انصار ومؤيدي مجلس ادارة لبنان •

وكان الفرنسيون قد اعادوا تشكيل ذاك المجلس الذي حله العثمانيون في بدء الحرب العالمية عام ١٩١٤ •

وقد رأى الفرنسيون ، فور دخولهم البلاد ، ان

يعيدوا اعضاء هذا المجلس الى مناصبهم ، وان يعشوا المجلس حيا .

وكان شارل دباس رجلا حكيما ونزيها وذكيا ، وكان الفرنسيون يحبونه ويحترمونه .

فرأت السيدة سرسق ان توطد الصداقة بين مرشحها لرئاسة الوزارة وبين الفرنسيين ، كي تقطع الطريق على اميل اده الى رئاسة الوزارة .

وانصرفت سيدة القصر السرسقي الى التفكير .

كيف ستوطد تلك الصداقة ؟

وكيف تضرم حرارة المحبة بين جورج بيكو وشارل دباس ؟

ولم يطل تفكيرها ...

ستقيم مأدبة عشاء في قصرها تدعو اليها كبار رجال الانتداب ، وبعض وجهاء وزعماء البلاد ، وسيكون شارل دباس بين المدعوين .

وجلست السيدة سرسق تعرض اسماء المدعوين : شارل دباس ، وأعضاء مجلس ادارة لبنان ، امناء السر ، بترو طراد ، جورج ثابت ، احمد الداعوق ، سامي الصلح، عمر بيهم ، شارل دباس ، واخيرا اميل اده .

وتوقفت السيدة سرسق عند اسم اميل اده .

هل تدعوه الى الوليمة ؟

لا .. لن تدعوه .

اميل اده يجب ان يقصى عن المأدبة .

ولكن .. اميل اده رجل ذكي . وهو سيدرك فورا السبب في تجاهله . وسيكتشف انها تعمل ضده .

لن يكون اميل اده أبعد وأعمق ذكاء منها .

ستدعوه ، وستبالغ في تكريمه ايضا لتبعد الشبهة عنها .

ودعت السيدة سرسق كبار رجال الانتداب ، وزعماء ووجهاء البلاد ، الى وليمتها العامرة السمحاء .

وشع الجمال اللبناني والفرنسي في القصر السرسقي تلك الليلة . فكانت جميلات لبنان وجميلات فرنسا في القصر الشاهق المنيف .

ومن الطبيعي ان تكون كلوديت رودان بين المدعوات وان يكون صديقها امين السر نهاد العاطي بين المدعوين .

وتصدر المفوض السامي المأدبة .

وجلس الى يمينه شارل دباس ، اما عن يساره فقد كانت صديقته زوجة المستشار الفرنسي الفونس رودان ، السيدة كلوديت .

وكان مقعد اميل اده في المؤخرة بين ضابط فرنسي رفيع المقام ، وسيدة لبنانية جميلة .

ولم يكن اميل اده مرتاحا لابتعاد مقعده عن مقعد صاحب السعادة •

وأدرك بذكائه وحدة ذهنه اي مأرب هو مأرب السيدة سرسق في ابعاده عن مقعد المفوض السامي •

الا انه تجاهل الامر ، واكتفى بان يهمس في آذان جيرانه ، المدعوين والمدعوات ، ببعض الكلمات اللاذعة حول المفوض السامي وصديقته كلوديت رودان ، الجالسة الى يسار صاحب السعادة •

وراح يغمز من قناة صاحب السعادة وصديقته الفرنسية الحسناء والسيدة سرسق هازئا متهكما •

وفي اليوم التالي انتشرت ، بفضل اميل اده ، الشائعات والاخبار حول علاقة المفوض السامي بزوجة المستشار ، ودور السيدة سرسق في تمهيد الاجتماعات بينهما ، وتوطيد العلاقة بين صاحب السعادة وزوجة المستشار •

واصبحت هذه الاخبار والشائعات المكبرة احاديث الحي السرسقي والاوساط الارستقراطية في بيروت ••

لقد عرف اميل اده كيف ينتقم من سيدة القصر •• .

ولكن السيدة سرسق استطاعت ان تسير شوطا بعيدا في طريق تنفيذ خطتها المرسومة ، واستطاعت ان تلفت المفوض السامي الى صديقها المفضل ، ومرشحها لرئاسة

الوزراء شارل دباس .

وقيل يومذاك ان مأدبة السيدة سرسق تلك ، كان لها الاثر البالغ البعيد في تحويل انظار رجال الانتداب عن اميل اده الى شارل دباس .

وبدأت انباء مشروع الوزارة اللبنانية تنتشر في الاوساط السياسية في لبنان .

وتداولتها المحافل السياسية .

وكان من الطبيعي ان يبرز اسم اميل اده ، صديق الفرنسيين الحميم ، كمرشح لتأليف الوزارة .

وراح اميل اده يستعد لتولي المنصب الرفيع .

وذهب الى ابعد من ذلك ، لقد ذهب الى حد اجراء اتصالات ببعض رجال السياسة ، تمهيدا لتوزيع المناصب الوزارية عليهم .

الا ان اميل اده فوجيء، ذات يوم، ببزوغ اسم شارل دباس كمرشح لرئاسة الوزارة .

فدهش ...

وازداد دهشة وهو يلمس تقرب شارل دباس من جورج بيكو فجأة .

فقد اصبح ، بين ليلة وضحاها صديق المفوض السامي الحميم .

ولم يكن اميل اده الرجل الذي يغلب على امره ، ولا

هو بالسياسي السهل المنال .

فقد كان رجلا فذا شديد الذكاء ، شجاعا الى ابعد حدود الشجاعة .

فما كان منه الا ان عمد الى محاربة جورج بيكو .

وشخص الى باريس ، يسعى عن طريقها ، الى اقصاء شارل دباس عن رئاسة الوزارة ، ليعود هو المرشح الوحيد لهذا المنصب الرفيع .

ووفق اميل اده في الحؤول بين رئاسة الوزارة وشارل دباس .

وقيل يومذاك ، انه وفق ايضا في محاربة جورج بيكو ، لان جورج بيكو استدعي بعد ايام قليلة الى باريس ، ليحل محله في المفوضية في بيروت الجنرال غورو .

وسادت الدهشة الاوساط اللبنانية .

وكان قد خيل لهذه الاوساط ان مدة اقامة جورج بيكو في لبنان ستطول الى سنوات بعيدة ، لانه كان رجلا سياسيا ماهرا ، وكان لطيف المعشر ، محبوبا ذكيا .

وكان قد بدأ ينظم السياسة اللبنانية ، وينشىء الدوائر والمصالح ، ويسن القوانين للدولة اللبنانية الفتية .

وكان اقصاء جورج بيكو عن المفوضية الفرنسية في لبنان ، وتعيين الجنرال غورو خلفا له ، مفاجأة كبرى

لسيدة القصر السرسقي ، ولصديقتها كلوديت رودان ..

وأدركت السيدة سرسق ان كل ما بنته من حصون ومعاقل قد نسف .

وانها غلبت على امرها .

وان تعيين شارل دباس رئيسا للوزارة بات مستحيلا.

وخيل لسيدة القصر ، كما خيل لمعظم اللبنانيين ، ان لسفر اميل اده الى باريس علاقة وثيقة باقصاء جورج بيكو عن الحكم في لبنان .

وقيل يومذاك : اميل اده عزل جورج بيكو .

ومنذ ذلك اليوم ، بدأ اسم اميل اده يلمع . وبدأ مقامه يرتفع .

وبدأت سطوته ومقدرته وقوته تظهر بوضوح .

وقد خيل للبعض ان اميل اده هو فرنسا كلها ، وان كلمته هي الكلمة النافذة المسموعة عند الفرنسيين .

وان ليس ثمة من يستطيع ان يزاحم هذا الرجل في مقامه لدى أسياد باريس وحكامها .

الا ان الجميع كانوا على خطأ ، لانه لم يكن ثمة اية علاقة بين سفر اميل اده الى باريس ، وبين اقصاء جورج بيكو عن الحكم في لبنان ، واحلال الجنرال غورو مكانه.

والحقيقة ، ان الاحداث الكبيرة في المنطقة ، هي التي اهابت بالحكام الفرنسيين الى عزل جورج بيكو ، واحلال

الجنرال غورو مكانه ..

والاحداث تلك ، كانت تدعو الى تعيين رجل عسكري قوي على رأس الحكم في لبنان وسوريا ، وهي أحداث عسكرية .

قيل يومذاك ان الانكليز هم الذين اوجدوها ، وانهم يرمون من ورائها الى انتزاع لبنان وسوريا من ايدي الفرنسيين ، واقصائهم عن الشرق بكامله .

وبدأت تلك الاحداث تظهر بوضوح ، في مطالبة بعض ابناء المنطقة بضم البلدين لبنان وسوريا الى مناطق النفوذ الانكليزي .

اي الى شرق الاردن وفلسطين ، تحت ستار وحدة عربية ، وتنصيب الامير فيصل ملكا على تلك المنطقة .

وكان البريطانيون يشجعون الزعماء في البلدين على المطالبة بالوحدة العربية تحت لواء الامير فيصل .

في حين كانوا يرمون من وراء ذلك انتزاع لبنان وسوريا من ايدي الفرنسيين .

وبعد ان يرحل الفرنسيون عن الشرق يبقى لكل حدث حديث .

وتحمس بعض الزعماء اللبنانيين والسوريين للفكرة.

وراحوا يعملون على تحقيقها سرا .

وتدفق الذهب الانكليزي على لبنان وسوريا .

واستطاع الذهب الانكليزي ان يعزز فكرة الوحدة تحت لواء الامير فيصل ، لدى بعض اعضاء مجلس ادارة لبنان .

وكانوا اثني عشر عضوا هم : سعد الله الحويك ، خليل العقل ، سليمان كنعان ، محمود جنبلاط ، فـؤاد عبد الملك ، محمد صبرا الاعور ، محمد محسن ، الياس الشويري ، يوسف البريدي ، نعوم باخوس ، حسين الحجار .

وكان حبيب باشا السعد رئيسا لهذا المجلس .

وقد خطف بريق الذهب البريطاني انظار بعض اعضاء هذا المجلس ، فوضعوا عريضة يطلبون فيها الوحدة العربية تحت راية الامير فيصل .

ولم يذكروا في مذكرتهم تلك اي وحدة عربية يطلبون ، وما هي البلدان العربية التي ستنضم الى هذه الوحدة .

ولكنهم اكتفوا بذكر كلمة «الوحدة» العربية فقط ..

وفيما هم يستعدون لرفع هذه العريضة الى الامير فيصل دهمهم رجال الانتداب .

وصادروا المذكرة منهم ، ونفوهم الى خارج البلاد، في حين هرب بعض الزعماء والوجهاء ، الذين اشتركوا في

وضع المذكرة ، الى خارج البلاد .

وكان الامير فيصل يومذاك متربعا في دمشق ، يسعى لاقامة العرش العربي ، ويقوم باتصالات واسعة مع بعض كبار الزعماء العرب ، ومع ضباط ورجال الانتداب البريطاني .

وكاد حلم الامير العربي يصبح حقيقة واقعة ، لاسيما ومعظم القادة العرب يؤيدونه ، والذهب البريطاني ينشر حوله دون حساب .

الا ان الفرنسيين تنبهوا للامر . فاستدعوا جورج بيكو الى باريس ، وأوفدوا قائدا عسكريا ليتولى شؤون الامن في البلاد .

وجاء الجنرال غورو الى لبنان قائدا عسكريا ومفوضا ساميا .

وراح يعمل في الحقل السياسي ، وفي الحقل العسكري في وقت واحد ، محاولا ان يشيع الهدوء والاستقرار في المنطقة ، وان يصرف الامير فيصل عن المطالبة باقامة المملكة العربية .

وجرت مفاوضات بين الجنرال غورو والامير فيصل، كادت تتكلل بالنجاح ، وكاد الامير فيصل يخرج من دمشق ، وينسحب الى شرقي الاردن .

ولكن السلطات الانكليزية ، التي كانت تراقب تطور

الحال من بعيد ، راحت تعمل على تقويض كل ما بناه الجنرال غورو ، وصورت للامير العربي العرش قريبا منه : ولماذا ترضى بالانسحاب يا سمو الامير ؟

وفشلت المفاوضات بين الجنرال غورو والامير فيصل.

وعاد الامير الى المطالبة بالعرش .

ورفضَ جميع الحلول والمقترحات التي قدمها القائد الفرنسي .

وفي الثامن من شهر آذار سنة ١٩٢٠ نودي بالامير فيصل ملكا على سوريا وحدها .

املا في ان يتم ضم لبنان ، في المستقبل ، الى المملكة السورية ، ويصبح الامير ملكا على سوريا ولبنان .

ثم يضم اليهما في المستقبل ، كما وعده البريطانيون، شرق الاردن وفلسطين .

وتوترت العلاقات بين الملك السوري الجديد وبين الجنرال غورو .

وساءت الحال .

فزحف الجنرال غورو بجيشه الى دمشق ونشبت الحرب ..

وفي الرابع والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٢٠ ، احتلت القوات الفرنسية دمشق ، وأخرجت الامير فيصل منها (الذي لم يهنأ بالعرش العربي ولم تعش مملكته سوى

اربعة اشهر فقط) •

وبسط الفرنسيون سلطانهم على سوريا ولبنان معا •

وانصرفوا الى تنظيم امور البلاد الداخلية ، والى توطيد الامن ، والى وضع القوانين ، وسن الشرائع •

وأصبحوا أسياد البلاد بلا منازع •

في هذه الاثناء ، كان زعماء لبنان السياسيون ما زالوا ينتظرون تسلم الحكم وتشكيل وزارة لبنانية مئة بالمئة ، يكون رئيسها وجميع وزرائها من اللبنانيين •

وكانوا ينتظرون انتهاء العمليات العسكرية ، لتحقيق ذلك الحلم •

ولذلك ، فما ان استتب الامر للفرنسيين ، وعاد الجنود الفرنسيون الى ثكناتهم ، حتى عاد الوجهاء والزعماء الى احياء فكرة الوزارة اللبنانية •

ولكن الجنرال غورو ، وهو رجل عسكري ، لم يكن مستعدا لبحث مثل هذه الامور في ذلك الوقت ، لانه كان يفكر في مشروع اكبر وأوسع •

وعادت السيدة سرسق الى الظهور على المسرح السياسي ، بعد ان هدأت الحال ، واستتب الامن ، وخمدت نار الحرب •

وعادت المآدب لتقام في القصر السرسقي على شرف الجنرال غورو •

وتقربت السيدة سرسق من الجنرال غورو •

وحاولت ان توطد صداقتها به ، بعد ان ادركت ان كلوديت رودان ، التي استطاعت ان تسير شوطا بعيدا في طريق استمالة جورج بيكو ، لن تستطيع ان تستولي على قلب الجنرال غورو ، وهو رجل عسكري تقدم في السن ، لا وقت لديه ، ولا رغبة في خوض المعامع العاطفية، واستبدال المعارك الحربية بالمعامع الغرامية •

واستطاعت السيدة سرسق ان توطد صداقتها بالجنرال الفرنسي •

وكان الجنرال غورو يرتاح كل الارتياح الى تلك السيدة اللبنانية الثرية السخية الحسناء •

وكان يثق بها ثقة بعيدة المدى •

فاستغلت السيدة سرسق تلك الثقة ، كي تنفذ مآربها السياسية ، وتقصي حبيبها الغادر اميل اده عن الحكم •

وذات ليلة من ليالي شهر آب من علم ١٩٢٠ ، جلست السيدة سرسق على شرفة قصرها الفخم مع المفوض السامي الجنرال غورو يدخنان ويتحدثان ••

وقد دار بينهما حديث سياسي خطير •

(روت السيدة سرسق هذا الحديث لأحد أصدقائها بعد عشرين سنة ، وهو حديث يكشف الكثير عن تطور

الاحداث السياسية يومذاك) •
قالت السيدة سرسق :
الآن ، وقد اصبحتم أسياد لبنان وسوريا معا ، ماذا سيكون مصير بلادنا يا سيدي الجنرال ؟
وبكل هدوء ورصانة قال غورو : منـــذ ان وطئت قدماي أرض هذه البلاد ، وأنا افكر بمصير بلادكم يـــا سيدتي •
ان بلادكم في وضع دقيق ، الكلمة فيها غير موحدة، والآراء متضاربة ، والخصومات السياسية منتشرة بصورة تدعو الى الدهشة والاستغراب •
وهذه الامور تثير قلقي ومخاوفي ، ويخيل الي ان تضارب الآراء واختلافها ، والخصومات والنعرات السياسية والطائفية ، ستجر هذه البلاد يوما ما الى مصائب وويلات•
انني أخاف على مصير بلادكم يا سيدتي •
قالت السيدة سرسق : وما هي مهمتكم اذن ، ان لــم تكن تأمين مصير بلادنا ؟
ما هي هذه المهمة ، ان لم تكن انقاذ البلاد مـــن الخصومات ، ومن الاختلافات ، ومن الويلات والمصائب؟
قال : مصير بلادكم في يدكم انتم • صحيح اننا نحن الآن الأسياد هنا ، واننا ملزمون بتأمين السعادة لهذه البلاد، والراحة، والطمأنينة ، والسلام لابنائها • ولكن ثقي ، ان

ليس ثمة من يستطيع ان ينقذ بلادا من خراب الا اهلها ٠

قالت ، محاولة الدخول الى الموضوع الذي يهمها ويقلق خاطرها :

والوزارة اللبنانية ، التي كان سلفكم جورج بيكو قد لوح بها ٠ ما هو مصيرها ؟

فصمت المفوض السامي برهة ليستأنف بعدها الكلام فيقول :

يلوح لي ان الوزارة هذه لن تحل المعضلة ، بل على العكس ، فهي ستزيد في نشوب الخلافات السياسية ، وتضرم نار الانتقام والثأر بين مختلف أبناء البلاد ٠

فوجمت السيدة اللبنانية ٠

يبدو ان فكرة الوزارة اللبنانية تبخرت ، وان حلها سائر الى الاضمحلال ٠

وتمتمت : ألن تعهدوا بالحكم الى اللبنانيين ؟

قال : اسمعي يا سيدتي ما اقول لك ٠

لقد اتصلت ببعض كبار رجال السياسة ، وببعض كبار رجال الدين ، محاولا الوقوف منهم على آرائهم في تشكيل وزارة لبنانية ، فاذا بما يدلون به من آراء متضاربة يثير حيرتي ٠

تصوري انني لم استطع ان أكوّن فكرة ، حتى الآن ، عن نوع وشكل هذه الوزارة التي تطالبون بها ٠

وما يضحكني ، هو ان لكل زعيم ، ولكل رجل دين، ولكل منطقة ، ولكل مؤسسة مرشحا لرئاســة الوزارة ، يختلف كل الاختلاف في ميوله ومآربه وشعوره عن المرشح الآخر .

لقد أصبحت على يقين من ان تشكيل وزارة لبنانية الآن ، وفي هذه الظروف ، سيشعل النار في البلاد ، ويضرم سعير الفتنة ، وأنا لست مستعدا ان اورط فرنسا في مأزق نحن بغنى عنه الآن .

قالت : لم افهم كيف سيثير تشكيل وزارة وطنيــة الفتنة في البلاد ، في حين ان جميع اللبنانيين يطالبون بالحكم الــذاتي .

قال : سأوضح لــك الامر .

ان اللبنانيين يطالبون بالحكــم الذاتي ، وكذلــك السوريين ، ولكن لم يتفقوا ، ولن يتفقوا على اسم الرجل الذي يشكل هذه الوزارة .

هناك من قدم لي اسم اميل اده .

وهناك من قدم اسم شارل دباس .

وهناك من يطالب بحبيب باشا السعد .

وهناك من قدم اسم محمد الجسر .

واستطيع ان أوضح لك اكثر من ذلك ، فأقول : ان هناك من هدد ، اذا أسندت رئاسة الوزارة الى اميل اده.

وهناك من توعد اذا عين محمد الجسر رئيسا للوزارة.

هذا ، فضلا عن ان «السنيين» يريدون رئيس الوزارة سنيا .

والمارونيين يريدونه مارونيا .

والدروز يريدونه درزيا .

والشيعيين يريدونه شيعيا .

والارثوذكس يريدونه ارثوذكسيا .

والكاثوليك يريدونه كاثوليكيا .

وهناك الاقليمية ايضا .

فأبناء الجبل يريدونه جبليا .

وابناء الساحل يريدونه ساحليا .

وهذا ما أهاب بي الى التفكير بمشروع يجمع عليه اللبنانيون كلهم غير الوزارة .

اما في سوريا ، فيختلف الامر عنه في لبنان .

فليس هناك في سوريا طوائف متعددة ...

فالعقدة الطائفية غير ظاهرة الظهور الكامل في سوريا. وهذا ما يسهل مهمتي هناك .

قالت السيدة سرسق : أفهم من حديث صاحب السعادة أنه عازم على تشكيل وزارة سورية ، وعلى ان يحرم لبنان من هذه الوزارة ؟

قال : لا .. ليس هذا ما اريد .

قلت لك انني افكر بمشروع جديد يرضى عنه جميع اللبنانيين .

مشروع يضمن للبنان الاستقرار الدائم ، والوحدة الوطنية العميقة ، ويضمن لسوريا ايضا الهدوء والازدهار.

قالت : ولكنكم وعدتم البلاد بالاستقلال . أتنقضون وعدكم ؟

فابتسم الجنرال غورو ابتسامة تخفي وراءها الف معنى ومعنى .

وهمس : اطمئني ايتها السيدة سرسق ، فنحن لن ننقض وعدنا ، تستطيعين ان تطمئني اصدقاءك السياسيين، وان تبشريهم بأن الجنرال غورو يهيىء لهم مشروعا كبيرا ضخما ، سيهز هذه البلاد هزا ، ويحظى بموافقة جميع اللبنانيين ، على اختلاف أهوائهم ، ومآربهم ، وطوائفهم، وميولهم .

وحاولت السيدة سرسق الوقوف من الجنرال غورو على ذلك المشروع الضخم ، الذي سيهز البلاد ويرضى عنه جميع اللبنانيين .

الا ان الجنرال الفرنسي أبى ان يفصح عما يدور في رأسه .

واكتفى بان يتمتم : مهلا ايتها السيدة سرسق ، ستعرفين كل شيء بعد ايام قليلة .

الفصل التاسع

صدق الجنرال غورو في ما قال للسيدة سرسق •

فقد كان مشروعه ، مشروعا ضخما، هز البلاد ، ورضي عنه جميع اللبنانيين على اختلاف ميولهم ، وأهوائهم ، وطوائفهم •

كان مشروعه ذاك ، لبنان الكبير •

وكان اعلان لبنان الكبير حدثا ضخما في تاريخ البلاد•

فقد وقف الجنرال غورو ، في اول ايلول عام ١٩٢٠، ليعلن اعادة ضم المدن والالوية التي كانت قد سلخت عن لبنان ، الى لبنان ، وهي لواء طرابلس ، ومدينة بيروت، واقضية صيدا ، وصور ، ومرجعيون ، وحاصبيا ، وراشيا، والبقاع ، وبعلبك •

وهي أقضية ، وألوية ، ومدن كانت لبنانية في عهد الامير فخر الدين ، الا ان الدولة العثمانية كانت قد اقتطعتها «وضمتها» الى بعض الامراء والمتنفذين ، فأعادها الجنرال

الى لبنان .

والى جانب اعلان لبنان الكبير اعلن الجنرال ديغول الاستقلال .

الا انه استقلال رمزي .

استقلال تحميه ، وتكفله ، وتشرف عليه ، وتديره فرنسا .

اي انه استقلال بالاسم فقط .

وبالرغم من ذلك الاستقلال الناقص ، فقد ارتاح اللبنانيون كل الارتياح لهذا الحدث الكبير ، لا سيما بعد ان اعلن الجنرال غورو ان لبنان الكبير سيحكمه حاكم باشراف الدولة الفرنسية .

وخيل لرجال السياسة ان ذلك الحاكم سيكون لبنانيا. فصفقوا للفكرة .

من المؤكد ان جميع رجال السياسة سيتناوبون على ذلك المنصب الكبير الرفيع .

ولم يحتج رجال السياسة على إلغاء فكرة الوزارة اللبنانية .

ولماذا يحتجون ما دام هناك حاكم ؟

وما دام ذلك الحاكم سيكون لبنانيا ؟

وراح كل سياسي يعمل على استلام الحكم .

كل منهم يريد ان يكون حاكم لبنان الكبير .

وأخذوا يتقربون الى الجنرال غورو والى رجال المفوضية المقربين من الجنرال •

وشخصت الانظار الى اميل اده •

وقال الجميع : سيكون ابن اده اول حاكم للبنان الكبير •

ووصل النبأ الى السيدة سرسق فوجمت •

اذا وصل اميل اده الى المنصب الرفيع الكبير ، فهي ستصاب بالجنون •

مستحيل ، اميل اده لن يكون حاكم لبنان ، وهي على قيد الحياة •

ورأت ان تسعى الى اقصاء اميل اده عن المنصب الكبير •

ولكن كيف ؟

ورأت ، بعد طويل تفكير ، ان تلجأ الى صديقتها المخلصة الوفية كلوديت رودان ، زوجة المستشار ألفونس روادن •

وكلوديت كادت تنجح في اقصاء اميل اده عن رئاسة الوزارة ، عندما فكر جورج بيكو في تأليف وزارة لبنانية •

وهي ستنجح حتما في اقصاء اميل اده عن تولي منصب حاكم لبنان •

وارتاحت للفكرة بعض الارتياح •

وأسرعت الى الاتصال هاتفيا بالفاتنة الفرنسية لتقول: كلوديت ! انني بحاجة قصوى اليك • ارجوك ان تحضري الي الآن •

وكلوديت رودان كانت منصرفة الى الاهتمام بمشاكلها العاطفية •

كانت كلوديت منصرفة الى الاهتمام بحبيب القلب والروح نهاد العاطي السكرتير اللبناني الوسيم •

ولم تكن مستعدة لحل مشاكل السيدة سرسق العاطفية والسياسية •

فحاولت التملص من تلبية الدعوة الملحاح •

قالت : أرجو ان استطيع القيام بزيارتك غدا يا صديقتي •

قالت السيدة سرسق: الامر شديد الخطورة، لا يحتمل التأجيل • أرجو ان تحضري الي الآن يا كلوديت •

قالت زوجة المستشار : الآن لا استطيع الحضور اليك، فأنا على موعد مهم ايتها السيدة سرسق •

ولم تكذب كلوديت في ما ادعت •

لقد كانت فعلا على موعد «مهم» ••

كانت على موعد مع حبيبها نهاد العاطي ••

الا ان السيدة سرسق أصرت •

قالت : ارجوك رجاء حارا ان تحضري الي الآن •

يجب ان أراك وان اتحدث اليك • زيارتك لن تطول اكثر من نصف ساعة • نصف ساعة فقط •• انني في انتظارك •

ورأت كلوديت ألا تخيب أمل صديقتها السرسقية، لا سيما وهي تلح عليها وتشدد •

فتمتمت : لا بأس • سأحضر ، ولكنني لن استطيع البقاء عندك اكثر من نصف ساعة •

قالت السيدة سرسق : أسرعي • انني في انتظارك •

وأسرعت كلوديت الى القصر السرسقي •

فاستقبلتها سيدة القصر بالترحيب الشديد ، قالت: انني لفي اشتياق رحيب اليك يا كلوديت • منذ مدة طويلة لم ار وجهك الصبيح ، ولم اسعد بابتسامة هذا الثغر الباسم الندي •

فأدركت كلوديت روادان ان وراء هذه المقدمة امرا خطيرا •

هذا الترحيب الشديد يخفي وراءه اسرارا وأمورا خطيرة •

من المؤكد ان السيدة اللبنانية بحاجة قصوى اليها••

ورأت ان تختصر الطريق ، وان تثب توا الى الموضوع•

فليس لديها متسع من الوقت للمجاملة •

ان حبيبها ليقيم منها على انتظار •

يجب ان تعود اليه على جناح السرعة •

قالت : قلت لي ان امرا مهما يستدعي حضوري اليك. هل لي ان أعلم ما هو هذا الامر ؟

فقدمت لها السيدة سرسق لفافة فاخرة .

وهمست : انا ما زلت احمل جميلك في عنقي يا كلوديت . لقد حاولت ان تخدميني باقصاء اميل اده عن رئاسة الوزارة ، لدى جورج بيكو ، ولو أطال الله بعمر ولاية جورج بيكو ، لكان قد تم لنا ما اردنا .

فهمست كلوديت رودان : ان حظ صديقك شارل دباس حظا سيئا ، كنا سنوصله الى رئاسة الوزارة ، لو ظل جورج بيكو في هذه الديار ، وانت تعلمين اي جهد بذلت مع صاحب السعادة لاقصاء اميل اده عن الرئاسة، ولإيصال ابن الدباس .

قالت السيدة سرسق : اجل ، انني لأعلم كل ذلك، وقد بت أؤمن بذكائك ، وبدهائك ، وبطول باعك ، وبمقدرتك . ولذلك فقد دعوتك الي الآن طالبة اليك مد يد المساعدة الي .

فنفثت زوجة المستشار الحسناء دخان اللفافة في الفضاء .

وهمست : ثقي انني لا اتأخر ، ولا أحجم عن مساعدتك يا سيدتي ، اذا كنت قادرة على ذلك .

قالت : انا على ثقة من مقدرتك يا كلوديت . ان التي

تنجح في الاستيلاء على قلب جورج بيكو ، وعلى اقناعه بما تريد ، لن تعجز عن الوصول الى قلب الجنرال غورو .

فدهشت زوجة المستشار لما تقول السيدة اللبنانية.

وهمست : أتريدينني ان ألعب مع الجنرال غورو، الدور الذي لعبته مع جورج بيكو ؟

قالت سيدة القصر : اجل .. هذا كل ما اريد .

وصمتت كلوديت رودان برهة راحت خلالها تنفث دخان اللفافة الفاخرة في الفضاء لتقول : هذا ما لا أقوى عليه يا سيدتي .

قالت السيدة سرسق : لماذا ؟ هل استطيع ان اعلم لماذا ؟

هل يخيل اليك انك ستخفقين في هذه المهمة ؟

قالت: لأسباب عدة. أهمها أن الجنرال غورو هو غير جورج بيكو ، ذاك ، جورج بيكو ، رجل مدني ، أما هذا ، الجنرال غورو ، فهو رجل عسكري ، وأنت تعلمين ان العسكري لا يهتم بالامور العاطفية ، ولا يأبه للحب وللغرام ..

فشعت ابتسامة ندية على ثغر سيدة القصر السرسقي.

وهمست : من هو ذاك الذي قال لك ان العسكريين لا يأبهون للامور العاطفية ؟

ان قصص مشاهير القواد والضباط مـلأى بالهوى

والحب والغرام ..

اسمعي ما اقول لك يا كلوديت .

انا سأدعو الجنرال غورو الى مأدبة عشاء ، وستكونين انت بين المدعوين ، ويكون مقعدك قرب مقعد الجنرال.

سأمهد لك السبيل لألقاء الشرك ، وما عليك الا ان تتقني الالقاء .

قالت زوجة المستشار : وهب انني وفقت في المهمة، واستطعت ان الفت الجنرال الي ، فماذا علي ان افعل بعدئذ؟

ما هي المهمة التي سأنتدب للقيام بها ؟

قالت السيدة سرسق : اذ ستعلمين انه بات من المحتم تعيين حاكم للبنان الكبير ، بعد ان أعلن الجنرال غورو استقلاله ، ويخيل الي انه بلغ الى مسامعك ما بلغ الى مسامعي ما قيل وأشيع حول اسناد منصب الحكم الى اميل اده .

فابتسمت كلوديت قائلة: فهمت، وأنت تريدين إقصاء اميل اده عن هذا المنصب ، وتعيين شارل دباس .

فهمست سيدة القصر : لقد اصبت ، انا اريد اقصاء اميل اده عن المنصب الرفيع .

هذا الرجل حطم قلبي ، وقد اقسمت على ان أحطمه.

كل ما يهمني هو ان يظل اميل اده مغمورا .

انا لا اريد ان يصبح حاكم لبنان . ولا يهمني أأصبح

شارل دباس الحاكم ام سواه •

فتمتمت كلوديت روادن : ولكن قضية تعيين اميل اده حاكما للبنان لـم تتعد الشائعة • علينا ان تتأكد منها قبل ان نقوم بأي عمل •

قالت السيدة سرسق : علينا ان نعمل منذ الآن ، قبل ان تصبح هذه الشائعة حقيقة راهنة يا كلوديت •

فهمست كلوديت روادن : دعيني استقصي الخبر اليقين قبل ان تقيمي مأدبتك العامرة السمحاء •

قالت : كيف ستقفين على الحقيقة ؟ وممن ؟

فأجابت : دعي الامر الي • غدا سأحمل اليك الحقيقة الناصعة حول تعيين ، او عدم تعيين اميل اده حاكما للبنان•

وانصرفت زوجة المستشار روادن الـى استقصـاء الحقيقة ، فسألت وتحرت •

الا انها لم تستطع ان تقف على تلك الحقيقة ••

فالجنرال غورو يأبى ان يكشف اوراقه •

ويرفض ان يدلي بما يجول في رأسه من افكار، حتى الى المقربين اليه ••

وقبل ان تعود كلوديت روادن الى السيدة سرسق، كان الجنرال غورو يعلن تعيين الكومندان ترابو حاكما للبنان ا لكبير •

وارتاحت السيدة سرسق كل الارتياح •

الحمدلله ، ثم الحمد لله .. اميل اده لم يصل الى المنصب الكبير .

ووقف رجال السياسة على دهشة ووجوم .

ولم تلبث دهشتهم ووجومهم ان انقلبا الى ثورة غضب لاهب عاصف شديد .

وتلاشت احلامهم في وصولهم الى منصب حاكم لبنان .

وأدركوا ان قضية الاستقلال الكامل التام ما هي الا فكرة عابرة لم تتحقق .

الا ان رجال السياسة الناقمين ، الحانقين ، الغاضبين، لم يعلنوا غضبهم، ولم تتعد معارضتهم الهمس والوشوشات.

ولكن رجلا واحدا منهم تجرأ على اعلان النقمة والغضب .

ووقف في وجه الفرنسيين ليقول : هذا ما لا يجوز . الحاكم يجب ان يكون لبنانيا .

وهذا الرجل كان اميل اده ..

ودهش الجميع .

وكان الفرنسيون أشد الجميع دهشة ، وهم يشاهدون اميل اده ، صديقهم الحميم ، يثور عليهم ، ويعلن معارضته السافرة لتعيين الكومندان ترابو حاكما للبنان الكبير.

واستدعى الجنرال غورو اميل اده اليه ، ليقول له

معاتبا : لم نكن لننتظر منك هذه الوقفة الناقمة ، وأنت الصديق المخلص الوفي •

ورد اميل اده ، وهو الذي عرف بجرأته وبشجاعته: ونحن ايضا لم نكن لننتظر منكم اثارة شعورنا ، بتعيين حاكم فرنسي للبنان •

قال الجنرال : قضية تعيين الحاكم يعود الي • وانا لم اقدم على تعيين الكومندان ترابو الا بعد ان تأكدت من ان هذا التعيين هو في مصلحة لبنان •

قال اميل اده : نحن نعلم ما هي مصلحتنا أكثر منكم. ولن نرضى بان يتولى الحكم في بلادنا رجل غريب •

وثار الجنرال غورو •

وقال : أنا لا استطيع ان أعين حاكما لبنانيا ، بسبب تعدد الطوائف في لبنان •

كل طائفة تريد ان يتولى لاحد أبنائها هذا المنصب•

وقد تأكد لي ان تعيين حاكم لبناني ، من طائفة معينة. يثير نقمة ابناء الطوائف الاخرى •

وهدد اميل اده : هذه حجة واهية ، لن نرضاها ، ولا نقرها ، انتم تتخذون من تعدد الطوائف في لبنان وسيلة لاقصاء ابناء البلاد عن الحكم •

نريد ان نعلم ، هل جئتم الينا أصدقاء ام مستعمرين؟

ووقف الجنرال غورو يقول بغضب : لو كنا نريد

استعماركم ، لما اعلنا الاستقلال .

نحن نريد ان تكونوا مستقلين ، ولكنكم لستم مهيئين للاستقلال الآن ، ولن تستطيعوا ان تتسلموا الحكم قبل ان توحدوا صفوفكم ، وتجمعوا كلمتكم ، وتدركوا قيمة الاستقلال ومكانته .

واشتد الغضب باميل اده .

واحتدم النقاش بينه وبين الجنرال غورو .

وخرج اميل اده من ديوان المفوض الساميالعسكري غاضبا ، ناقما ، حانقا .

وفي اليوم التالي ، كان اميل اده يحزم حقائبه، ويشخص الى باريس ، ليشكو الجنرال غورو الى الحاكمين الفرنسيين .

وهكذا كان اميل اده ، كلما اختلف مع رجال الانتداب في لبنان ، يشخص الى باريس ليشكوهم الى الحاكمين في العاصمة الفرنسية .

وقد ظل يزور باريس شاكيا ، معاتبا ، طيلة مدة الانتداب .

وفي باريس ، لم يلق اميل اده آذانا صاغية ، فقد ابلغه وزير الخارجية الفرنسية ان الاحداث التي تجري، والتي ستجري قريبا فيلبنان وسوريا ، تدعو الى ان يتسلم الحكم رجال عسكريون .

الجنرال غورو مفوضا ساميا •
والكومندان ترابو حاكما على لبنان •
ولم يعلم اميل اده ، يومذاك ، ما هي تلك الاحداث التي تدعو الى تولي العسكريين الحكم في البلاد ، الا بعد ايام قليلة من عودته الى لبنان •
فقد اتضح ان الامن في لبنان ، وفي سوريا لم يكن مستتبا تمام الاستتباب •
وان انصار الامير فيصل عادوا الى المطالبة بالمملكة السورية ، وكانوا قد نادوا بالامير فيصل ملكا على سوريا في الثامن من آذار ١٩٢٠ •
وأظهر الامير العربي استعداده للتعاون مع الفرنسيين•
الا ان الفرنسيين رفضوا مبدأ الملكية ، ونصحوا الامير بالانسحاب من سوريا •
وعندما رفض الانسحاب ، زحف الجنرال غورو بكتيبة من الجيش الفرنسي الى دمشق •
واحتلها في الرابع والعشرين من تموز •
فاضطر الامير العربي الى الانسحاب (كما تقدم •••)
ومد الفرنسيون سلطانهم الكامل على سوريا ، مثلهم على لبنان •
غير ان انصار الامير فيصل ، من السوريين ومن اللبنانيين ، عادوا يطالبون بالمملكة السورية ، وبالملك

فيصل : بتحريض من البريطانيين •

فلجأ الجنرال غورو الى القوة والحزم ، وهـــدد وتوعـــد •

وعندما عاد اميل اده من باريس ، ادرك ان الجنرال غورو لم يخطىء ، يوم عين رجلا عسكريا حاكما علـــى لبنان •

الا انه ظل عند رأيه : «حاكم لبنان يجب ان يكون لبنانيا » •

ولم ينقطع اميل اده عن المطالبة بأن يحكم لبنـــان لبناني •

ولم يكن ليعلن انه يطلب الحكم لنفسه •

لا لم يقل : يجب ان اكون انا حاكم لبنان •

هو لم يقل هذا ، بل اكتفى بالقول : ان الحاكم يجب ان يكون من ابناء البلاد •

الا ان الحقيقة هي ان اميل اده كان يرى انه احـــق بالمنصب الكبير من الجميع •

وارتاح جميع الزعماء اللبنانيين لمعارضة اميـــل اده . ولمطالبته بالمنصب الاول في البلاد ، بعد المفوض السامي• فهم يدركون انه اذا وفق اميل اده في مسعاه ، سيكـــون لهم حصة من الغنيمة •

سيكون احدهم حاكم لبنان ، ان لـــم يكن اليوم ،

فغدا .

وان لم يكن غدا ، فبعد غد ..

واذا لم يوفق في المسعى المشكور ، فهم لم يخسروا شيئا ، ولن يسودوا صفحتهم البيضاء مع الفرنسيين .

وأقام رجال السياسة الكبار يرقبون النتائج ، وقد خيل اليهم ان زميلهم اميل اده سيتوصـــل الى ما يرغب ويرغبون ، والى ما يشتهي ويشتهون .

الا ان انتظارهم طال ، واميل اده لم يزل في مسعاه حيث هو .

وبدأ حاكم لبنان الجديد ، الكومندان ترابو، يمارس سلطاته ، وكان رجلا عسكريا حازما ، فأراد ان يطبـــق الاساليب العسكرية على المنطق السياسي .

ومن المعلوم ان السياسة لا تنطبـــق على الاساليب العسكرية ..

القانون العسكري حزم وعزم واستقامة وقوة .

والقانون السياسي مراوغة وكذب ونفاق وميوعة .

وقيل يومذاك : ان الكومندان ترابو نجح ، كرجل عسكري ، في اشاعة الامن والطمأنينة في البلاد ، ولكنه فشل كحاكم سياسي ، ولم يستطـــع ان يجـاري تيار السياسة العاصفة بالبلاد .

وهذا الفشل السياسي أوجد فوضى سياسية فـــي

البـلاد .

فأخذ كل سياسي يعمل لحسابه الخاص . وهذا مـا خلق بلبلة في البلاد .

ومنذ ذلك اليوم ، بدأت الخلافات السياسية فـي البـلاد .

صحيح ان الفرنسيين استطاعوا ان يقضوا على الروح الطائفية ، وقد رأينا يومذاك كيف توحدت كلمة الطوائف. وكيف تآخى المسلم والمسيحي ، وكيف اضمحلت الـروح الطائفية .

لقد كان ابناء البلاد مجمعين على ضرورة ممارسـة السيادة والاستقلال ممارسة تامة .

فالاستقلال لا يمكن ان يتجزأ .

وقد طبق اللبنانيون ، يومذاك ، المثل القائل : « انا واخي على ابن عمي ، وانا وابن عمي على الغريب» .

الا ان الاختلافات نشبت بين ابناء الطائفة الواحدة. بين اميل اده الماروني وبين بشاره الخوري الماروني ، بين محمد الجسر المسلم ، وبين خير الدين الاحدب المسلم .. وهي اختلافات شخصية سببها التنافس على المناصب ..

ومنذ ذلك اليوم ، حتى الان ، لم يتغير الاسلوب.. وما زال المسلم ينافس المسلم على المقعد الوثير ، والمسيحي ينافس المسيحي .

ويقولون : من اجل الخدمة العامة ، ومن اجل لبنان، ومن اجل الشعب ..

مسكين لبنان ، ومسكين هذا الشعب .

وبدأت الاختلافات السياسية تظهر بوضوح في عهد الحاكم ترابو .

وبدأ كل سياسي يعمل جاهدا للوصول الى المناصب المرتقبة .

ولم يكن ثمة مناصب كبرى للبنانيين يومذاك .

فالمفوض السامي فرنسي ، والحاكم فرنسي ، والمستشارون فرنسيون .

كان اعلى منصب يمكن ان يطمع فيه لبناني هو منصب «سكرتير» .

والحقيقة هي ان «السكرتير» ، اي امين السر : كان ذا نفوذ كبير ، وكان يستطيع ان يفعل ما لا يستطيع ان يفعله الوزير اليوم .

كان امناء السر هم الذين يحكمون لبنان سياسيا..

الا ان السياسيين كانوا يعلمون يقينا ، ان هناك مناصب عديدة ورفيعة ستصبح جاهزة في أمد قصير امام اللبنانيين .

كانوا يدركون ان الدولة اللبنانية هي في طور النشوء ، وانه لا بد من ان يصبح ثمة مديريات ،ووزارات،

ورئاسات •

ولذلك فقد بدأوا بالاستعداد لاحتلال تلك المناصب•

وراحوا يعملون جاهديـن للتقرب من المفوضيـة الفرنسية ، وهم لا يجهلون ان بيد تلك المفوضية « مفاتيح السماء» ••

وان الطريق للوصول الى تلك المناصب هو طريـق المفوضية •

وكان اول اختلاف ، بدأ يطـل على لبنان بـين السياسيين ، اختلاف اميل اده وبشاره الخوري •

وقد كانا صديقين حميمين ، وزميلين كبيرين ••

وكان اميل اده قد انشأ مكتب محاماة ، فجاء الشيخ بشاره الخوري ليعمل في مكتب اميل اده محاميا •

ونشأت صداقة متينة بين الرجلين ، بين اميـل اده وبشاره الخوري •

الا ان تلك الصداقة المتينة لم تلبث ان انقلبت الـى عداوة شديدة ، ولم يلبث ان اصبـح الصديقان الحميمان عدوين لدودين •

والفرنسيون كانوا يعملون على اندلاع النار بـين رجال السياسة في لبنان •

لقد كانوا يرتاحون كل الارتيـاج الى نشـوب الاختلافات بين السياسيين •

فالسياسة التي ينتهجونها هي تلك التي تقول : «فرق تسد» ..

واستطاع الفرنسيون ان يفرقوا ابناء البلاد ، وان يسودوا .

وراح الكومندان ترابو يغازل اميل اده حينا ، وحينا يتودد الى بشاره الخوري .

وكلما ازداد الكومندان توددا وتغزلا اندلعت نار الضغينة والحقد بين الرجلين الكبيرين .

وانتقل بشاره الخوري من مكتب اميل اده ليفتتح مكتب محاماة لحسابه الخاص ، وليعمل سياسيا لحسابه الخاص ايضا .

وظهر الجفاء بين الرجلين الكبيرين واضحا جليا .

فكل منهما يسعى للوصول الى المنصب الاعلى . والعداوة بينهما اضحت «عداوة كار» .

وبدأ بشاره الخوري يتقرب الى الحاكمين الفرنسيين، اما اميل اده فلم يكن بحاجة الى التقرب منهم ، لانه مقرب اليهم قبل ان تطأ أقدامهم ارض لبنان ..

وخيل لاميل اده ان منافسه الوحيد هو بشاره الخوري .

كما خيل للشيخ بشاره الخوري ايضا ان مزاحمه لن يكون سوى اميل اده .

الا ان الاثنين كانا على خطأ .

فقد برزت اسماء جديدة ، يشكل اصحابها خطرا كبيرا على الشايين المارونيين اميل اده وبشاره الخوري .

ومن هذه الاسماء اسم جورج تابت ، وحبيب باشا السعد ، وشارل دباس .

وكما تزاحم المسيحيون على المناصب ، وتعادوا من اجلها ، كذلك حصل بين المسلمين .

فقد برز الزعيمان الطرابلسيان الكبيران عبد الحميد كرامي ، ومحمد الجسر .

وبرزت اسماء ابناء بيهم ، والداعوق ، والصلح في بيروت .

وعمت الفوضى السياسية البلاد .

وراح الفرنسيون يعملون على تغذية تلك المنافسات والعداوات .

ومما ساعد على انتشار الفوضى ، واندلاع نار العداوات ، هو ان البلاد لم تكن مستقرة على حكم ظاهر معروف ، ولا على شرائع وقوانين واضحة صريحة .

الا ان تلك الحال لم تستمر طويلا ، لأن الجنرال غورو اصدر قرارا بتأليف لجنة من ابناء البلاد ، اطلق عليها اسم اللجنة الادارية ، عين فيها سبعة عشر عضوا ، وأقصى عن تلك اللجنة الزعماء المتنافسين الطامعين في

الحكـــم .

وكان اعضاء تلك اللجنة :

عن الموارنة : انطوان عرب ، بطرس كرم ، نصري عازوري ، نعوم لبكي ، والشيخ يوسف الخازن .

وعن السنيين : حسن بيهم ، عثمان علم الدين ، عمر الداعوق ، ويوسف الجوهري .

وعن الشيعة : ابراهيم حيدر ، حسين الزين .

وعن الدروز : رشيد جنبلاط .

وعن الارثوذكس : ابراهيم طراف ، بترو طراد ، نقولا غصـــن .

وعن الكاثوليك : ابراهيم ابو خاطر .

وكان رئيس تلك اللجنة داود عمون ، ومهمتهـــا مساعدة الحاكم الفرنسي الكومندان ترابو في مهمته .

وكانت تلك اللجنة اول مجلس تمثيلي لبناني في عهد الانتـــداب .

وهكذا نرى ان الفرنسيين كرسوا الطائفية في اول مجلس تمثيلي ، فعين الجنرال غورو اعضاء ذلك المجلس التمثيلي السبعة عشر ، على اساس طائفي .

فنالت كل طائفة حصتها من التمثيل في تلك اللجنة.

واستطاعت تلك اللجنة ان تساهم مساهمة فعالة في الحكـــم .

وان تشارك في سن معظم القوانين ، التي ما زالت سائدة حتى اليوم في لبنان •

الا ان اعضاء تلك اللجنة لم يستطيعوا ان يحدوا من نفوذ «السكرتيرية» ، امناء السر اللبنانيين •

ولا هم استطاعوا ان يخففوا من سلطان المستشارين الفرنسيين •

لقد كانت اللجنة الادارية اللبنانية تسن وتشترع ، وكان المستشارون وأمناء سرهم ينفذون ويحكمون •

اي ان تلك اللجنة كانت «مجلسا نيابيا» ، وكان المستشارون وأمناء سرهم «الوزارة» •

في هذا الجو المضطرب سياسيا ، الهادىء عدلا وأمنا ، بدأ اللبنانيون يشعرون ببعض الاطمئنان •

الا ان الزعماء الكبار لم يكونوا راضين عن السياسة الانتدابية التي انتهجها الفرنسيون ، لاسيما وهم يرون اولئك الفرنسيين يستأثرون بالحكم ، ويمدون سلطانهم الكامل على البلاد ، فيقصون من يريدون ، ويقربون من يشاؤون •

وبدأت الهجرة الفرنسية الى لبنان •

وبدأ الفرنسيون يتربعون في مناصب الدولة العلياء

اما ابناء البلاد ، فلم يكن لهم الا الوظائف الصغرى ••

وبدأ رجال السياسة اللبنانيون يتذمرون .

فهم يريدون ان يحكموا ، لا ان يقفوا موقف المتفرجين .

والفرنسيون يأبون ان يتنازلوا لهم عن الحكم .

وبلغ تأففهم وتذمرهم مسامع البريطانيين ، المتربعين على عظمة وسلطان في فلسطين ، وفي مصر ، وفي شرق الاردن .

فارتاحوا كل الارتياح لاستياء رجال السياسة اللبنانيين ، ولتأففهم ، وتذمرهم .

وراحوا يعملون من بعيد ، على تغذية روح التذمر والاستياء في نفوس رجال السياسة في لبنان .

وكان البريطانيون قد فشلوا في ضم لبنان وسوريا الى مناطق نفوذهم في الشرق العربي .

وفشلوا مرة ثانية في اقامة عرش الملك فيصل تحت اشرافهم .

فراحوا يعملون بسرية تامة على اثارةالزعماء اللبنانيين ورجال السياسة ضد المنتدبين الفرنسيين ، حتى اذا لم يقدر لهم الفوز بما يريدون ، ظلوا بعيدين عن قفص الاتهام .

اما اذا قدر لهم زحزحة الفرنسيين من لبنان وسوريا، فيبقى لكل حدث حديث ...

واستعان البريطانيون بالمرأة لتنفيذ مآربهم •

فاذا «بالجمال» البريطاني يتدفق على لبنان ، بوجه «الجمال» الفرنسي الصاعق ، الـذي بدأ يغزو الجبـل اللبناني الدائم الاخضرار •

فعرفت مرابع لبنان ودوره وقصوره نساء بريطانيات رائعات الجمال •

ولعبت المرأة البريطانية دورا مهما ، الى جانب المرأة الفرنسية ، في السياسة اللبنانية يومذاك •

واستطاعت المرأة الانكليزية ان تتفوق على المـرأة الفرنسية ذكاء ، وحنكة ، وخبثا ، وسياسة •

الا انها لم تستطع ان تجاريها في مضمار الهـوى والحب والجمال •

وظهرت في بيروت امرأة بريطانية رائعـة الجمال ، عرفها رجال السياسة باسم اللادي ايفا كوينز •

وهي امرأة في زهاء الثلاثين من العمر ، على جانب كبير من الفتنة ، والروعة ، والجمال ، والثراء •••

وحلت اللادي الحسناء فى قصر فخم في ضواحـي بيروت •

وفتحت ابواب قصرها لرجال السياسـة اللبنانيين ، ونساء المجتمع المخملي اللبناني الجميلات ••

وراحت اللادي الحسناء تقيم المآدب والحفلات فـي

قصرها الفخم المنيف ، فلفتت اليها اللبنانيين والفرنسيين •
واصبح قصرها ملتقى اهل السياسة ، والوجاهة ، والمال ، والثراء •

•••

في ذلك القصر الواسع الارجاء اقامت اللادي ايفا كوينز حفلة ساهرة ، ذات ليلة من ليالي شهر آذار ، دعت اليها كبار موظفي الدولة ، والمستشارين ، وأمناء السر ، وبعض الزعماء ، ورجال السياسة ، وسيدات المجتمع •
وكانت السيدة سرسق وصديقتها الفرنسية الحسناء كلوديت رودان بين المدعوين •
فراحت اللادي كوينز تبالغ في تكريم السيدة سرسق ، وفي التودد اليها •
وحاولت التقرب من صديقة السيدة سرسق كلوديت رودان ، الا ان كلوديت لم تكن لترتاح اليها ، لاسيما وقد شاهدتها تبالغ في الحفاوة بالسكرتير اللبناني الشاب نهاد العاطي •
وكلوديت رودان ليست بالمرأة الغبية الحمقاء ، فهي تدرك ما وراء تلك الحفاوة •
وتعلم ان البريطانية الجميلة تحاول الاستيلاء على قلب نهاد •

وقلب نهاد ملكها هي .

ليس لامرأة ان تفكر بالدخول الى رتاجه .

والويل كل الويل لتلك المرأة التي تحاول ان تسلخ نهاد العاطي عن كلوديت رودان ...

واشتدت نقمة كلوديت على صاحبة الدعوة . وهي تشاهدها تراقص نهاد العاطي ، الخد على الخد .

وثار الدم الفرنسي في عروقها .

فأخذت تهمس ببعض الشتائم على مسمع من السيدة سرسق .

فهلعت سيدة القصر السرسقي ، وهي تسمع صديقتها زوجة المستشار ، تشتم وتلعن .

وخشيت ان تصل شتائمها الى مسامع اللادي الحسناء، وتكون الفضيحة .

فأمسكت يدها تشدها هامسة في اذنها : كلوديت! ماذا تقولين ؟ هل فقدت عقلك ؟

فتمتمت زوجة المستشار الفرنسي : لا . انا ما فقدت عقلي يا صديقتي ، الا انني سأفقده اذا ظلت هذه المتهتكة ، ترقص مع هذا الخائن ، على هذه الصورة الماجنة . تحدثني نفسي ان احطم هذه الكؤوس والاطباق فوق رأسيهما .

وأدركت السيدة سرسق ان الغيرة العمياء هي التي

تتكلم بلسان صديقتها الفرنسية •

فهمست في اذنها: مجنونة! هل يخيل اليك ان اللادي كوينز تتنازل الى انشاء علاقات عاطفية مع نهاد العاطي ؟ انك لعلى خطأ يا كلوديت ، اذا كنت تفكرين بمثل هذه الافكار السخيفة • اللادي كوينز سيدة محترمة ، وهي ليست من النساء اللواتي يرتمين بين ذراعي اي شاب يصادفنه • هذه سيدة كريمة الخلق ، عالية الجانب . رفيعة الاخلاق •

فهمست كلوديت ، وهي تشير الى اللادي ونهاد : انظري كيف يراقصها هذا الوقح • انظري كيف يتخاصران ويحلمان ، ويتناجيان •• مجرم • انا سأعرف كيف سألقي عليه وعليها درسا لن ينسياه •

قالت السيدة سرسق : كوني عاقلة يا كلوديت • انا لا ارى ان هناك ما يدعو الى هذه الثورة اللاهبة • فاللادي كوينز راقصت معظم المدعوين ، وهي ستراقص ايضا الكثيرين من الشبان اللبنانيين والفرنسيين • انها تريد ان تكرمهم ، ويخيل اليها انها ، في مراقصتهم ، تخلع عليهم الهبات والانعام •

قالت زوجة المستشار : انا لا ارى ما ترين يا صديقتي • انني اجزم بأن هذه البريطانية تلقي شباكها على نهاد •

قالت السيدة سرسق : ألست امينة من اخـــلاص صديقك ؟ هل يخيل اليك انه يحاول الغدر بك ؟

فردت : كلهم هكذا • مجنونة من تثق برجل •

وفي هذه الاثناء ، كانت اللادي كوينز تلقي برأسها الجميل على كتف فارسها نهاد العاطي ، فيندثر شعرهـــا الذهبي على وجهه ••

وشاهدت كلوديت صديقها يغمض عينيه ، ويسبح في عالم قصي بعيد ، فكادت تجن •

ووقفت متمتمة : انا سأحطم رأسيهما • الويل لـــه ولهــا •

واشتد الذعر بالسيدة سرسق ، لاسيما وهي تشاهد بعض المدعوين والمدعوات ينظرون الى زوجة المستشـــار الغضبى بفضول •

وأمسكت بيدها تشدها قائلة : اجلسي •••

وحاولت كلوديت الافلات من يد السيدة سرسق •

فهي تريد ان تقفز الى حلبة الرقص لتنهال علـــى اللادي وعلى السكرتير بالضرب ••

انه الجنون الفرنسي •

الا انها عجزت عن الافلات •

فالسيدة سرسق ابت ان تتخلى عن يدها •

وعادت السيدة سرسق الى الهمس بغضب : قلت لك

اجلسي ...

وجلست كلوديت ، على حقد وغضب وثورة لاهبة حمراء .

وهمست السيدة سرسق : ماذا ستفعلين يا كلوديت ؟ هل تريدين ان تنشري فضيحة تتحدث بها الاوساط اللبنانية والفرنسية اياما طوالا ؟ هل نسيت ان من تراقص صديقك هي صاحبة الدعوة ، واننا في قصرها ، وان مئات العيون والآذان ترانا وتسمعنا ؟

وصمتت الفرنسية الحسناء .

واستأنفت السيدة سرسق الكلام لتقول: إنني أجزم بأنك على خطأ، وبأن ليس بين اللادي كوينز وبين صديقك نهاد العاطي، ما تصور لك الغيرة اللاهبة العاتية الحمراء.

وبدأت ثورة كلوديت تخمد ، والسيدة سرسق تلقي في اذنيها تلك المواعظ .

واستطاعت سيدة القصر السرسقي ان تقنع صديقتها بالتزام الرصانة والهدوء .

قالت : اما اذا كان لا بد من محاسبة صديقك ، فالمجال فسيح أمامك ، تستطيعين ان تصفي حسابك معه في داره ، او في دارك ، اما هنا ، فليس لك ان تناقشيه الحساب على مرأى ومسمع من وجهاء البلاد ، وساستها ،

وحكامها .

وغرقت كلوديت روادن في صمت بارد كئيب .

السيدة سرسق على حق . يجب ان تحتفظ بهدوء اعصابها الان ، وبعد ان تنتهي الحفلة سيكون لها مع نهاد حديث طويل ..

وراحت الفرنسية الجميلة تراقب اللادي وصديقها ، والغيرة تنهش قلبها ، وتحطم اعصابها .

في حين عادت السيدة سرسق الى «تطمينها» : اطمئني ليس هناك ما يدعو الى هذه الغيرة المتقدة السعير يا كلوديت . فالامر لا يدعو الى مثل هذه الثورة ، وأي مأخذ لك على سيدة تراقص احد مدعويها ؟ هل جننت فأعمت الغيرة بصيرتك ؟ انني اؤكد لك . ليس بين نهاد وبين اللادي اي علاقة عاطفية ، ولا اي صلة حب وهوى وغرام . وان ما يدور بينهما من حديث ، وهما يرقصان ، لا يتعدى حديث المجاملة والصداقة .

الا ان السيدة سرسق كانت على خطأ .

لأن ما كان يدور بين اللادي الحسناء والشاب اللبناني كان أبعد وأعمق وأرحب من احاديث المجاملة والصداقة .

لقد كانت كلوديت على حق .

قلبها انذرها بأن هناك بين اللادي ونهاد حديث هوى،

ومشروع غرام .

ولم تكن قلوب المحبين لتخطىء التقدير !

وماذا كان يدور من حديث بين المرأة البريطانيــــة الحسناء وبين السكرتير اللبناني الانيق الوسيم ؟

كانت اللادي تهمس في اذن نهاد كلمات رقيقة حنون، تنم عما في قلبها الندي من شوق وعطف وحنان ..

وظهرت الدهشة في عيني نهاد العاطي ، وهو يسمع همسات اللادي الفاتنة .

وخيل اليه انه في حلم ..

هل تهبط اللادي الحسناء المتربعة على ذروة العظمة والجاه والجمال الى مستواه ، لتغازله وتبدي اعجابهـــا بوسامته وجماله ؟

لا .. هذا ما لا يكون . انه في حلم رائع فاتـــن جميل ..

الا ان اللادي كوينز مضت في همساتها الشجيـــة الحنون .

قالت : لم اكن اعلم ان في لبنان مثل هذه الاناقة ، والوسامة ، والرجولة ، ايها السيد نهاد .

وتمتم نهاد ، والخجل يعصف بحناياه ، ويصبـــغ جبينه بالاحمرار : شكرا يا سيدتي اللادي على هـــذه المجاملة .

قالت : ثق ان ما اقوله هو الحقيقة بعينها يا نهاد • فأنا لا اجامل ولا أمالق • انا لا انطق الا بما اكون منه على ثقة واقتناع • انك لرائع فاتن ، ايها اللبناني الوسيم •

فعاد الى التمتمة : شكرا •• شكرا يا سيدتي •

قالت : من هي تلك المحظوظة التي ظفرت بقلبك ؟

قال ، وقد بدأ يستعيد شجاعته : الحقيقة هي انني لم اقع عليها بعد •

فابتسمت ابتسامة مكر ، وخبث ، ودلال ، وهمست: كاذب محتال •• أتريد ان تقنعني بأنك ما زلت بعيدا عن أجواء الهوى والغرام ؟

فتلعثم قبل ان يقول : «عندما اقع على من هي في جمال اللادي كوينز فأنا سأقع صريع الهوى • اما واني لم أوفق الى الوقوع على من هي في جمال سيدتي اللادي ، فقد ظل قلبي خاليا من شعاع الحب ولهيب الهوى » •

فشدت يدها يده ، وهمست : ماكر ، خبيث •

وتجرأ فشدها الى صدره •

فما كان منها الا انها القت برأسها الى كتفه ، وهمست : انت جذاب يا نهاد !

وأغمض السكرتير عينيه على الحلم الوارف الهنيء •

وهمس : يا لك من فاتنة رائعة ايتها البريطانية الساحرة !

فابتسمت ، وهمست : كم اتمنى ان اظل هكذا العمر كله يا نهاد ، هكذا رأسي على كتفك وذراعك حـــول خصري .

قال ، وقد تخلى نهائيا عن خجله وحيائه : هذا مـا اتمناه وأصبو اليه يا سيدتي .

ومضيا في خطواتهما الراقصة .

وساد الصمت برهة بينهما لتعود اللادي الى الكلام فتقول : انني لأدعوك الى تناول طعام الغداء غدا علـــى مائدتي ، وأرجو الاّ ترفض دعوتي .

فصمت نهاد ...

وانصرف الى التفكير : هل يقبل الدعوة ام يرفضها؟

ليس يدري .

هذه الانكليزية الفاتنة سحرته .

أتكون جادة في ما تقول ، ام تراها تخدعه وتلعب بعواطفه ؟

ليس يدري ، ليس يدري .

واستأنفت اللادي كوينز الكلام لتقول: إذن سأكون في انتظارك الساعة الواحدة من بعدِ الظهر. وأرجو ألا تضطرني إلى الانتظار.

قال : لن اتأخر ، سأكون هنا في الموعد المضروب يا سيدتي .

والتصق الخدان ، وهما يتابعان رقصهما الهانىء البهيج .

وغاص نهاد العاطي في يم بعيد سحيق من الآمال الهائنة ، والاحلام الوارفة العذاب ...

كل ذلك وكلوديت رودان تراقبهما من بعيد على ثورة لاهبة ، وجنون عميق ، وغيرة عاصفة هوجاء .

وأشرفت الساعة على الثانية بعد منتصف الليل .

فبدأ المدعوون يتفرقون .

وراحوا يودعون اللادي كوينز شاكرين لها حفاوتها وسخاءها ..

وسارت كلوديت رودان برفقة زوجها المستشار ، وصديقتها السيدة سرسق .

ونادى المستشار الفرنسي سكرتيره نهاد العاطي قائلا : تعال يا نهاد . ستعود معنا في سيارتي .

واذا بزوجته تتمتم : دعه .. ليس له مكان بيننا في السيارة .

وسمع نهاد ما قالت حبيبته كلوديت فوجم .

ما بها كلوديت ؟

لماذا تبدو ثائرة غضبى ؟

أتكون قد وقفت على ما دار بينه وبين اللادي من حديث ؟

وحاول نهاد ان يلحق بالمستشار .

الا ان كلوديت كانت قد تأبطت ذراع زوجها الكهل.

وسارت مع السيدة سرسق مبتعدة عنه ، تاركة السكرتير في حيرة ووجوم وذهول ..

وسار نهاد وهو شارد الذهن .

تصرفات كلوديت اثارت قلقه وهواجسه .

هي لن تدعه يهنأ في هواه الندي العود .

ستنغص عليه حلمه الجميل ، وتقض مضجعه ، وتحول بينه وبين هوى البريطانية الحسناء .

وكان نهاد العاطي قد عزم على ان يقسم قلبه بين فرنسا وبريطانيا .

بين الفرنسية كلوديت رودان ، وبين البريطانية اللادي ايفا كوينز .

وحسب حسابه .

الا ان حساب الحقل لم يطابق حساب البيدر .

فقد فشل في ما سعى اليه ، منذ الخطوة الاولى ..

وعاد الى داره وهو يفكر في ما بدر من كلوديت .

وحاول الرقاد الا انه لم يستطع الى النوم سبيلا .

فهو على قلق وحيرة واضطراب .

كل ما حدث تلك الليلة يثير قلقه وحيرته واضطرابه..

وراح يفكر بكل ما حدث ، بتصرفات اللادي كوينز،

بهمساتها ، بتأوهاتها ، بجمالها ، بعطرها ، بدعوتها اياه الى تناول طعام الغداء على مائدتها •

ماذا تريد منه هذه البريطانية القادمة من بلاد الضباب؟

أتكون قد وقعت في هواه ؟

ام تراها تريد ان توقعه في هواها لمآرب ، لا يمكن ان يعرف سرها الا الله ؟

ومضى في تفكيره •

فراح يفكر بتصرفات كلوديت حياله •

لماذا ابدت زوجة المستشار ذلك الجفاء القاسي المرير ؟

لقد كانت كلوديت ثائرة حانقة غاضبة •

كانت تتربع على قمة الحنق والغضب والجنون •

كانت كاللبوة الثائرة ••

من المؤكد انها وقفت على بعض ما دار بينه وبين اللادي •

هذا اذا لم تكن قد وقفت على كل ما دار بينهما ••

اذا صح ما توقع ، فانه سيقع في مأزق لا تقدر له منه النجاة •

ان كلوديت ستنتقم منه •

هو يعرفها حق المعرفة •

انها امرأة حقود ، منتقمة ، غيور •

الويل ثم الويل له ، اذا وقفت كلوديت منه موقف الثأر ، والغيرة ، والحقد . والانتقام .

وطال تفكيره ...

وبدأت انوار الصباح تخلع وشاحها الناصع البياض على بيروت ، ونهاد العاطي لم يغمض له جفن .

كان يتقلب في فراشة الوثير ، وكأنه يتقلب على شوك وابر ...

ووثب من السرير ، وقد بدأت خيوط الشمس الذهبية الدافئة تتسرب عبر نافذة سريره .

ورشف قهوته .

وخرج من داره ليشخص الى عمله في دار الحكم ..

وحاول ان يبدأ عمله ، الا انه لم يستطع الى ذلك سبيلا .

فهو متعب ، قلق ، محطم الاعصاب .

وبدأ الموظفون يصلون الى عملهم في دار الحكم ، ليقفوا على دهشة وهم يشاهدون السكرتير في مكتبه .

لم يكن من عادة السكرتير ان يصل قبلهم الى مكتبه.

ما باله اليوم يبكر في الوصول الى عمله ؟

وراح نهاد يدخن وهو يرمق الساعة المشدودة الى معصمه بنظرات سريعة .

لقد عزم على أن يتصل هاتفياً بصديقته كلوديت.

الا انه لا يستطيع الاتصال بها قبل الساعة الثامنة ، قبل ان يخرج زوجها المستشار من الدار .

وطال انتظاره ...

فالساعة ، حتى الساعة تآمرت عليه ، وراح عقرباها يسيران ببطء ودلال ..

وقبل ان تحين الساعة الثامنة أطل المستشار ..

وابتسم الفونس رودان وهو يشاهد سكرتيره الامين جالسا الى مكتبه .

وهمس مازحا : اي حدث عظيم سيقع اليوم ؟ انني أراك تنافسني في الابكار على العمل ؟ ما بدا وماذا جرى يا نهاد ؟

فهمس السكرتير : لدي بعض الاشغال المتأخرة يا سيدي . رأيت ان ابكر في الحضور لأنجازها .

ودخل المستشار الى مكتبه .

فما كان من نهاد العاطي الا انه اقفل باب مكتبه ، ووثب الى الهاتف ، ليتصل عبر اسلاكه بحبيبته كلوديت.

وخيل اليه ان كلوديت ستبطىء في الرد عليه .

من المؤكد انها لا تزال نائمة .

ليس من عادة كلوديت ان تنهض من سريرها قبل العاشرة من الصباح .

الا انه كان على خطأ .

فقد سمع صوت كلوديت ينزل في اذنيه منذ الرنـة الاولى •

لم تكن زوجة المستشار نائمة •

فهي مثله لم يغمض لها جفن طيلة ذلك الليل •

كانت كلوديت تتقلب في سريرها على جمر ولهيب •

كانت الغيرة الحمراء تعصف بها وتحرق قلبها الهائم، المتيم ، الولوع •

وسمع نهاد صوت كلوديت يهمس في اذنه : آلو ! مـن ؟

وتمتم : كلوديت !

قالت بنقمة وجفاء : ماذا تريد ؟

قال : اريد ان اعلم ما بك ؟ لماذا بدوت ثائرة غضبى ليلة امس ؟

فهدرت : هذا ما لا يعنيك •

قالت هذا ، واقفلت خط الهاتف في وجهه •

ووجم نهاد ••

وعاد الى الاتصال بها ليقول : كلوديت ، ارجو اولا ان تستمعي الي ، ثم ارجو ان تجيبي على اسئلتي •

قالت بغضب : قل • ماذا تريد ؟

قال : اريد ان اعلم ماذا دهاك ؟ ولماذا غضبت وثرت ليلة امس ؟

فزعقت : وهل تجرؤ على القاء هذا السؤال ، ايها المجرم الحقير ؟ هل تجرؤ على ان تتكلم الي بعد ما بدر منك ؟

قال : وماذا بدر مني ؟

قالت : مجرم ، خائن ، حقير ..أيخيل اليك انك قادر على الهزء بي ، والضحك مني ؟ انت على ضلال ايها السكرتير ، ان كلوديت رودان لا تؤخذ على غفلة ، وهي ليست بالمرأة البلهاء .

قال : لم أفهم ماذا تقصدين يا كلوديت .

قالت : اقصد انك لا ولن تستطيع ان تطعن كلوديت في ظهرها ايها الخائن .

فتظاهر بالغضب الشديد ، وقال : انا لا اسمح لك بأن تلصقي بي مثل هذه التهم . انا لم اكن يوما خائنا . وليس لك بأن تشكي باخلاصي ، وصدقي ، ووفائي .

فقهقهت على سخرية وهزء.

وهمست : لقد تجلى وفاؤك واخلاصك ليلة امس . ايها النذل .

قال : وماذا بدر مني ليلة امس ؟ هل تتكرمين بايضاح ما تقولين ؟

فهدرت : اسمع يا نهاد . انا لن انام على الضيم . سأحطمك، واحطم معك عشيقتك الجديدة، تلك الانكليزية

الشاردة الجرباء . سأعيدها الى بلادهـا محطمة الرأس ، مهشمة الاضلاع . اما انت فسيكون حسابك عنـدي عسيرا ، وستندم ساعة لا ينفع الندم ولا يفيد .

قال ، وهو يحاول تهدئة خاطرها : كلوديت كوني عاقلة يا حبيبتي . هل يخيل اليك انني على علاقة باللادي كوينز ؟

قالت : بل أجزم انك على علاقة أثيمة بها . لقد شاهدتكما في انسجامكما ، وتهتككما ، وابتذالكما ليلة امس . ترقصان معا والخد على الخد ، وهمساتكما الاثيمة تفضح ما في قلبيكما من هوى ، وفسق ، وفجور .

قال : ليس لك ان تتجني على هذه السيدة الفاضلة يا كلوديت .

فأثارها دفاعه عنها وهدرت : فاضلة ؟ اي فضيلة تغمر عشيقتك هذه ، ايها المجرم القذر ؟ أتكون هذه المـرأة الفاسقة على شيء من الفضيلة والاخلاق ؟ اي اخلاق وأي فضيلة ، واي تهذيب يغمرها ويغمرك يا صاحب العصمة ، والفضيلة ، والاخلاق ؟

قال : كلوديت ! ارجو ان تخففي من حدة غضبك كي استطيع ان اتفاهم واياك . ان الغضب الشديد ذهب بصوابك . ليس ثمة ما يدعو الى هذا الغضب . وثقي انني كنت ، وما زلت ، وسأظل الحبيب المخلص الصـادق

الوفي •

قالت : كاذب محتال •

قال : انني اقسم لك • انني لأقلع عيني اذا نظرت يوما الى امرأة غيرك يا كلوديت •

فبدأت تلين ، وهو يقسم لها ويحلف •

وهمست : أتكون صادقا في ما تقول يا نهاد ؟

قال : وهل تشكين في صدقي يا كلوديت ؟

قالت : أتعدني بقطع كل علاقة لك بهذه البريطانية ؟

قال : وهل يخيل اليك ان هناك علاقات متينة بيني وبينهـا ؟

قالت : هذا ما يخيل الي •

قال : انك لعلى خطأ • قلت لك ، وأعيد القول ، انني مخلص ، وفي صادق ، وليس لي اي علاقة مع امرأة غيرك، انت وحدك حبيبة القلب والروح •

فهمست ، وقد استعادت هدوءها : تعال • انني فـي انتظارك •

قال : الآن ؟ مستحيل • ان الاعمال كثيرة لدي ، وانا لا استطيع مغادرة مكتبي الان •

قالت : اذن سأكون في انتظارك الساعة الواحدة بعد الظهر • سنتناول طعام الغداء معا •

فكاد يقول لها : «موافق» •

الا انه تذكر موعده مع اللادي كوينز .

فهو مدعو لتناول طعام الغداء على مائدة السيـدة البريطانية .

وليس له ان يخلف موعده ، وهو الموعد الاول معها .

قال : لا ، يا كلوديت . انا لا أستطيع تلبية دعوتك اليوم . فلندع ذلك الى الغد .

قالت باصرار : اما ان تحضر الآن ، واما ان تحضر في الساعة الواحدة .

فرأى ان يختار أهون الشرين .

قال : سأحضر بعد ساعة . بعد ساعة واحدة أكـون عنـدك .

قالت : وسأكون في انتظارك .

وألقى بالسماعة من يده ، وراح يفكر .

يبدو ان الطريق لن يكون معبدا أمامه الى قصر السيدة البريطانية الحسناء .

كلوديت رودان ستكون له بالمرصاد .

وستقف دونه ، ودون ما يصبو اليه .

ماذا عليه ان يفعل الآن ؟

هل يتخلى عن كلوديت ؟

مستحيل .

فهو يحبها ، وهي تحبه .

وعلاقتها به متينة وثيقة العرى ..
هل يتخلى عن اللادي كوينز ..
مستحيل ايضا .
هذه المرأة الحسناء تروقه وتستهويه .
وقد تكون صاحبة نفوذ ومقام ، وهو بحاجة اليها ..
ماذا عليه ان يفعل اذن ؟
ومضى في تفكيره ..
ورأى بعد تفكير طويل ان يستمر في علاقته بكلوديت.
وان يبدأ علاقة جديدة بالبريطانية العاشقة .
ويترك الامر للاقدار ..
وليكن ما يكون .
وألقى نظرة سريعة الى الساعة المشدودة الى معصمه، فاذا بالساعة تشير الى التاسعة من الصباح .
ما زال امامه متسع من الوقت .
في الساعة العاشرة سيكون عند كلوديت .
وسيظل عندها حتى الساعة الحادية .
ومن لقاء كلوديت ، يشخص توا الى قصر اللادي كوينز .
واطمأن بعض الاطمئنان .
وانكب على ما لديه من أعمال ينجزها بسرعة وعجل.
وقبل ان تشرف الساعة على العاشرة بقليل ، دخل على

المستشار ليقول له : لدي بعض الاعمال الخاصة ، وانـــا مضطر لمغادرة مكتبي الآن ، ولن استطيع العودة قبل الظهر.

قال المستشار مازحا : أتكون على موعد غرامي ايها الخبيث ؟

وقد صدق المستشار في ما تكهن .

نهاد العاطي على موعد غرامي .

الا ان حضرة المستشار لم يعلم ان موعد نهاد الغرامي هو مع زوجته المصون .

وتمتم نهاد ، متظاهرا بالخجل : لا ، يا سيدي . انـا بعيد كل البعد عن المواعيد الغرامية . الا ان لدي بعض المشاكل المالية وأريد حلها .

قال المستشار : رافقتك السلامة . وليوفقك اللـه في حل معضلاتك .

وخرج السكرتير الوفي من مكتب المستشار ، ليسرع الى داره ويلقي بنفسه بين ذراعي زوجته الحسناء ..

وكانت كلوديت قد ارتدت ثيابها وأقامت على انتظار نهـاد .

فأمسكت بيده قائلة : تعال معي .

قال : الى اين ؟

قالت : الى داري في صوفر .

قال ، وقد خشي ان لا يتمكن من العودة الى بيروت

في الساعة الواحدة : لا ، يا كلوديت • انا لا استطيع الذهاب الى صوفر الآن •

قالت : لماذا؟ أتكون على موعد مع البريطانية «الفالتة» من بلادها ؟

فوجم •

أتراها واقفة على ما بينه وبين اللادي كوينز ؟

وتابعت كلوديت كلامها لتقول : تعال •• تعال •• لن نستطيع ان «نأخذ حريتنا» الا في صوفر يا نهاد •

قال : ولكنني مضطر الى ان أعود بعد ساعتين الى عملي يا كلوديت •

قالت بالحاح : سنشخص الى صوفر • لقد عزمت على قضاء ما بقي من النهار معك اليوم في صوفر •

قال : دعينا من الذهاب الى صوفر اليوم • غدا سأكون تحت تصرفك طيلة النهار ، اما اليوم فان لدي من الاعمال ما يحول بيني وبين رغبتي الملحاح في البقاء قربك يا حبيبتي •

فأصرت ••

وأصر ••

وعجبت كلوديت من اصراره •

الا انها رأت ان تجاريه في ما يريد •

وعزمت على ان تراقبه •

ستوافق على البقاء في بيروت •

وعندما يخرج من دارها ، ستلحق به •

هي تريد ان تعلم الى اين سيشخص نهاد ، بعد ان يذهب من دارها •

وتمتمت كلوديت : ليكن ما تريد يا حبيبي • ما دمت تصر على البقاء في بيروت ، فليكن لك ما تريد • لا بأس سنشخص غدا الى صوفر •

وجلسا يتسامران ، ويتحدثان ويتناجيان •

ويرشفان من معين الهوى والحب والغرام ••

وما ان أشرفت الساعة على الثانية عشرة والنصف. حتى وقف نهاد العاطي ليقول : يجب ان اذهب الان يا كلوديت •

فأمسكت بيده لتقول : اجلس •

قال : ان المستشار سيعود الى داره الآن ، ولا يجوز ان يشاهدني هنا •

قالت : ومتى كان الدخول الى هذه الدار محرما عليك يا نهاد ؟

قال : لقد أوهمت السيد رودان انني مضطر للخروج من مكتبي لانهاء بعض الاعمال الخاصة • فماذا سيقول عندما يصل الى داره ، ويجدني هنا أساير السيدة عقيلته؟

فابتسمت وهمست : لا تخش غضبه • هو مطمئن

لاخلاصك ، وهو يحبك ، ولا يشك بوفائك ونبلك •

قال : يجب ان اذهب •

قالت : اجلس •• اجلس •

وأبى ان يجلس •

يجب ان يذهب الآن لئلا يتأخر في الوصول الى قصر اللادي كوينز •

يجب ان يكون في قصرها الساعة الواحدة •

وليس له ان يتأخر دقيقة واحدة •

الآن الساعة الثانية عشرة والنصف ، وعليه ان يشخص الى داره ، فيبدل ثيابه ، ثم يطير الى قصر البريطانية الفاتنة الجميلة ، فيصل في الموعد المضروب •

وأصر على الذهاب ••

فوقفت كلوديت تودعه هامسة : متى سأراك يا حبيبي؟

قال : في أي ساعة ؟ . . . قالت: وأين.

قال : سأتصل بك هاتفيا في الصباح •

قالت : الافضل ان تتفق على موعد منذ الآن •

قال : اذن في الساعة الواحدة ، بعد ان أنهي عملي •

قالت : ألم تتفق على ان نقضي طيلة النهار معا في صوفر ؟

قال : ولكنني لا استطيع ان اترك عملي قبل الظهر يا حبيبتي •

قالت : انا سأتدبر الامر • سأطلب من ألفونس ان يسمح لك بالتغيب غدا ، لانني بحاجة اليك •

قال : لقد بت اخشى ان يسيء السيد رودان الظن بي يا كلوديت، وهو يراك بحاجة الي مرارا عديدة فيالاسبوع •

قالت : اطمئن • انني متفاهمة مع زوجي • هذا امر لا يعنيك ، انا سأتصل صباح غد بالمستشار ، وأقول لـه : ارسل نهاد الي ، لانني مضطرة الى شراء بعض الاغراض من الاسواق ، وأريد ان يرافقني...وهولن يرفض طلبي• اذن اتفقنا • ستحضر الى هنا ، ومن هنا نشخص معا الى صوفر •

وتمتم : كما تريدين يا حبيبتي •• الى اللقاء •

قالت : الى اين تذهب الآن ؟

قال : انني ذاهب الى داري •

قالت : مع السلامة يا حبيبي •

وخرج نهاد من دار المستشار ••

وخرجت زوجة المستشار في أثره •

هي ستقتفي خطواته •

وستعلم كل شيء •

والويل كل الويل له اذا كان كاذبا ، اذا لم يشخص الـى داره •

واستقل نهاد سيارة تاكسي ••

واستقلت كلوديت سيارة ايضا .

وقالت لسائقها : اتبع هذه السيارة التي تسير امامنا.

وسارت السيارتان ، السيارة التي يستقلها نهاد ، والسيارة التي تستقلها كلوديت روادن ..

وسارت السيارة التي يستقلها نهاد في الطريق الى منزله .

فاطمأن قلب كلوديت : مسكين نهاد، فهو مخلص وفي. لقد أساءت الظن به .

انه لصادق مخلص وفي .

فهو قد شخص الى داره ، في حين كان يخيل اليها انه شاخص الى اللادي كوينز .

لقد أعمت الغيرة بصيرتها ، فأساءت الظن بحبيبها المخلص الوفي ..

وطلبت الى السائق ان يعود أدراجه ، وقد شاهدت سيارة التاكسي تقف امام منزل نهاد ، ويترجل منها ..

وعادت الى دارها ، وهي مطمئنة الخاطر ، ناعمة البال.

ولكنها لو تريثت قليلا ، لشاهدت حبيبها نهاد يخرج من داره ، ويطير الى قصر المرأة البريطانية .

ولكانت قد تأكدت من « اخلاص حبيب القلب والروح » ...

الفصل العاشر

كانت اللادي كوينز في انتظار السكرتير اللبنانـي الوسيم ٠

فأسرعت تصافحه ، وترحب به شديد الترحيب ٠

وجلست واياه دقائق قليلة في قاعة الاستقبال ، قبل ان تقوده الى قاعة الطعام ٠٠

وهناك ، في قاعة الطعام ، جلست اللادي قرب نهاده

وراحت تبالغ في الحفاوة به ٠٠

وتحدثا على المائـدة ببعض الامور الاجتماعيـة ، والعاطفية ٠

ولم تذكر اللادي الامور السياسية بحرف ٠٠

وبعد الغداء ، عادت اللادي البريطانية بضيفها اللبناني الى قاعة الاستقبال ٠

وجلست قربه ، والتصقت به ٠

وأمسكت بيده تشدها وتهمس : نهاد انني لمعجبـة

بك شديد الاعجاب •

فهمس : هذا ما يشرفني يا سيدتي •

قالت : أتكون مرتاحا الى عملك في المفوضية الفرنسية ؟

قال : شديد الارتياح • فالمنصب الذي أحتله ، هو أعلى منصب يمكن للبناني ان يحلم به •

فارتسمت على شفتي اللادي ابتسامة مكر ، وخبث، ودهاء ، وهمست : انت قنوع ، محدود التفكير ، لا تنظر الى بعيد يا نهاد •

فتساءل : لماذا ؟

قالت : هل يخيل اليك ان الفرنسيين سيظلون هم الحاكمين في لبنان ؟

وهل يخيل اليك ان اللبنانيين سيظلون بعيدين عن دار الحكم يا نهاد ؟

قال : من الآن ، الى ان يرضى الفرنسيون بالتخلي عن الحكم للبنانيين ، يبقى لكل حدث حديث •

قالت ، وهي تشعل لفافة فاخرة : ان ذلك اليوم ليس ببعيد • سيطل يوم قريب ويصبح لبنان فيه جمهورية • سيكون رئيس الجمهورية لبنانيا •

فوجم نهاد العاطي ، ماذا تقول هذه البريطانية ؟

انها لترجم بالغيب •

وتابعت اللادي الحسناء كلامها ، ويدها تشد يد نهاد بعطف وشوق وحنان لتقول : انني اؤكد لك ان لبنان سيكون جمهورية •

قال : هذا ما نحلم به نحن اللبنانيين ، الا ان حلمنا لن يتحقق ، كما يبدو ، قبل سنوات بعيدة •

قالت : انت على خطأ • ان حلمكم سيتحقق في مدة قريبة جدا • ان المعلومات التي لدي تثبت ان اللبنانيين سيتولون الحكم في بلادهم •

قال : هل أستطيع ان أعلم مصدر هذه المعلومات يا سيدتي ؟

قالت : لا •• اقول لك بكل أسف لا •• ولكنني استطيع ان اؤكد لك ذلك ، وستبرهن لك الايام ان معلوماتي صادقة صحيحة ، وان اليوم الذي سيصبح للبنان رئيس جمهورية اصبح قريبا جدا •

وصمت نهاد على حيرة ووجوم •

واستأنفت اللادي الكلام لتقول: من هو ذاك الرجل اللبناني الذي سيكون رئيساً للجمهورية في نظرك يا نهاد؟

قال : هناك كثيرون •• هناك اميل اده ، وشارل دباس ، وحبيب باشا السعد ، وبشاره الخوري ، ويوسف السودا •

فعادت تنفث دخان اللفافة في الفضاء وتهمس : اما

انـا فانني أرشح رجلا واحدا للرئاسة الاولى .

قال بفضول والحاح : من هو ؟

وبكل رصانة وهدوء ، همست : نهاد العاطي ..

واشتد الوجوم بالسكرتير الانيق الوسيم .

ودهش ...

وتلعثم وهو يتمتم : مستحيل .. مستحيل ..

وابتسمت اللادي كوينز على مكر ، وخبث ، ودهاء.

وهمست : ليس هناك ما هو مستحيل في الحياة.

انت ستكون رئيسا للجمهورية اللبنانية يا نهاد اذا ..

وصمتت ...

وتظاهرت بانها منصرفة الى التفكير .

فهمس نهاد بحيرة وقلق ووجوم : اذا؟ اذا مـاذا يا سيدتي ؟

قالت : اذا عملت بنصائحي ، ايها الشاب الجميل .

قال : وما هي نصائحك ؟

قالت : سأتحفك بها في الوقت المناسب .

وحاول نهاد ان يقف منها على بعض تلك «النصائح» الا انها ابت ان تجيبه الى طلبه .

وراحت يدها تشد يده .

وغرزت عينيها في عينيه .

والتصقت به ، فعبقت رائحة عطرها في انفه .

وكاد يضيع بين الحلم الرائع الجميل : حلم رئاسة الجمهورية ، وبين اليد المحمومة التي تشد يده : والعينين النجلاوين الجميلتين اللتين تغمران عينيه بالدفء ، وبالحب، وبالحنان ، وبين رائحة العطر الفواح العبير ، الذي يفوح من شعرها المنسدل على كتفيها •

وأيقن نهاد ان البريطانية الرائعة الجمال متدلهة في حبه •

فحاول ان يضمها الى صدره وان يستأثر بها •

الا انها ابتعدت عنه بلطف ودلال ، وهمست : سأراك غدا •• أليس كذلك يا نهاد ؟

وكاد يقول لها «أجل» •

الا انه تذكر موعده مع حبيبته كلوديت في الغد •

وهمس : لا •• انا على موعد غدا • سأراك بعد غد ، اذا شئت يا سيدتي •

قالت : سنتناول طعام الغداء معا بعد غد •

قال : ان شاء الله •

ووقفت •

وكان وقوفها يعني انتهاء الزيارة •

فهي تتصرف بدبلوماسية ، وفن ، ومهارة •

ووقف نهاد •

وامسك بيدها يشدها على وله وحب وشوق وهيام •

ولم تسحب يدها من يده .
بل هي تركت تلك اليد لترتاح على هنأة في يده .
وشدها نهاد الى صدره .
فلم تبتعد ؟..
وعندما حاول ان يلصق شفتيه بشفتيها ، ابتعدت عنه بخفة ورشاقة .
وهمست : الى الغد ... الى الغد يا نهاد .
وهمس نهاد : الى الغد .
لقد ضاعت عليه الفرصة السانحة وخسر القبلة الغراء.
وسار بخطى متئدة ، وهو يفكر بما قالت اللادي كوينز .
برئاسة الجمهورية .
سيكون رئيسا للجمهورية الاولى في لبنان .
وسيدون التاريخ اسمه بين أسماء ابطال لبنان الميامين.
سيقول التاريخ : كان اول رئيس جمهورية في لبنان نهاد العاطي .
وسكر بالحلم الرائع الفاتن الجميل .
ورأى بعين الخيال ، سدة الرئاسة على قيد خطوات منه
فهمس في سره :
أنا لها . لماذا لا اكون انا رئيسا للجمهورية ولدي كل المؤهلات ؟

وظل الحلم الرائع البعيد يتراءى أمام عينيه طيلة ذلك اليوم •

وفي المساء ، عندما آوى الى سريره ، لم يستطع ان يستسلم لسلطان الكرى •

وكيف يستسلم «فخامة الرئيس» للنوم ، وهناك المشاريع الكبرى تنتظر على يديه التنفيذ ؟

وراح يرسم في خاطره المشاريع والاعمال الجسام التي سيحققها ، عندما يصبح رئيسا للجمهورية ••

كل ذلك والجمهورية غير موجودة في لبنان ••

ولم يغمض له جفن ، الا وخيوط الفجر البعيد تنسج رداءها الوردي لتخلعه على لبنان ••

وعندما استفاق كانت الساعة قد أشرفت على الثامنة من الصباح •

فوثب من سريره ليرتدي ثيابه على عجل ، ويسرع الى عمله في دار الحكم ••

ووصل الى مكتبه ، والساعة قد تجاوزت التاسعة •

فاذا بالمستشار يبادره بقوله : ما بك يا نهاد تتأخر اليوم في الحضور الى عملك ؟ أمس ابكرت في الحضور ، واليوم تأخرت ، أراك تأبى ان تتقيد بمواعيد العمل •

قال : سأعوض عن تأخري بالعمل بعد انتهاء الدوام •

قال المستشار مازحا : لا •• انت ستعوض عن التأخير

بتأدية خدمة لزوجتي • ان كلوديت بحاجة اليك • فهي تريد ان تبتاع بعض الاقمشة والسلع من الاسواق ، وتريد ان ترافقها • لقد اتصلت بي هاتفيا منذ دقائق ، وطلبت الي ان أوفدك اليها • انها تنتظرك في الدار •

وتذكر نهاد موعده مع كلوديت •

لقد نسي ذلك الموعد •

رئاسة الجمهورية شغلته عنها ، وعن مواعيدها •

قال : سأشخص اذن اليها الآن •

قال المستشار : أسرع ، لئلا تثور علي وعليك •

وأسرع ••

وطار الى كلوديت ، فاذا بها تقيم منه على انتظار •

وبادرته بقولها : لماذا تأخرت في الوصول الى مكتبك؟ لقد اتصلت الساعة التاسعة بزوجي ، طالبة اليه ان يسمح لك بمرافقتي الى الاسواق ، فقال لي «لم يصل نهاد بعد الى عمله» •

يبدو انك اطلت السهرة ليلة امس •

اين قضيت سهرتك ؟ هل تستطيع ان تقول لي اين؟

وارتسمت على شفتيه ابتسامة واهية صفراء •

وهمس : قضيت السهرة في السرير • لقد شعرت بانني متعب ، فلجأت الى سريري • الا انني لم استطع النوم، الا والفجر يكحل مقلة الليل السوداء •

قالت ، وهي تمسك بيده : ما بك يا نهاد ؟ هل هناك ما يشغلك ، ويقلق خاطرك يا حبيبي ؟

هل هناك ما يشغله ؟

اجل ..

ان ما يشغله هو الوصول الى سدة الرئاسة الاولى.

تلك الانكليزية الفاتنة غرست في رأسه فكرة الوصول الى الرئاسة ، فحرمته الراحة ، والطمأنينة ، والهدوء ..

والتفت الى زوجة المستشار ليقول بمكر وخبث ودهاء:

أجل ، هناك ما يشغلني يا كلوديت !

قالت : ماذا يشغلك يا نهاد ؟

قال : انت .. انت تحتلين قلبي على الرحب والسعة، وتشغلين تفكيري الليل والنهار .

فشدت يدها يده وهمست : يا خبيث .. تعال الآن معي ، سنشخص الى صوفر ، ونقضي نهارنا هناك، بعيدين عن كل عين .

فحاول الاعتراض ، قال : فلنظل هنا في بيروت ، انا لا اعلم لماذا أخاف الذهاب الى صوفر ، كلما شخصنا الى داركم في صوفر ، يخيل الي ان هناك من يراقبنا ، ويتتبع خطواتنا .

دعينا من الذهاب الى صوفر اليوم يا حبيبتي ، ولنشخص الى احد مرابع المدينة .

قالت: ان دارنا في صوفر مكان امين هادىء، نستطيع هناك ان نطمئن الى ان ليس ثمة من يراقبنا ، ولا من يحصو علينا همساتنا . تعال ... تعال ...

قال : ولكنني خائف ، لا اعلم ما هو هذا الشعور الغامض المبض الذي ينتابني كلما وطأت قدماي تلك الدار!

قالت مازحة : جبان .. ان من يحب كلوديت يجب ان يكون شجاعا . انني افكر بأن استبدلك بحبيب شجاع، لا يخاف مرافقتي الى صوفر .

قال مازحا ايضا : لن تجدي شابا أشد شجاعة مني. ان المغامرة في الاستيلاء على قلبك تعتبر ضربا من ضروب البطولة والشجاعة .

قالت ، وهي تتأبط ذراعه : تعال ... لماذا نضيع وقتنا الثمين بهذا الحديث هنا ؟

سنتحدث مليا عندما نصل الى الدار الآمنة المطمئنة، في المصيف الهادىء الباسم الامين .

ونادت الخادمة اليها لتقول : ليلى ، انا شاخصة الى السوق لشراء بعض الاغراض . قد لا أعود قبل المساء . عندما يحضر سيدك قدمي له طعام الغداء ، واذا سأل عني قولي له : ان السيدة كلوديت لن تعود قبل المساء ، فهي تتناول طعام الغداء عند احدى صديقاتها .

وتمتمت الخادمة ، بكل خبث ومكر : مع السلامة

يا سيدتي .

فالخادمة تعلم ان سيدتها تحب السكرتير ، وانهـا شاخصة واياه الى مكان قصي بعيد ، لا يستطيع احد ان يكتشفه .

كما تعلم ليلى الخادمة ايضا ان سيدها المستشار له اكثر من عشيقة .

ولكنها فتاة كتوم .

ما تراه عيناها لا تنطق به شفتاها .

فهي تعلم ان عليها ان تكون خرساء ، صماء ، عمياء، كي تستطيع ان تعيش آمنة مطمئنة في تلك الدار .

واستقلت زوجة المستشار والسكرتير الوسيم سيارة تاكسي الى صوفر .

وجلس نهاد العاطي قرب حبيبته الفرنسية في السيارة.

وراح يستعرض عبر النافذة تلك الربى والوهـاد والوديان التي تجتازها السيارة ، وهو يفكر ..

كان يفكر بالرئاسة . بكل ما قالت اللادي ايفا كوينز.

لقد وعدته بأن يكون رئيسا للجمهورية ، اذا عمل بنصائحها .

الا انها لم تقل له ما هي تلك النصائح التي ستوصله الى سدة الرئاسة ..

انه لعلى استعداد للعمل بكل تلك النصائح ، مهما

كانت ، شرط ان يصبح رئيسا لجمهورية لبنان •

ومضت السيارة في تسلقها التلال والوديان ، ونهاد العاطي غارق في تفكيره البعيد ، يستعيد في نفسه ذلك الحلم الرائع الرؤى المخضل الجناح ••

وكانت كلوديت مثله صامتة ، تمتع نظرها بمفاتن مناظر لبنان الخلابة الرائعة ، دون ان تهمس بحرف •

وكانت كلوديت ترمق حبيبها بنظرات سريعة من وقت لآخر لتجده غارقا في تفكيره السحيق القرار ••

وبدأت الهواجس تقلق خاطر الفرنسية الحسناء •

بماذا يفكر نهاد ؟

ما باله ساهما ، تائها في عالم قصي بعيد ؟

أتراه يفكر بحبيبة جديدة ؟

ومن هي تلك الحبيبة الجديدة التي استطاعت ان تستأثر بتفكير نهاد العاطي وأحلامه ؟

مـن هي ؟

وفجأة لمع في رأسها خاطر سريع •

وجال في خاطرها اسم أثار غيرتها : اللادي ايفا كوينز ••

أتكون اللادي البريطانية قد استطاعت ان توقع نهادا في حبائلها ؟

من يدري ؟

قد يكون نهاد مغرما بهذه الحسناء ، القادمة من بلاد الضباب ، وفي قلبها الف سر وسر .

وشعرت كلوديت رودان بالغيرة تجرف قلبها ، وتلسع فؤادها .

الا انها ابت ان تفصح عما يجول في خاطرها .

ابت ان تطرح على حبيبها اللبناني أي سؤال وهما في السيارة .

وهمست في سرها : سأناقشه الحساب ، عندما نصل الى الدار .

والويل كل الويل له ، اذا لاح لي منه انه متيم بامرأة غيري .

ووصلت بهما السيارة الى صوفر .

وترجلا ، ودخلا الى الدار ..

وأوصدت زوجة المستشار الباب وراءها .

وامسكت بيد السكرتير لتقول : نهاد ! بماذا كنت تفكر ، والسيارة تجتاز بنا الطريق من بيروت الى صوفر ؟

وابتسم نهاد .

وهمس : بماذا تريدينني ان افكر يا كلوديت ؟

قالت : لقد خيل الي ان هناك حبيبة جديدة تحتل قلبك .

حبيبة جديدة ؟

لـم تخطىء كلوديت ..

أجل هناك حبيبة جديدة تحتل قلبه ! انها رئاسـة الجمهورية ..

هذه الحبيبة ، التي تلوح لعينيه بعيدة وقريبة في آن واحـد .

وابتسم نهاد ، وشدت يده يد كلوديت رودان .

وهمس : اجل . هناك حبيبة تحتل قلبي ، الا انهـا ليست جديدة . انها حبيبة قديمة ، ولكنها ستظل جديدة عندي . سيظل حبها يغمر قلبي بنوره اللاهب المضيء . هذه الحبيبة هي كلوديت رودان .

وارتاحت زوجة المستشار كـل الارتياح ، وحبيبهـا يغمرها بكلمات الغزل والهوى والحنين ..

وطوقته بذراعيها وهمست : تعال ...

وجلس ...

وتمتمت كلوديت : هل تعلم ماذا سأفعل اذا لاح لي منك انك تنوي المسير في طريق الخيانة ، اذا علمت انـك على علاقة بامرأة غيري ؟

قال مازحا : وماذا تفعلين ؟

قالت : اقتلك واقتلها .

فضحك وقال : اطمئني لن اترك لك مجال القتـل. لن تقتليني ، لانني لست بخائن ، ولن أكون خائنا .

فهمست : أن شاء الله ..

وراحا يرشفان من معين الهوى .

ويحسوان كؤوس الغرام مترعة ، صافية ، صهباء ..

واطمأن نهاد بعض الأطمئنان .

وتخلى عن احلامه وآماله وهو قرب حبيبته .

ونسي رئاسة الجمهورية ، واللادي كوينز ، والنصائح القيمة التي وعدته بها ..

اما زوجة المستشار ، فقد كانت متربعة على قمة السعادة ، وهي قرب حبيبها السكرتير ، وقد عزمت على الا تعود الى بيروت الا في اليوم التالي .

ستقضي طيلة ذلك النهار في صوفر مع نهاد ، وتنام هناك في صوفر .

لن تعود الى بيروت الا في صباح اليوم التالي .

وطوقت كلوديت حبيبها بيديها .

وشدته الى صدرها بقوة وحنان .

وهمست : هكذا أريد ان أظل قربك يا حبيبي العمر كله .

وهمس : وسنظل هكذا يا روح نهاد ...

الفصل الحادي عشر

فيما كانت كلوديت رودان تسير في سبيل الخيانة في صوفر، كان زوجها المستشار يسلك الطريق الموحل ذاته في بيروت. .

والمستشار رودان متيم بهوى الراقصة الفرنسية مارغو، التي تعمل في ملهى الكيت كات في بيروت ..

والفنانات الفرنسيات كن قد بدأن يغزون لبنان للعمل في ملاهيه .

وكانت الراقصة مارغو بين الفنانات الفرنسيات اللواتي حملهن الهواء إلى لبنان.

وكان المستشار الفرنسي ألفونس رودان قد أعجب بالراقصة الفرنسية الحسناء مارغو .

ولم يلبث الاعجاب ان تحول الى هوى ، بالرغم من السنين الستين التي يرتع بها المستشار، وبالرغم من السنوات الثلاثين التي تنعم بها مارغو الحسناء. .

ومارغو كانت تحب فتى لبنانيا ، هو نجل رجل سياسي كبير •

الا انها كانت تبادل المستشار العاطفة طمعا بماله، وبمركزه المرموق •

وفي ذلك اليوم ، يوم شخصت زوجة المستشار الى صوفر ، اتصل المستشار بحبيبته الراقصة ليقول : أريد ان اقضي بعد ظهر اليوم واياك يا مارغو •

قالت : انت تعلم ان حبيبي غيور • وهو لا يتورع عن قتلي وقتلك يا ألفونس اذا دهمنا معا •• ثم لا اخفيك ان هذا الحبيب هو خطيبي وسأكون قريبا زوجته •

قال : اسمعي ، يا مارغو •• انا املك دارا هادئة جميلة في صوفر •• سنذهب معا بعد الظهر الى صوفر• هناك لن يصل خطيبك الينا ولن يعلم شيئا •

قالت : أوافق ، شرط ان نعود الى بيروت قبل المغيب•

قال : سيكون لك ما تريدين • سنشخص الى صوفر فنقضي وقتا ممتعا ، ونكون هنا في بيروت قبل ان تتوارى الشمس وراء الافق البعيد •

قالت : اذن سأكون رفيقتك •

قال : انتظريني في الفندق حيث تقيمين ، سأكون عندك في تمام الساعة الثانية بعد الظهر •

وكان عندها في الفندق في الموعد المضروب • فاذا

بها تقيم منه على انتظار •

وأقلتهما السيارة الى صوفر ••

ووصلت بهما الى المصيف الجميل ، فتوقفت السيارة بالراقصة وبالمستشار امام الدار الهانئة الفسيحة الأرجاء• وترجــلا •••

وسارا الى الباب •

ووضع المستشار المفتاح في الثقب وأداره •

وكانت زوجته حينذاك مع سكرتيره في قاعة النوم •

ووجمت كلوديت ، وهي تسمع صرير المفتاح •

واشتد الوجوم بها وهي تسمع وقع خطوات في البهو•

وذعر نهاد العاطي •

وهمس : يبدو ان الكارثة نزلت بنا يا كلوديت • من تراه الداخل علينا ؟••

فهمست : لست ادري يا نهاد •

ووثبت كلوديت الى الباب ، باب غرفة النوم ، توصده من الداخل وهي ترتجف من الخوف •

لقد خيل اليها ان ثمة لصا او مجرما ، شاهدهما وهما يدخلان الى الدار ، فجاء يسلبهما مالهما •• وربما سلبهما حياتهما •

ولم يخطر في بالها ان القادم اليها بالسلامة هو الزوج الكريم ••

ووقف نهاد يرتجف ايضا . فهو يخشى الفضيحه .

يخشى ان يصل النبأ الى زوج حبيبته ، الى رئيسه، الى المستشار .

ماذا سيفعل المستشار عندما يعلم ان سكرتيره هو عشيق زوجته ؟

وأرهفت كلوديت اذنيها ، فيما ترتدي ثيابها ، فسمعت صوت زوجها يتمتم : ما هو رأيك في هذه الدار النائية البعيدة يا مارغو ؟ هل يستطيع خطيبك ان يكتشف مقرنا هنا ؟

وسمعت كلوديت صوت الراقصة الفرنسية الحسناء يقول : انها لدار رائعة يا ألفونس .

وتنفست كلوديت الصعداء ، وهي تسمع صوت زوجها . الحمدلله ، فليس ثمة لص يهدد حياتها ومالها .

اما نهاد العاطي فقد اشتد به الذعر ، وهو يسمع صوت المستشار.وكاد يغمى عليه .

ووثبت كلوديت الى نهاد هامسة : اطمئن ، فليس ثمة ما يدعو الى القلق يا نهاد . انا سأتدبر الامر .

يطمئن ؟

وهل يستطيع ان يتعرف الى الاطمئنان ، وثمة زوج حبيبته مقبل ليدهمه مع الزوجة المصون في غرفة النوم ؟

وراح نهاد يفكر بسرعة في الخلاص من هذا المأزق

الحرج الرهيب •

وعزم بعد تفكير سريع خاطف على القفز من النافذة•

واقترب من النافذة •

الا انه ادرك انه لن يستطيع القفز ، والمسافة بعيدة بين النافذة والحديقة ، فكاد يجن •

ماذا عليه ان يفعل ؟

وكيف ينجو من الكارثة الدهياء ؟

ليس يدري ، ليس يدري •

وشاهدته كلوديت في ذعره وقلقه ، وفي محاولته الوثوب من النافذة الى الحديقة •

فاقتربت منه هامسة : قلت لك اطمئن ، فليس هنالك ما يخيف • اختبىء تحت السرير الآن ، ودع الامر الي •

وزحف السكرتير الى تحت السرير •

وفتحت كلوديت الباب بكل جرأة وشجاعة •

ووثبت الى زوجها الذي كان يقف امام الباب محاولا فتحه ، وصرخت به : أهلا بالزوج المخلص الوفي ، وبعشيقته الطاهرة المصون •

ووجم المستشار ، وهو يشاهد زوجته تقف امامه كالعاصفة العاتية الهوجاء •

وتمتم بوجل وارتباك : كلوديت ؟ لماذا جئت الى هنا ؟ وماذا تفعلين في هذه الدار ؟

وهدرت كلوديت : جئت لأستقبلك .. لاكون في استقبال عشيقتك الفاجرة ، ايها الزوج المخلص الوفي .

وتحول ارتباك ألفونس رودان ووجومه ، الى خوف وذعر . وهو يشاهد زوجته في ثورتها الجامحة الهوجاء .

لم تكن كلوديت لتثور عندما تشاهده يغازل او يسامر فاتنة حسناء .

فلاتفاق صريح بينهما : لا هو يتدخل في شؤونها الخاصة ، ولا هي تتدخل في اموره الشخصية .

فما بالها اليوم تغضب وتزأر وتثور ؟

واقترب منها ليقول : كلوديت ! لا تستسلمي لثورة الغضب لئلا تجرفك وتجرفني وتطيح بنا . ليس ثمة ما يدعو الى هذه الثورة ، وقد كنا ابدا متفاهمين متفقين آمنين.

فهدرت : كنت المغلوبة على أمري . كنت اصبر علك ترعوي وتعود الى رشدك ايها القذر ، فاذا بك تتمادى في الضلال ، وتمعن في اهانتي وخيانتي .. ليس ثمة زوجة ترضى بما رضيت به . لقد هدرت شبابي معك ايها الكهل الواهي المتهدم الاركان ، وعشت معك راضية بقسمتي من الحياة ، مخلصة وفية . فبادلتني التضحية بالعقوق ، والوفاء بالخيانة ، والاخلاص بالجحود والنكران .

قال ، وقد خشي ثورتها اللاهبة الحمراء : ارجوك ان تخففي من غضبك يا كلوديت . تعالي نعد الى بيروت الآن.

وسنتفاهم ونصفي حسابنا •

فعربدت : عد وحدك الى بيروت ، عد مع عشيقتك ايها الوغد ، اما انا فسأظل هنا ، في هذه الدار الطاهرة النقية الناصعة البياض ، التي جئت لتدنسها وتغمرها بالوحول •

وكانت الراقصة مارغو واقفة تستمع الى مناقشة الزوجين ، والى محاضرة كلوديت في الطهارة والشرف والنبل والعفاف ، وهي واجمة ساهمة •

فالمفاجأة اذهلتها •

لم تكن تنتظر ان تنتهي نزهتها مع عشيقها المستشار قبل ان تبدأ ، وتكون هذه النهاية فضيحة •

ورأت مارغو ان تسرع بالهرب ، قبل ان تنتهي كلوديت من شتم زوجها ، وتبدأ بها •

فخرجت من تلك الدار مهرولة لا تلوي على شيء •

وحاول المستشار الاقتراب من زوجته لتهدئة خاطرها•

هو سيخمد ثورة غضبها بهدية ثمينة ، بخاتم ماسي، او بسوار ذهبي ، او بمعطف من الفرو الغالي الثمين •

الا ان كلوديت دفعته عنها صارخة به : الحق بعشيقتك ايها الوغد • ابتعد عني ، لا تقترب مني ، لئلا تدنس طهارتي وشرفي بقذارتك •

قال : لك عندي هدية ثمية يا كلوديت • تعالي معي

الى بيروت لأتحفك بها •

فهدرت : احتفظ بهداياك الثمينة لعشيقتك الراقصة• اما انا فلا أريد ان ألطخ يدي بهذه الهدايا •

فعاد الى محاولة الاقتراب منها •

الا انها صرخت به : اذا اقتربت مني ، فأنا سأفتح النوافذ والابواب واصرخ ، داعية ابناء صوفر الى الوقوف على اخلاق المستشار الرفيعة ، ونبله ، وشرفه •

سأفضحك ايها المستشار الكريم •

فأدرك انها جادة في تهديدها •

ورأى ان يتقي الفضيحة ، قال : انا سأعود الى بيروت ، وارجو ان تلحقي بي ، عندما تهدأ ثورة غضبك، وتعودين الى رشدك •

وأسرع بالخروج من تلك الدار •

واستقل سيارة أوصلته الى بيروت ، وهو على حنق وغضب وأسف •

وأوصدت كلوديت الباب وراءه •

واطمأنت ، وقد ذهب الزوج العزيز بالسلامة •

وعادت الى قاعة النوم لتدعو حبيبها الى الخروج من المخبأ •

قالت : نهاد ، اخرج ، لقد ذهب ، وانتهى الامر •

وانسل نهاد العاطي من تحت السرير ، وصفرة الموت

تعلو محياه •

«فالقطوع» الذي فاته يهد الاركان ، ويقصم الظهر••

ماذا كان موقفه لو ان المستشار اكتشف سر العلاقة القائمة بينه وبين زوجته ؟

أي كارثة رهيبة دهياء كانت ستحل به ، لو دهمه المستشار بالجرم المشهود مع زوجته ؟

لقد أنقذته كلوديت من الوقوع في الكارثة •

أنقذته وأنقذت نفسها •

وظهرت امام زوجها بمظهر الزوجة الشريفة ، العفيفة، الطاهرة الذيــل •

واصبح زوجها المجرم اللئيم ••

«ان كيدهن لعظيم» •

وضحكت كلوديت ، وهي تشاهد حبيبها يتسلل من المخبأ ، وهو اصفر الوجه ، واهي القوى ، تائه النظرات•

واستلقت على السرير ، واخذت تقهقه ••

وجلس نهاد العاطي ، وقد استعاد بعض روعه •

وهمس : الحمد لله على السلامة •

اقلت : تعال الآن ايها الجبان • تعال اجلس قربي •

قال : لا •• لن اقيم دقيقة واحدة في هذه الدار• يجب ان اذهب الان • لقد ذهب نصف عمري !

قالت : بل سنقضي الليل هنا • لن نعود الى بيروت قبل غد •

قال : واذا خطر لزوجك العزيز ان يعود الى هنا ؟ ماذا يحل بنا ؟ سيذهب النصف الباقي من عمري •• ويذهب عمرك كله •• لقد سلمت جرتنا هذه المرة يا كلوديت، وما كل مرة تسلم الجرة •

قالت : اطمئن • زوجي لن يعود الى هنا • هو لم يصدق انه نجا مني • أتريده ان يعود بعد ان سلم رأسه ؟

قال : يجب ان نعود ، يجب ان نخرج من هذه الدار الان •

قالت : مجنون • نحن الآن هنا في مأمن من كل خطر ، فكيف تريدنا ان تتخلى عن هذه الفرصة السانحة؟ تعال ، تعال •

وحاول نهاد اقناعها بالعودة الى بيروت ، الا انه فشل •

لقد أصرت على البقاء في صوفر •

وقضيا تلك الليلة في صوفر يغرفان من معين الهوى والغرام •

وضاعت كلوديت بين ذراعي حبيبها الوسيم •

وضاع نهاد •••

وفي صباح اليوم التالي ، أبكر نهاد العاطي في

النهوض من السرير .

وأيقظ حبيبته ليقول : والآن ؟ ألا تريدين العودة الى بيروت ؟

فابتسمت ، وهمست : لا ...ستعود وحدك . أما انا فسأظل هنا . أريد ان يتأكد زوجي انني غاضبة حانقة، فيعمل جاهدا على استرضائي .

قال : اذن سأودعك الآن ، على أمل اللقاء قريبا .

فشدت يدها يده وقالت : ستعود الى هنا في المساء، بعد ان تنهي عملك .

فصعق ...

أيعود الى تلك الدار ، التي كاد يفقد فيها حياته ؟ مستحيل ..

وتمتم : لا يا كلوديت . لا .. انا لن اعود الى هنا .

قالت ، ويدها لا تتخلى عن يده : بل ستعود في المساء . ستخبرني ماذا كان من زوجي . ماذا فعل بعد ان طردته من هنا . اريد ان اقف منك على تفاصيل المسرحية المضحكة .

فحاول التملص من اجابة رغبتها .

الا انها اصرت ..

ورأى ان يعدها بالعودة ليتخلص من احراجها ، قال: سأجرب ان اعود في المساء .

قالت : لا تنس انني اقيم منك على انتظار يا حبيبي.

وودعها ، وقفل عائدا الى بيروت .

وعاد الى التفكير برئاسة الجمهورية ، وبالفاتنة البريطانية الحسناء . باللايدي كوينز .

انه على موعد معها اليوم .

سيتناول طعام الغداء في قصرها .

وستتحفه بنصائحها الغالية الثمينة السمحاء .

ووصل الى دار الحكم ..

ودخل الى مكتبه ليفاجأ بالمستشار جالسا والغضب يستبد به .

وقبل ان يلقي عليه التحية بادره المستشار بقوله : اين كنت ؟

ووجم نهاد ...

وتلعثم ...

ودارت في رأسه الف فكرة وفكرة ، والف سؤال وسؤال .

ترى هل وقف المستشار على الحقيقة ؟ هل علم اين كان ؟

وعاد المستشار رودان الى الكلام ليقول : لقد سألت عنك في دارك فلم أجدك . انني بحاجة قصوى اليك يا نهاد .

قال نهاد ، والقلق يستبد به : بماذا يأمر سيـــدي المستشار ؟

فوقف المستشار •

واقترب من سكرتيره الامين ليقول : اسمع يا نهاد • انت تعلم انني اثق بك ثقة عمياء • وتعلم ان ثقتي بـــك تهيب بي الى الاعتماد عليك في بعض اموري الخاصة • اريد الان ان اعهد اليك بمهمة ، قد تكون صعبة ، الا انني على يقين من انك تستطيع القيام بها خير قيام •

قال نهاد : سأكون سعيدا اذا استطعت ان اقـــدم لسيدي المستشار الخدمة المطلوبة •

قال المستشار روادن : انا لم اكن لأخفي عنك يومـا اسراري الخاصة ، وانت «سكرتيري» الامين • ولكن السر الذي سأطلعك عليه الان يختلف عن جميع الاسرار التي أطلعتك عليها حتى الآن.

فبدأ السكرتير الشاب يطمئن بعض الاطمئنان ، وقد ايقن ان المستشار لم يقف على العلاقة الاثيمة التي تربطـه بزوجته كلوديت •

قال : فليكن سيدي على ثقة من ان سره سيكـــون مصانا محفوظا •

قال الفونس روادن : انا على خلاف شديد مـــع زوجتي كلوديت وهي معتصمة الان في دارنا في صوفر •

اريدك ان تشخص الى صوفر وتقنعها بأنني مخلص امـين وفي ، وتعود بها الى بيروت • ان كلوديت تحترمك وتثق بك يا نهاد ، وهي ستستمع اليك ، وتنزل عند نصيحتك •

فارتاح نهاد العاطي كل الارتياح والمستشار يعهد اليه بهذه المهمة •

وضحك في سره •••

رئيسه يعهد اليه بحل المعضلة التـي كان هو سبب تعقيدها •

ماذا عساه يقول هذا الفرنسي الكهل . لو علـم الحقيقة الناصعة ؟

واستأنف الفونس رودان الكلام، ليقول: ستشخص الآن إلى صوفر يا نهاد، لا تعد إلي إلا وكلوديت برفقتك.

فأجفل نهاد العاطي ، والمستشار يدعوه الى الذهاب الى صوفر في تلك الساعة •

هو لا يستطيع ان يغادر بيروت الان •

انه لعلى موعد مع اللادي كوينز، ولا يجوز ان يخلف موعده مع السيدة البريطانية الحسناء •

والتفت نهاد الى المستشار روذان ليقول : انت تعلم يا سيدي ان الاشغال كثيرة لدي ، والاعمال متراكمة على مكتبي ، سأشخص في المساء الى صوفر ، بعد ان انهـي اعمالي •

فهدر المستشار روران : بل انت ستذهب الى صوفر الان ، في هذه الدقيقة •

ورمق السكرتير الساعة المشدودة الـــى معصمه ، ليلقي نظرة سريعة عليها ، فاذا بالساعة تشرف على العاشرة من الصباح ، موعده مع اللادي كوينز ، الساعة الواحدة بعد الظهر ، فهل يستطيع ان يشخـص الى صوفر الان ، ويعود الى بيروت قبل حلول الموعد المضروب ؟

وايقن نهاد انه لن يستطيع العودة من صوفر قبــل الساعة الواحدة •

فالعهد ذاك عهد عربات الخيل ، والسيارات لا تزال ضئيلة العدد في لبنان ، وهي بطيئة السير •

اذا سار نهاد الساعة العاشرة من بيروت ، فهو لــن يصل الى صوفر قبل الواحدة بعد الظهر •

ولن تقدر له العودة الى بيروت قبل حلول الثالثة ، او الرابعة من المساء ••

ورأى نهاد ان يقنع المستشار بتأجيل موعد الرحلـة الى صوفر الى المساء •

وراح يعمل على اقناعه قال : فليسمح لي سيــدي بانهاء اعمالي قبل ان اشخص الى صوفـــر ، فهي اعمال مستعجلة تلح علي بانجازها ، وانت تعلم يا سيدي قيمـة هذه الاعمال وأهميتها •

فأصر المستشار روادن : ستشخص الان الى صوفر • ونفحه بعشر ليرات لبنانية ــ والعشر ليرات يومذاك توازي الألوف اليوم، والليرة الذهبية لا تساوي اكثر من ليرات لبنانية ثلاث ــ قال : خذ هذا المبلغ نفقات الرحلة الى صوفر يا نهاد • انني باتنظار عودتك على أحر من الجمر •

فغلب السكرتير على امره •

هو لن يستطيع الرفض ، المستشار امر ، وعليه ان ينفذ الامر ••

وحاول ان يرفض قبول الليرات العشر ، الا ان المستشار الح عليه •

فتناول المبلغ يدسه في جيبه ويهمس : شكرا يا سيدي المستشار • ارجو ان اوفق في القيام بما يفرضه علي الواجب حيالكم وحيال السيدة كلوديت •

قال المستشار : ليس لي ان اوصيك بما يجب عليك القيام به •

فانت تعلم سبل الاقناع ، وتدرك كيف يمكن اقناع المرأة بنصاعة جبين زوجها •

تصرف بما يؤهلك ذكاؤك ، وحكمتك ، ومكرك يا نهاد •

قال نهاد : اطمئن يا سيدي • ارجو ان اكون عند

حسن الظن .

وخرج السكرتير من ديوان المستشار والقلق يستبد بـه .

ماذا عليه ان يفعل ؟

لقد طلب اليه رئيسه ان يشخص الى صوفر ، في حين هو على موعد مع اللادي كوينز ..

هل يذهب الى صوفر ؟

ام يشخص الى قصر البريطانية الحسناء ؟

وسار على غير هدى ...

وانغمس في تفكيره العميق البعيد القرار .

ورأى ، بعد تفكير طويل ، ان يؤجل موعد الذهاب الى صوفر حتى الثانية بعد الظهر .

سيوافي اللادي كوينز، وسيتناول طعام الغداء واياها في الساعة الواحدة ، ويستمع الى نصائحها الحكيمة التي تتكفل بايصاله الى رئاسة الجمهورية ، ثم يشخص الـى صوفر ، ويقوم بالمهمة التي القاها على عاتقه المستشار ..

واطمأن كل الاطمئنان الى قراره هذا .

وشخص الى داره ليستريح بعض الوقت ..

وما ان اشرفت الساعة على الواحدة بعد الظهر ، حتى كان في قصر الفاتنة البريطانية الرائعة الحسن والجمال .

واستقبلته اللادي كوينز بالترحيب الشديد ..

وسارت به الى قاعة الطعام •

وجلسا يتناولان الطعام الشهي ، ويتبادلان بعض الاحاديث •••

وبعد الانتهاء من تناول الطعام ، انتقلا الى قاعة الاستقبال •

وجلست اللادي كوينز قرب السكرتير الوسيم •

والتصقت به فعبقت رائحة عطرها الفواح العبير في أنفه •

وأحس بانفاسها العطرة تهب على وجهه •

وشعر بأصابعها العاجية تلامس اصابعه •

وغرزت عينيها في عينيه ، فكاد يضيع ••

ونسي نهاد العاطي ، وهو قرب اللادي كوينز . رئاسة الجمهورية ، والنصائح الثمينة التي وعدته بها السيدة البريطانية والتي ستوصله الى الرئاسة الاولى •

وضاع نهاد العاطي بين رائحة العطر ولمسة اليد .

وشعر بقشعريرة حالمة تسري في عروقه على جوى ونار •

فأغمض عينيه على حلم رائع جميل وارف الظلال •

وابتسمت اللادي الفاتنة وهي تشاهده على تلك الحال •

وأيقنت ان العصفور وقع في الشرك ••

وشدت اصابعها اصابعه ، وهمست : نهاد !••

ووقعت الكلمة في اذنه كنغمة موسيقية شجيـــــة حنون ..

وهمس : انا عبد جمالك ايتها اللادي الفاتنة .

قالت : انت فـاتن رائع ، ايها اللبناني الجميل .

وتجرأ فشدت يده يدها ...

وعادت الى الالتصاق به ، وهمست : يا حبيبي !..

وبلغت به الجرأة حد الهمس : يا حبيبتي !..

فطوقته بذراعيها ، وألقت بخدها على خده المحموم الوسيم.

والتصقت الشفاه الاربع في قبلة عاصفة حمراء ...

فما كان منه الا انه طوقها بذراعيه.

وضاعا معا في مجاهل الحب ، والهوى ، والعناق .

وطالت جلستهما الحالمة ..

واستفاق نهاد العاطي من الحلم الجميل المخضـــل الجنـاح .

وألقى نظرة سريعة الى الساعة المشدودة الى معصمه، فاذا بالساعة تشير الى الثالثة بعد الظهر .

فقلق ، وهو يتذكر المهمة التـــي انتدبه اليهـــا المستشار .

عليه ان يشخص الآن فورا الى صوفر ، لئلا يدهمه الوقت .

سيشخص الى صوفر ثم يعود الى بيروت ليطلع المستشار على نتيجة مساعيه مع الزوجة المصون ..

ووقف ليقول : انني مضطر الى الابتعاد عنك الان يا فاتنتي الساحرة . على أمل اللقاء القريب .

فأمسكت بيده تشدها وتقول : اجلس .

قال ، محاولا الاعتذار : انني على موعد مهم . ارجو ان تسمحي لي بالانصراف .

قالت : مهما كان موعدك مهما ، فهو لن يكون اكثر اهمية من مستقبلك يا نهاد . اجلس ... اجلس .

وتذكر رئاسة الجمهورية .

قال : سأعود غدا ، اذا شئت .

قالت بلهجة الآمرة : اجلس ..

وجلس على مضض ...

هذه المرأة تصدر اوامرها ، وكأنها سيدة ذات سطوة ونفوذ .

وهو لا يستطيع ان يخالف لها امرا ..

ولكن ...

ولكن عليه ان ينفذ اوامر المستشار .

يجب ان يشخص الى صوفر ، ويقوم بالمهمة الملقاة على عاتقه ..

ماذا يفعل ؟

هل يجلس ؟
هل ينصرف ؟
ليس يدري .. ليس يدري .
وراح يفكر بسرعة .
كان عليه ان يتخذ قرارا حاسما .
هل يمتثل لأمر اللادي كوينز ؟
ام ينفذ امر رئيسه ؟

وقبل ان يتخذ القرار الحاسم ، كانت اللادي الحسناء تعود الى الكلام لتقول : الا تريد ان تكون رئيسا للجمهورية اللبنانية يا نهاد ؟

وجلس نهاد ..

وهمست البريطانية الحسناء : ستكون اول رئيس للجمهورية ، وستكون «اجمل» رئيس جمهورية في العالم يا حبيبي .

وأسكرته كلماتها ..

رئاسة الجمهورية ، كل ما يبتغي ويريد نهاد العاطي .

وما دامت هذه الحسناء الساحرة تمهد له السبيل الى عرش الرئاسة ، فهو عبد لها .

ما عليها الا ان تأمر حتى ليقوم اوامرها السامية الكريمة ..

وعادت ايفا كوينز الى الالتصاق به لتقول : نهاد !

الرئاسة الاولى باتت قريبة منك . انها في متناول يدك ، ما عليك الا ان تمد هذه اليد اليها حتى تنالها وتظفر بها .

قال : ولكن كيف استطيع الوصول الى سدة الرئاسة وهناك عشرات السياسيين الكبار يسعون اليها ؟ ويستميتون في الوصول اليها؟ هل استطيع ان انافس اميل اده، وبشاره الخوري ، وحبيب باشا السعد ، وشارل دباس ، ويوسف السودا ، وجورج تابت ، وغيرهم من كبار رجال السياسة والمال ، على رئاسة الجمهورية ؟

فأشعلت البريطانية الحسناء لفافة فاخرة ، واستوت في مقعدها الرجراج الوثير .

وهمست : اجل ، تستطيع ان تنافس هؤلاء كلهم . وتستطيع ان تصل الى رئاسة الجمهورية قبلهم ، اذا عملت بنصائحي .

قال : انا على استعداد تام للعمل بكل نصيحة تقدمينها لي .

فنفثت دخان اللفافة في الفضاء وتمتمت :شكّل حزبا !

فوجم ...

كيف يستطيع ان يؤلف حزبا ، وهو بلا زعامة ، ولا مكانة مرموقة ، ولا مال ؟..

ومن تراه ينضوي تحت لواء حزبه الكريم ؟

وكأن اللادي كوينز قرأت ما يجول بخاطره .

فقالت : ان قضية تشكيل حزب امر سهل ميسور يا حبيبي ، ما عليك الا ان تجمع عشرة ، او عشرين شابا ، وتضع قانونا وهميا ، وتطلق اسما على مجموعة هؤلاء الشبان ، فيكون لك حزب «بأربعة وعشرين قيراطا» •

لم تكن الاحزاب مألوفة يومذاك في لبنان ، فما هناك حزب لبناني ، ولا منظمة ، ولا حتى جمعية •

لذلك ، فان نهاد العاطي لم يتحمس كثيرا لفكرة انشاء حزب •

قال : هل يستطيع هذا الحزب ان يوصلني الى رئاسة الجمهورية ؟

قالت : انا سأساعدكم ، وسأنير أمامكم السبيل . وسأرشدكم الى الوسائل الناجعة التي تكفل ايصال «رئيس الحزب» الجديد الى رئاسة الجمهورية •

قال : ولكن تأليف الحزب يحتاج الى المال ، وانا لا املك من حطام هذه الدنيا شيئا •

فهمست : اطمئن •• المال موجود • خزائني ملأى بالذهب • وكل ما املك سأضعه بين يديك يا حبيبي •

قال : هل يخيل اليك ان هذا الحزب سيكون ذا سطوة وقدرة ونفوذ ؟ هل يمكن لهذا الحزب ، اذا تألف، ان يفرض ارادته ، وان ينفذ كلمته ، وان يحكم في البلاد •

قالت : انني اؤكد ان الفرنسيين سيهرعون الى استمالتك ، والى الحصول على رضاك ، سيكون حزبك يا نهاد شبحا رهيبا مخيفا ، يقلق خاطر الفرنسيين ، ويقض مضاجعهم .. وكي يتخلصوا من هذا الحزب ، ويتقون شره ، سيعمدون الى استرضاء رئيسه .

فبدأت الغشاوة تنقشع عن عيني نهاد .

اللادي كوينز على حق .

ان حزبه سيكون اول حزب في لبنان .

وسيستطيع ان يفرض سلطانه ، وان يمد سطوته ونفوذه في البلاد .

وصمت نهاد العاطي .. وانصرف الى التفكير .

قد تكون اللادي على حق .

ولكن تأليف الحزب ليس بالامر السهل الميسور . لاسيما وهو موظف كبير في المفوضية .

هل يحق للموظف ان يكون رئيس حزب ؟ او بالاحرى ، هل يحق له ان ينتمي الى حزب ؟

من المؤكد ان الجواب : «لا ..»

واذا اراد ان يؤلف حزبا ، عليه ان يستقيل من وظيفته .

فماذا تكون حاله اذا لم يستطع تأليف الحزب المنشود ، بعد ان يستقيل من الوظيفة التي سعى اليها .

والتي لجأ الى كبار رجال البلاد ، والى اصدقاء الفرنسيين للوصول اليها ؟

وطال تفكيره •••

وكانت اللادي كوينز تراقبه وهي تدخن •

كانت تستعرض تأثير تفكيره ينعكس على وجهه ويسطع في عينيه ••

وهمست اللادي بعد صمت طويل : اسمع يا نهاد • لقد ارشدتك الى السبيل الذي يوصلك الى الرئاسة الاولى• ووضعت مالي ، ونفوذي ، وقدرتي ، وخبرتي بين يديك •

فكر بالامر مليا ، وعد الي غدا بالجواب •

واذا وافقت على رأيي ، عليك ان تبدأ العمل فورا •

واذا لم توافق ، فستظل عندي في مقام الحبيب ، وستظل هذه الدار مشرعة الابواب امامك •

قال : شكرا يا حبيبتي على ما تبدين نحوي من اهتمام كبير ، سأفكر بالامر ، ولن اتخذ القرار النهائي قبل العودة اليك ، والاستنارة برأيك السديد ، وبحكمتك الرفيعة ، وبنصائحك الغالية الثمينة•••ونهض مودعا ••

فضمته اللادي الحسناء الى صدرها بعطف وشوق وحنان ، وهمست : فليلهمك الله ما فيه خيرك وسعادتك، وتحقيق آمالك العذاب يا حبيبي •

الفصل الثاني عشر

خرج نهاد العاطي مـــن قصر اللادي البريطانية . والساعة تشير الى الرابعة من بعد الظهر .

لقد تأخر في الذهاب الى صوفر .

كان من المفروض ان يكون الان عائدا من صوفر ، فاذا هو ما زال في بيروت .

ماذا عليه ان يفعل ؟

من المؤكد ان المستشار يقيم منه على انتظار مديـد رحيب .

فليسرع في الذهاب الى صوفر ، وفي العودة منهـا على قدر المستطاع .

واستقل سيارة ، طلب الى سائقها ان يوصله الـى صوفر على جناح السرعة .

وطارت به السيارة تتهادى في مسيرها الى صوفر ..

وجلس نهاد في السيارة يفكر ويدخن ..

يفكر بهذه الفاتنةالبريطانية التي وهبته قلبها وجسدها، والتي وضعت مالها ، وخبرتها ، وذكاءها تحت تصرفه ..

وتراءت امام عينيه المشاهد الرائعة التي مثلها مع اللادي الحسناء في قصرها الشامخ المنيف ..

وراح يفكر .

يفكر بجمال ايفا ..

بجسدها الابيض البض الجميل .

بثغرها الندي .

بشعرها الذهبي المواج المسدل على كتفيها .

بهمساتها ...

بآهاتها ...

برائحة عطرها ..

وشعر بشوق بعيد وبحنين وارف رحيب اليها .

وادرك ان حبها يتسلل الى قلبه ، وانها استطاعت ان تترك في نفسه اثرا وارف الظلال ، عميق القرار .

وجنح الى التفكير برئاسة الجمهورية ، وبالحزب الجديد الذي سيوصله الى سدة الرئاسة .

وطال تفكيره والسيارة تجتاز به الطريق الملتوي البعيد الى صوفر .

وراح يستعيد في خاطره كل ما قالته اللادي كوينز. ولاحت له آراء السيدة البريطانية الحسناء صائبة ،

جديرة بالاهتمام ، وبالتنفيذ •

من الممكن ان يوصله الحزب الى رئاسة الجمهورية•

ولكن هل يمكنه تأليف هذا الحزب ، والانفاق عليه؟

اللادي تقول انها ستمده بالمال •••

لماذا تريد هذه البريطانية الحسناء ان تجود بمالها عليه ؟

لماذا تريد ان تضحي من اجله ؟

لماذا تريد ان توصله الى رئاسة الجمهورية ؟

وأجاب على هذه الاسئلة بجواب واحد : هي تحبني •

من المؤكد انها تحبه ، والا فلماذا تمنحه كل شيء ، ولا تطلب منه شيئا ؟

ان الحبيب يهب حبيبه كل ما يملك •

الحب عطاء ، وبذل ، وسخاء •

واللادي كوينز تحب ، وتعطي ، وتبذل ، وتسخو ، وتجود •

سيبادلها الحب بالمثل ؛ وسيكون مخلصا وفيا في حبه اياها •

ولكن •••

ولكن كلوديت رودان •••

ماذا سيكون موقفها منه ، عندما تقف على علاقته

بالفاتنة البريطانية ؟

ماذا ستفعل ؟

من المؤكد انها ستثور ثورتها الفرنسية المألوفة ...

ستسب وتلعن وتشتم .

وستحرد ، وتعلن نقمتها عليه .

كل هذا لا يهمه .

سيخسر حبيبة ويربح حبيبة .

سيخسر حبيبة فرنسية ويربح حبيبة بريطانية .

صحيح انه يحب كلوديت ، وانه سيتألم لفراقها بعض الالم ، ولكن حب اللادي كوينز سيكون البلسم الشافي لجراح قلبه وروحه ، وستنسيه ايفا كوينز حبه الدامي الصريع .

ان مصلحته الشخصية في توطيد علاقته بتلك البريطانية الحسناء .

وسيعمل بوحي من مصلحته الشخصية .

وراح يرسم خطة يتخلص بها من كلوديت .

وقر رأيه ان يكون التخلص منها رويدا ، رويدا «بالتقسيط» ، لئلا تكون الصدمة عنيفة عليها وعليه .

وسيتخذ من اخلاصه وصداقته ومحبته لزوجها ذريعة للتخلص منها .

سيدعي ان اخلاقه «العالية» تهيب به الى الابتعاد

عنها ، لان هذه الاخلاق تأبى عليه ان يخـــون رئيسه ، وصديقه ، وولي نعمته •

واطمأن بعض الاطمئنان •

ونفث دخان لفافته في الفضاء •

وابتسم ، وهمس في سره : سأكـــون باذن الله ، وبمساعي اللادي كوينز ، رئيسا للجمهورية اللبنانية ••

وليعش فخامة الرئيس •

ووصلت السيارة به الى صوفر والشمس تشرف على المغيب •

وترجل منها ليثب الى دار المستشار رودان •

وطرق الباب •

فاقبلت زوجة المستشار تفتح الباب •

ومع الباب تفتح له ذراعيها •

فارتمى بين الذراعين المفتوحتين على شوق وهـــوى وحب وحنين •

وهمست كلوديت في اذن نهاد ، وهي تعانقه : لقـــد كنت متيقنة من عودتك يا حبيبي • ولذلك ، فقد هيـــأت لك عشاء فاخرا •• تعال •• تعال معي •

وقادته الى قاعة الطعام ، فاذا به امام مأدبة عامـــرة بأصناف المأكولات الشهية والمشروبات الفاخرة •

وتمتمت : سنتناول طعام العشاء معا ، ونقضي الليل

معا • لقد قضيت طيلة النهار وانا منصرفة الى اعداد الطعام، ارجو ان تروق لك هذه المأدبة الفاخرة التي اعدتها لـــك كلوديت •

قال : كل ما تفعلين يروق لي يا حبيبتي • ولكـــن دعيني الان اخبرك سبب عودتي الى هذه الدار ، بعد ان كدت افقد فيها حياتي •

قالت : انني اعلم السبب • انت مشتاق الي • شوقك اهاب بك الى العودة • انت لن تستطيع الابتعاد عني يا نهاد •

قال ، وهو يلف ذراعه حول خصرها : مما لا شــك فيه ان شوقي اليك كبير يا كلوديت • الا انني قادم الان في مهمة رسمية •

فضحكت •••

قالت : مهمة شوق ، وهوى ، وحنين ؟

قال : لا يا كلوديت • انها مهمة رسمية ، كمـــا اشرت •

قالت : ما هي هذه المهمة ؟

قال : انا رسول زوجك اليك • لقد اوفدني المستشار كي اقنعك بالعودة الى بيروت •

فقهقهت : مجنون •• لقد جازت عليه الحيلة . وأيقن كل اليقين انني حانقة غضبى • يبدو انني اجدت تمثيـل

الدور يا نهاد . هل تروق في عينيك حبيبتك كلوديت ؟

قال : حبيبتي كلوديت تروق ابدا في عيني . انا لم اكن لأشك يوما في مقدرتك على التمثيل ، حتى بت اخشى ان يكون حبك اياي تمثيلا .

فقرصت اذنه ، وهمست : اما زلت تشك بحبي ايها المجنون ؟ وهل بدر مني ما يشير الى انني اراوغ وأسلك معك طريق النفاق والخداع ؟ لماذا اخدعك ؟ لماذا اتظاهر بحبك وانا لا احبك ؟ ثق يا نهاد ان حبي اياك عظيم هائل رهيب . وانك عندي الدنيا بأسرها يا حبيبي .

فهاله ما تقول .

وتذكر اللادي كوينز .

ماذا ستفعل كلوديت اذا وقفت على علاقته بالبريطانية الحسناء ؟

ان حبها العظيم هذا، الذي تفاخر وتباهى به، سيتعبه وسيثقل كاهله ، وسيكبله بالحديد ، ويجعله عاجزا عن التخلص منها ، والانصراف الى حبه الجديد الملتهب الانفاس .

والتفت اليها ليقول : انا لم اكن لأشك يوما بحبك يا حبيبتي ، الا انني اخشى ان يذبل حبنا ، ويذوب قبل أوانه . انني اخاف على حبنا يا كلوديت . اخشى ان تقف الايام بيننا فتبعدني عنك وتبعدك عني .

فتمتمت : اطمئن . ليس ثمة قوة في العالم تستطيع ان تقف وتصمد امام الحب العظيم . سنحيا معا يا نهاد . سنقضي العمر كله معا .

فازداد وجوما .

ورأى ان يبتعد بها عن حديث الحب والوفاء والاخلاص .

قال : ماذا ستفعلين الان ؟

قالت : سنتناول طعام العشاء ، ثم نقضي الليل معا .

قال : وزوجك ؟ ماذا تريدين ان اقول له ، وقد عهد الي باسترضائك ، وبالعودة بك الى بيروت ؟

قالت : دعنا من ذكر اسمه الان . ما لنا وله . فليفعل ما يطيب له . وليدعني وشأني .

قال : يجب ان نعود الان الى بيروت .

قالت : أراك تمزح يا نهاد ؟ أتكون جادا في ما تقول ؟ اتسنح لنا فرصة اللقاء والوصال ، فندفع بها عنا ولا نغتنمها ؟ أتريدني على العودة الى بيروت الان ؟ وفي مثل هذه الساعة ؟

قال : اجل . يجب ان ابرهن للمستشار على اخلاصي ووفائي . يجب ان احتفظ بثقته ، وثقته هي الطريق المعبد للقائنا ، والى حبنا يا حبيبتي . اذا فقدت ثقة المستشار فقدتك الى الابد .

قالت : ما لك وله •• دعنا منه الان ، وتعال تتناول طعام العشاء •

فأصر على العودة •

قال : لا •• يجب ان نعود الى بيروت الان ، يجب ان نعـود •

فحاولت الوصول الى ما تريد بالحسنى ، هي لـن تعود الى بيروت الليلة ، اذا كان لا بد من العودة ، فليكن ذلك غدا ، او بعد غده

هي ليست مستعجلة للعودة الى الزوج العزيز •

لقد طلبت الابتعاد عنه من السماء ، فوجدت طلبها هذا على الارض •

قالت : نهاد !•• كن عاقلا يا حبيبي • لقد منت علينا الاقدار باللقاء الهانىء الجميل • فلماذا تريد ان تكفـر بالنعمة ؟ لماذا تريد ان تحرمني ، وتحرم نفسك ، من لـذة اللقاء والوصال ؟

قال : سيكون لدينا متسع من الوقت للقاء فـي بيروت • الايام المقبلة لنا • فلنعد الان يا حبيبتي فيخيـل لزوجك انني وفقت في المهمة التي انتدبني اليها ، وانني تمكنت من اقناعك ، فيزداد ثقة بي ووثوقا •

قالت باصرار : لن اعود •• لن اعود •• لن اعود •

ورد عليها : اذن سأعود وحدي •

فأدركت انه مصر على العودة • ورأت ان تعمد الى الحيلة والدهاء •

قالت : لا بأس ، سنعود ، ليكن لك ما تريد يـــا حبيبي • ولكن دعنا تتناول طعام العشاء هنا ، قبـــل ان نعود • الا تريد ان تتذوق ما اعددت من طعام شهـــي لذيـــذ ؟

قال : اجل ، اجل •

وجلسا يتناولان الطعام ، ويشربان •

وانصرفت الفرنسية الحسناء الى مغازلة الحبيـــب الولوع ، والى التودد والممالقة ••

وما ان انتهيا من تناول الطعام حتى وقف نهاد قائلا : فلنذهب الان ، تعالي يا كلوديت •

وتظاهرت كلوديت بالتعب وبالعياء ، وبالنعاس •

قالت : انني متعبة مرهقة ، يا حبيبي • فلنقض ليلتنا هنا • وغدا مع مطلع الفجر البعيد سأكون رفيقتك الـــى حيث تريد •

فثار •••

قال : بل انت ستعودين معي الان • المستشار يقيم مني على انتظار ، ويجب ان اعود اليه •

فابتسمت •

وتمتمت : انك لأبله مجنون • هل يخيـــل اليك ان

صديقك المستشار ينتظرك بفارغ صبر ؟ انه الان بين ذراعي عشيقته الراقصة، وسيكون شاكراً لك إذا لم تعكر عليه صفو اللقاء وهناء الوصال.

قال : كلوديت ! لقد وعدت المستشار بالعودة الليلة اليــه لاطلاعه على نتيجة مساعي لديك ، بل ذهبت فــي وعدي الى ابعد من ذلك ، وعدته بأن اعود بك اليه ، فلا تحرجي موقفي لديه . فلنعد الان الى بيروت ، وغـــدا يبقى لكل حدث حديث .

قالت : اسمع يا نهاد . اذا شئت ان تعود وحدك الى مستشارك ، عد الان . اذهب ، مع الف سلامة . اما اذا شئت ان ارافقك ، فما عليك الا ان تنتظرني الى الغد ، مع صباح غد البعيد سأكون طوع امرك يا حبيبي .

فأدرك انها مصرة على ما تقول .

ورأى ان يجاريها في ما تبتغي وتريد .

لا بأس سينتظرها الى الغد ، خير له وللمستشار ان يعود معها غدا ، من ان يعود وحده الان .

قال : لا بأس . سنقضي الليل هنا . وغدا نعود معا . انا لن اخالف لك امرا يا حبيبتي.

فوثبت اليه تطوقه بذراعيها ، وتهمس في اذنه كلمات الهوى والحب والغرام ..

وضاع السكرتير الجميل بين ذراعي حبيبته الحسناء،

ونسي المستشار واللادي كوينز ، ورئاســـة الجمهورية . والحزب السياسي المدعو الى تأليفه .

وقضيا الليل معا في غمرة الهوى ويم اللذة المحرمة الحمراء .

ولم يغمض لهما جفن ، الا وقد انقضى الشطر الاول من الليل .

وفي الصباح ، وثب نهاد العاطي الى حبيبته كلوديت قائلا : فلنسرع بالعودة يا حبيبتي . يجب ان تصلي الــى دارك في بيروت ، قبل ان يغادرها زوجك الى عمله .

فأشعلت كلوديت رودان لفافة نفثت دخانها فـــي الفضاء . وقالت : نهاد ! انا لن اعود الى زوجي .

فهاله ما يسمع .

قال : هل جننت ؟ ماذا تقولين يا كلوديت ؟

قالت : لقد سئمت الحياة معه . هذا الكهل المراهق يذيقني مر العذاب . هو الذي دفعني بيده الى الخيانة ، وما الخيانة من شيمتي . اريد ان اعيش مع زوج شـــاب مخلص وفي احبه ويحبني . فأخلص له ويخلص لي . انا لم اعد اطيق هذه الحياة . لم اعد استطيع ان اعيش مـــع زوج اكرهه وهو قريب مني ، ومع عشيق احبه وهو بعيد عنـــي .

قال : ماذا تقصدين في ما تقولين يا كلوديت ؟

قالت : اقصد انني سأنطلق في فضاء الحرية. سأنفصل عن الفونس رودان لأعيش معك ، ولك وحدك يا حبيبي.

فذعر نهاد العاطي لما يقع في اذنيه .

ماذا تقول كلوديت ؟

هل جنت ؟

تنفصل عن زوجها لتعيش معه وله ؟

ماذا سيكون مصيره وقد وقف المستشار على علاقته بزوجته ؟

ماذا سيفعل الفونس رودان عندما يعلم ان سكرتيره هو عشيق زوجته ؟

هل تريد كلوديت ان تقضي عليه القضاء المبرم ؟

ثم ، هناك مستقبله .

هناك رئاسة الجمهورية التي تنتظر طلعته البهية .

هناك الحزب الذي سيؤلفه ليصعد منه الى سدة الرئاسة .

انه ليفكر في الابتعاد عن كلوديت ليعزز علاقته بالحسناء البريطانية التي ستوصله الى الرئاسة الاولى . وتحقق احلامه الوارفة ، وأمانيه العذاب .

فكيف تفكر كلوديت بالقضاء على تلك الاماني والاحلام ؟

ولمست كلوديت وجومه وشرود ذهنه ، فأدركت ان

المفاجأة اذهلته .

واقتربت منه على تيه وغنج ودلال لتقـــول : الا يروقك هذا القرار الذي اتخذته من اجل حبنا يا حبيبي ؟

قال : كلوديت . انا لا استطيع ان اعلن حبنا علــى الملأ . انني موظف في الدائرة التي يرأسها زوجك . انني «سكرتير» المستشار . ماذا سيقول . او بالاحرى ماذا سيفعل زوجك عندما يقف على حقيقة علاقتنا ؟ من المؤكد انه سيعمد الى طردي من وظيفتي ، هذا اذا لم يزجني في السجن ، ويكون في ذلك القضاء المبرم على مستقبلي . ثم ماذا سيكون موقف ذلك الزوج المسكين الذي هجرته زوجته لتلحق بعشيقها ؟ وأخيرا موقفك انت تجاه المجتمع، وتجاه ضميرك ، ماذا سيكون هذا الموقف ؟ عودي الــى رشدك يا حبيبتي ، ولا تتسرعي في ما تتخذين من مقررات خطرة خطيرة .

قالت : لم يعد يهمني احد ، ولا شيء في هـــذه الحياة ، اريد ان اعيش حرة ، كما يعيش جميع نســـاء العالم .

فقهقه ، بالرغم من الموقف المؤلم الرهيب .

وتمتم : وهل كان المستشار يوما ليقف بينك وبين تلك الحرية التي تتوقين اليها ؟ انت تذهبين حيث تشائين ، وتفعلين ما تريدين ، ونحن نرشف معا من معين حبنا ، دون

ان يضايقنا زوجك المسكين ، فاين العبودية التي تريدين الانطلاق منها ؟ واين هي القيود التي تريدين تحطيمها ؟

قالت باصرار : لقد اتخذت قراري • ولن اتراجع عنه • انا لن اعود معك الى بيروت • فافعل ما يطيب لك•

فامسك بيدها يشدها بغضب ويهدر : بل ستعودين الان معي •

فخشيت ثورة غضبه •

ورأت ان تعمد الى اللين لئلا تفقده •

قالت : نهاد !•• يصعب علي ان اخالف لك امرا ، وأنت العزيز على قلبي • لقد وعدتك بان اعود واياك الى بيروت اليوم ، وانا سأنفذ ما وعدتك به يا حبيبي •

قال : اسرعي اذن في ارتداء ثيابك ؛ كي نستطيع ان نصل الى داركم ، قبل انصراف المستشار الى عمله •

قالت : لقد وعدتك بان ارافقك الى بيروت ، الا انني لم اعد بان اعود الى داري • انا لن اعود الى تلك الدار الان يا نهاد • اريد ان ارتاح من «ثقل دم» مستشارك اسبوعا او اسبوعين •

فاستأنف نهاد محاولة الإقناع إلا أنه اصطدم بإصرارها الشديد.

قالت بثورة جامحة : لقد اتخذت قراري • لا تحاول ارغامي على القيام بما لا اريد •

ونزل اخيرا عند «قرارها» السامي .

لا بأس فليعد بها الان الى بيروت ، ثم يحاول هناك في بيروت اعادتها الى دارها العامرة .

وسيرتاح المستشار . وقد عادت اليه الزوجة المصون بالسلامة .

واطمأن نهاد العاطي كل الاطمئنان ، وقـــد وافقت زوجة المستشار على العودة معه الى بيروت .

وامسك بيدها يشدها ويهمس : فليكن لك مـــا تريدين يا حبيبتي . لنعد الان الى بيروت . ثم يكون لكل حدث حديث .

وطوقته بذراعيها ...

وطوقها بذراعيه ...

وأبيا ان يغادرا تلك الدار ، في صوفـــر ، قبل ان ينعما بلذة الهوى ونشوة الغرام ...

تم الجزء الاول من قصة

« دموع الارز »